التركيب والدلالة والسياق

دراســـــات تطبيقـــــية

دكتور

محمد أحمد خضير

كلية الآداب – جامعة القاهرة

الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد – القاهرة

أسم الكتـــاب: التركيب والدلالة والسياق
أسم المؤلف: د/ محمد احمد خضير
أسم الناشر: مكتبة الانجلو المصرية
أسم الطـــابع: مطبعة محمد عبد الكريم حسان
رقـــم الايـــداع: ١٠٠٩١ لسنة ٢٠٠٥
الترقيم الدولي: I-S-B-N 977-05-2138-8

إهـــداء

إلى من بعثت قلبي إلى الحياة
في صباحه الجديد



الفهـــرس



تقديـــم

من الصعب أن يُدرَس التركيب بعيداً عن دلالته ، ويفرض السياق وجوده على تلك الدراسات ؛ لأن التركيب لاينعزل عن السياق بنوعيه اللغوى الذى يعتمد على النص، وغير اللغوى الذى يعتمد على ما حول النص من ظروف خارجه تفرض نفسها عليه .

وقد قدَّم الباحث دراسة نظرية فى العلاقة بين الدلالة والتركيب والسياق ، وهنا جاء اختبارها فى تلك التطبيقات المختلفة التى اعتمدت النص القرآنى والدراسات اللغوية التى قامت عليه فى بعض الدراسات ، كما اعتمدت الرواية والنثر المعاصرين فى دراسات أخرى .

ولا شك أن دراسة النصوص لابد أن تثمر نتائج جديدة وهو ما نراه فى هذه الدراسات .

واللـــه ولـــى التوفيـــق

د. محمد أحمد خضير

الفصل الأول

الوصـــف عنـــد النحـــاة العـــرب



الفصل الأول

الوصف عند النحاة العرب
التركيب والدلالة

يهدف هذا البحث إلى التعرف على التراكيب أو طرق التعبير أو الأبواب النحوية التى تؤدى وظيفة الوصف عند النحاة، وهى النعت والحال والخبر وكيف عرض النحاة لها وعرفوا الفروق الشكلية والدلالية بينها .

ويُدرَج هذا البحث تحت الفروق النحوية ، التى أشار عبد القاهر إلى بعضها فى دلائل الإعجاز (١) ، كما أشار ابن هشام إلى بعضها فى مغنى اللبيب (٢) .

أما عن العلاقة بين الأبواب الثلاثة فقد جاءت عند النحاة فى إشارات متفرقة هى ما نريد أن نجمعها ونحللها فى هذا البحث، وينطلق البحث من دلالة الوصف إلى ما يعبر عنها من أبواب نحوية ، فيبحث العلاقات والفروق الشكلية والدلالية بين تلك الأبواب .

أولاً : مصطلحات الوصف :

ارتبطت مادة (وصف) فى المعاجم بمواد لغوية أخرى ، هى : نعت ، حلى ، شبه، مثل ، صور، خيل، وقد اشتقت من هذه المواد - عدا (حلى) التى ارتبطت بمادة (وصف) فى تحديدها - مصطلحات صرفية ونحوية وبلاغية ونقدية وأدبية (٣) ومن المصطلحات النحوية والصرفية الصفة - الصفات - الصفة المشبهة ، فإذا نظرنا إلى الدلالة اللغوية للوصف نجد أن الوصف يعنى الإظهار وبيان الهيئة، يقال : وصف الثوب الجسم إذا أظهر حاله وبيّن هيئته (٤)، وأن الصفة هى الأمارة اللازمة للشىء ،

---

(١) راجع : دلائل الإعجاز ١٧٣ـ ٢٢١ .

(٢) راجع : مغني اللبيب ٥٣٩ ـ ٦٠٤ ـ ٧٢٩ ـ ٧٣١ .

(٣) راجع : المعجم المفصل في اللغة والأدب٢ ١٣٠٦/ وما بعدها ، ٣٦٨/١ - ٣٨٨ وما بعدها ، ٤٢٢، ومعجم البلاغة العربية ٢٩٦ ، ٦٣٥ .

(٤) اللسان ، المصباح المنير مادة (وصف) .

والوصف هو تحلية الشىء [٥] ، والصفة هى الحلية[٦] ، وهى كالعلم والسواد[٧] ، مما يعنى أنها شىء ثابت من خصائص الموصوف.

وقد ارتبطت الصفة فى دلالتها اللغوية بالنعت ، فمن اللغويين من لايفرق بين الصفة والنعت [٨]، ومنهم من فرّق بينهما وقال إن النعت لايكون إلا فى الصفات المحمودة ، والوصف يكون فى المحمود وفى غيره من الصفات [٩]، وقد خص الخليل النعت بأنه وصف الشىء بما فيه من حسن [١٠]، وقال ابن الأثير -: النعت وصف الشىء بما فيه من حسن ولايقال فى القبيح إلا أن يتكلف، فيقول -: نعت سوء والوصف يقال فى الحسن والقبيح [١١] ، وبذلك تكون الصفة أعم من النعت ، فالنعت للحسن والصفة للحسن والقبيح .

ومن اللغويين من فرّق بينهما بقوله : إن الصفة تكون بالحال المنتقلة ، والنعت بما كان فى خَلْق أو خُلق [١٢] ، أى أن الصفة متغيرة عارضة ، أما النعت فإنه ثابت لازم ، وهو ما جاء فى معنى الصفة عند غيره [١٣] ، وقال بعضهم إن النعت هو الصفة الراسخة التى تثبت ولاتتغير ، والوصف الصفة الراسخة وغير الراسخة [١٤]، وعلى ذلك «تكون الصفة أعم وأشمل من النعت» [١٥] وقد ذهب بعض النحاة إلى التفريق بين النعت والصفة فقالوا : إن «النعت يكون للحلية نحو طويل وقصير ، والصفة تكون بالأفعال نحو : ضارب وخارج » [١٦] ، بينما يرى آخرون أن «الصفة والنعت واحد » [١٧] ، وبذلك نجد خلافاً عند النحاة فى النعت والصفة كما وجدناه عند

---

(٥) مقاييس اللغة ١١٥/٦ .

(٦) اللسان (وصف) .

(٧) نفسه ، ومختار الصحاح .

(٨) راجع الصحاح ١٤٣٩/٤ ، مختار الصحاح ، اللسان (نعت ، وصف) ، القاموس المحيط (حلي) ١٩٨/٣ ، ٣١٤/٤ .

(٩) الصاحبي في فقه اللغة ٨٨ ، المدارس النحوية أسطورة وواقع ١٣٣ .

(١٠) مقاييس اللغة ٤٤٨/٥ و راجع القاموس المحيط ١٥٨/١ (نعت) .

(١١) اللسان (نعت) .

(١٢) المصباح المنير (وصف)

(١٣) فهي الأمارة اللازمة عند ابن فارس (مقاييس اللغة ١١٥/٦) ، وهي كالعلم والسواد في اللسان ومختار الصحاح (وصف)

(١٤) المدارس النحوية أسطورة وواقع ١٣٣ .

(١٥) نفسه ١٣٤ .

(١٦) شرح ابن يعيش علي المفصل ٣ / ٤٧ .

(١٧) نفسه ٤٧/٣ ، شرح كتاب الحدود في النحو للفاكهي ٢٤٧ .

البلاغيين ، وفيما يلي عرض لمصطلحات الوصف عند النحاة :

١- مصطلحات الصفة :

١) مصطلحات : (صفة) ، (موصوف) جاء مصطلح (الصفة) كثيراً عند سيبويه بمفهوم النعت وكذلك عند المبرد (١٨) ومثل ذلك جاءت مصطلحات (الصفة) (الموصوف) بمفهوم النعت والمنعوت عند كل من ابن السراج والصيمرى وعبد القاهر وابن جنى وابن يعيش والرضى (١٩) ، ثم جاء المصطلح بعد ذلك عرضاً عند شراح الألفية وغيرهم من المتأخرين (٢٠) .

وجاء مصطلح (الصفة) بمعنى (المشتق) عند ابن السراج (٢١) وكذلك جمعها(٢٢) وقال إنها سميت (صفة) لأنه يوصف بها (٢٣) ، وجاء ذلك أيضاً عند الشلوبين والرضى (٢٤) ، وأطلق ابن مالك مصطلح (الوصف) على ما يعمل عمل الفعل من اسم الفعل واسم المفعول والصفة المشبهة فقال « الوصف الذى هو كالفعل فى العمل وأريد به الحال ، أو الاستقبال من اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة باسم الفاعل» (٢٥)، وجاء ذلك أيضاً عند ابن الناظم والصفة عنده لاتعنى كل المشتقات وإنما تعنى ما دل على حدث وصاحبه فيخرج منها اسما الزمان والمكان (٢٦)، وهى عند ابن عقيل تعنى ما دل على معنى وذات (٢٧)، وجاء المصطلح بهذا المفهوم أيضاً عند ابن هشام والسيوطى والفاكهى (٢٨) .

---

(١٨) راجع مثلاً : الكتاب ١/٤٢٥ وما بعدها ، المقتضب ٣/٢٢٥ ، ٤/١٦٦ .

(١٩) راجع : الأصول في النحو لابن السراج ٢/٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣/٤٦٢ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧، التبصرة والتذكرة للصيمري ١٦٩ وما بعدها ، الجمل في النحو لعبد القاهر الجرجاني ، شرح ابن يعيش علي المفصل ، ٣/١٠ ، ٤٦ وما بعدها ، شرح الكافية للرضي ١/٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٨٥

(٢٠) راجع : شرح ابن عقيل ٣/١٩٧ ، شرح ابن الناظم ٤٩٢ ، أسرار النحو ١٦٣ وما بعدها وشرح كتاب الحدود للفاكهي ٢٤٧ .

(٢١) الأصول في النحو ٣/١٦،٢١،٢٣،٢٤،٨٩،٩٣،٩٤،

(٢٢) نفسه ٣/٢١ ، ٢٥،٨٩ .

(٢٣) نفسه ٣/٢٢ .

(٢٤) راجع : التوطئة ٢٠٠، شرح الكافية ١/٢٧٧ ، ٣،٢ .

(٢٥) شرح الكافية الشافية ٢/٩١٠ ، وراجع أيضا ، المساعد علي التسهيل ٢/١٨٨، ٣٣١ .

(٢٦) راجع : شرح ابن الناظم ٣٢٧ ، ٤٩٣ .

(٢٧) شرح ابن عقيل ٣/٤٨ ، ١٤٠ .

(٢٨) راجع : أوضح المسالك ٣/٨٩، همع الهوامع ٥/٨٤،٨٥،٨٧،١٩٣ ، شرح كتاب الحدود للفاكهي١٩٧ ، ٢٢٤ .

وقد جاء مصطلح (الوصف) بمعان أخرى ، فقد سمى سيبويه الحال وصفاً حين قال «واعلم أن الشيء يوصف بالشيء الذى هو هو وهو من اسمه ، وذلك قولك هذا زيد الطويل . ويكون هو هو وليس من اسمه ، كقولك هذا زيد ذاهباً ، ويوصف بالشيء الذى ليس به ولا من اسمه ، كقوس : هذا درهم وزناً ، لايكون إلا نصباً [٢٩]، وكذلك أطلق المبرد على الحال مصطلح (صفة) [٣٠] ويسمى الشلوبين صاحب الحال موصوفاً حيث يقول «وقد يكون موصوفا – الحال – غير معرفة قليلاً ، نحو : مررت بما قعدة رجل ، ونحو جاء راكباً رجل ، إلا أن هذا مع تأخير الموصوف أقيس» [٣١]، وسمى الجزولى الحال صفة ووصفاً ، وصاحب الحال موصوفاً [٣٢] .

وكذلك سمى سيبويه التوكيد صفة ، وإن كان يفرق بين تلك الصفة والنعت فى حديثه عن التوكيد بالضمائر وبالنفس حيث يقول «اعلم أن هذه الحروف – أى الضمائر – كلها تكون وصفا للمجرور والمرفوع والمنصوب المضمرين ، وذلك قولك – : مررت بك أنت ، ورأيتك أنت ، وانطلقت أنت، وليس وصفاً بمنزلة الطويل إذا قلت: مررت به نفسه وأتانى هو نفسه ، ورأيته هو نفسه . وإنما تريد بهن ما تريد بالنفس ، ولست تريد أن تحليه بصفة ولا قرابة كأخيك ، ولكن النحويين صار ذا عندهم صفة ، لأن حاله كحال الموصوف [٣٣] كما أن حال الطويل وأخيك فى الصفة بمنزلة الموصوف فى الإجراء، لأنه يلحقها ما يلحق الموصوف من الإعراب» [٣٤]، وكذلك سمى ضمير الفصل صفة وتبعه فى ذلك المبرد [٣٥]، وسمى سيبويه ما بعد اسم الإشارة صفة وتوكيدا وبياناً [٣٦] .

وجاء مصطلح (صفة) بمعان أخرى أيضاً عند الكوفيين ، فقد سمى الكسائى الظروف صفة ، قال ابن السراج «واعلم أن الأشياء التى يسميها البصريون ظروفاً يسميها الكسائى صفة» [٣٧] ، وكذلك يسمى ثعلب ظرف المكان صفة [٣٨]، وكذلك

---

(٢٩) الكتاب ١٢١/٢ ويفهم من جملة (هذا درهم وزناً) أنه يطلق علي التمييز ، وصفاً أيضاً .
(٣٠) المقتضب ٣١٤/٤ .
(٣١) التوطئة ٢٠٠ .
(٣٢) المقدمة الجزولية في النحو ٨٩ .
(٣٣) في طبعة بولاق (كحال الوصف والموصوف) وهو الأولي هنا .
(٣٤) الكتاب ٣٨٥/٢ ، ٣٨٦، وراجع ٢٤٨/١ ، ٢٧٧،٢٧٨، ٣٨٩/٢ ، ٣٩٠،٣٩١ .
(٣٥) الكتاب ٣٥١/٢ ، والمقتضب ١٠٥/٤ .
(٣٦) همع الهوامع ١٧٧/٥ .
(٣٧) الأصول في النحو ٢٠٤/١ ، راجع : الإنصاف المسألة ٦٠ ، إيضاح الوقف والابتداء ٦٦٥/٢، إعراب القرآن للنحاس ١٩٩/١ ، المدارس النحوية أسطورة وواقع ١٢٧ .
(٣٨) مجالس ثعلب ٦٤/١ ، ١٧٥ .

نسب إلى الكسائى أنه كان يسمى حروف الجر صفات [٣٩] ، وكذلك أطلق الفراء مصطلح (صفة) على الظروف والجار والمجرور وعلى حرف الجر وحده [٤٠]، وكذلك جاء عند الكوفيين مصطلحات الصفة الناقصة والصفة التامة [٤١] .

٢- مصطلحات (نعت)

شاع مصطلح (نعت) أكثر من مصطلح (صفة) فوجدناه عند أكثر النحاة ، وعنون به أكثرهم الباب النحوى [٤٢] . وقد نسب هذا المصطلح للكوفيين فقد قال ابن عقيل إن النعت عبارة الكوفيين وربما استعملها البصريون [٤٣] ، ونقل السيوطى عن أبى حيان قوله إن «التعبير به اصطلاح الكوفيين ، وربما قاله البصريون ، والأكثر عندهم الوصف والصفة» [٤٤] ، وإذا كان مصطلح (نعت) قد كثر عند الفراء من الكوفيين [٤٥] ، فإنه شاع عند غيره من البصريين فلا معنى للقول بأنه مصطلح الكوفيين [٤٦] ، وقد جاء مصطلحا النعت والصفة مترادفين عند أكثر النحاة [٤٧] .

وكما أطلق مصطلح (الصفة) و (الصفات) على المشتقات ، فقد أطلق بعض النحاة مصطلح (النعت) أو (النعوت) على المشتقات ، ولكن ذلك قليل فقد جاء ذلك فى قول المبرد «وحق الأسماء المأخوذة من الأفعال أن تكون نعوتاً» [٤٨] ثم خص بها صيغة (أفعل) فى موضع آخر [٤٩] ، وهذا ما نجده عند الزجاجى أيضاً حيث جعل مما

---

(٣٩) راجع : شرح المعلقات للنحاس ٤٣/١ .

(٤٠) معاني القرآن ٢/١ ،٣١، ١١٩، ١٤٨، ٣٢٢، ٣٧٥، شرح ابن بعيش ٧/٨ همع الهوامع ١٩/٢.

(٤١) الأصول ٢٠٥/١ ، المدارس النحوية أسطورة وواقع ١٣٠ .

(٤٢) راجع : الكتاب ٤٢١/١ وما بعدها ، المقتضب ١٨٥/٣ ، ٢١٩/٤ ، الأصول في النحو ٢٣/٢، ٤٥، ٤٦٢/٣ وما بعدها ، الجمل في النحو للزجاجي ١٣، ١٥ وما بعدها ، التوطئة ١٦٩، كشف المشكل في النحو ٤٧٣/١ . ٦١١ ، المقرب ٢٤٠، ٢٤١، شرح الكافية ٣٠١/١ ، شرح ابن بعيش ٤٩/٣ ، المقدمة الجزولية ٥٦، الفصول الخمسون ٢٣٤، شرح شذور الذهب ٥١٢ شرح قطر الندي ٤٠٠، شرح ابن الناظم ٤٩٠، أوضح المسالك ٢٩٩/٣ ، شرح ابن عقيل ١٩٠/٣ ، المساعد علي التسهيل ٤٠١/٢ همع الهوامع ١٧١/٥ .

(٤٣) المساعد علي التسهيل ٤٠١/٢ ،

(٤٤) همع الهوامع ١٧١/٥ .

(٤٥) معاني القرآن ١١٢/١، ١٩٨، ٢٧٧، ٢، ١٤٥/٢، ١٤٦ .

(٤٦) راجع المدارس النحوية ٢٠٢ سدرسة الكوفة ٣١٤ .

(٤٧) راجع : شرح ابن بعيش ٤٧/٣ ، شرح كتاب الحدود في النحو ٢٤٧

(٤٨) المقتضب ٢٦٠/٣ .

(٤٩) نفسه ٢٤٥/٣ .

لاينصرف «ما كان على وزن (أفعل) إذا كان نعتاً ، نحو : أحمر، أصفر، وأبيض، وأشقر، وأفضل منك، وأكرم منك، » (٥٠) .

مما سبق يتبين أن مصطلحات (صفة) أو (وصف) أو (صفات) قد اطلقت على معان عدة ، أما مصطلح (نعت) فلم يطلق إلا على المشتقات ، قليلاً وبالتحديد عند المبرد والزجاجي ، وأطلق بعد ذلك ليمثل الباب النحوى ويعنون به عند أكثر النحاة ، وإذا كان أكثر النحاة قدماء ومحدثين يقولون إن مصطلح (نعت) مصطلح كوفى، فإنهم دائما يتبعون ذلك بأن بعض البصريين قد استعمله (٥١) ، ولم يكن الفراء «أول من اصطلح على تسمية النعت باسمه وكان سيبويه والبصريون يسمونه صفة(٥٢)، وكأن مصطلح (النعت) لم يأت عند سيبويه ، وهو قد ورد كثيراً عنده كما تقدم ، وكما جاء مصطلح (النعت) عند سيبويه فقد جاء مصطلح (صفة) بمعنى النعت عند الفراء أيضاً (٥٣) ومن هنا يرى أحد الباحثين أن مصطلح النعت «قد عرفه البصريون الأوائل فاقتبسه الكوفيون والتزموا به . وكما وجد النعت فى كتاب سيبويه وجد كذلك فى آثار البصريين عامة كالمبرد والزجاجى وابن السراج » (٥٤) ، وهو بذلك يريد أن يسحب فضل الكوفيين فى اقتراح المصطلح ، بينما نستطيع القول إن المصطلحين قد نشأ معاً ثم غلب أحدهما وهو (النعت) على الآخر (الصفة) .

وقد فضل أكثر النحاة مصطلح (النعت) ، وأطلقه على الباب النحوى ، أما (الصفة) فأطلقت على معان أخرى كثيرة كما تقدم ومن أهمها بالنسبة للبحث هنا إطلاقها على الحال .

ثانياً : العلاقة بين أبواب الوصف الثلاثة :

أشار ابن الحاجب فى شرح المفصل إلى أن الصفة تطلق باعتبارين : عام وخاص (٥٥) ، وأراد أن يفرق بين النعت والحال والخبر ، وهو ما فسره الرضى فى شرح الكافية حيث قال إن «المراد بالعام كل لفظ فيه معنى الوصفية جرى تابعاً أولا فيدخل فيه خبر المبتدأ والحال فى نحو زيد قائم ، وجاءنى زيد راكباً إذ يقال هما

---

(٥٠) الجمل في النحو ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٥١) راجع : مدرسة الكوفة ٣١٤ وراجع هوامش ٤٤ـ٤٦ .

(٥٢) المدارس النحوية ٢٠٢ .

(٥٣) راجع : معاني القرآن ١/١٠٥، ١٥٤ مجالس ثعلب١/٤٢، المدارس النحوية أسطورة وواقع١٣٤

(٥٤) المدارس النحوية أسطورة وواقع ١٣٥ .

(٥٥) راجع : الإيضاح في شرح المفصل ١/٤٤١ .

وصفان ، ونعنى بالخاص ما فيه معنى الوصفية إذا جرى تابعاً نحو جاءنى رجل ضارب » (٥٦) ، والفرق بين العام والخاص هو تميز الخاص بالتبعية إلا أننا نجد فى قول ابن الحاجب والرضى أن الأبواب الثلاثة يجمعها معنى الوصفية ، ولهذا حاولا أن يفرقا بينها أو بمعنى آخر بين النعت من جهة والخبر والحال من جهة أخرى .

ولقد عرف ابن السراج من قبل العلاقة بين الأبواب الثلاثة وحاول التفريق بينها حيث قال «: وقد يكون حالاً ما لايكون صفة، لأن الحال زيادة فى الخبر فأشبهت خبر المبتدأ الذى يجوز أن يكون اسماً ، والصفة ما كانت تفرق بين اسمين ، والحال ليست تفرق بين اسمين ، وقد يجوز أن يكون من اسم لاشريك له فى لفظه ، ولكنها تفرق بين صاحب الفعل فاعلاً أو مفعولاً ، وبين نفسه فى وقتين »(٥٧)، ويفهم من كلام ابن السراج أن الفرق بين الحال والخبر هو أن الحال زيادة فى الفائدة ، والفرق بين الحال والنعت أن النعت يفرق بين اسمين فيفصل بينهما ويزيل اشتراكهما، أما الحال فإنه يفرق بين حالتين للاسم الواحد .

وعرف عبد القاهر العلاقة بين الحال والخبر ، والحال عنده خبر فى الحقيقة لكنه يفترق عن خبر المبتدأ فى أن خبر المبتدأ هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه، أما الحال فإنه زيادة فى خبر آخر (٥٨) ، وعرف الزمخشرى الصفة بأنها الاسم الدال على بعض أحوال الذات ، ويرى ابن يعيش أن الخبر يشترك مع الصفة فى ذلك ، أما ما يفصلها عن الخبر فهو تبعيتها للموصوف فى الإعراب (٥٩) ، وفرق بين النعت والحال بالوظيفة (٦٠) .

ويرى ابن هشام أن الحال والخبر والصفة تتفق فى أنها وصف ، والفرق بين الحال والخبر أن الحال فضلة ، والفرق بين الحال والنعت أن الحال جاءت لبيان الهيئة(٦١) .

وما عرضناه للنحاة من فروق هنا ينتمى للوظيفة أو الجانب الدلالى ، وقد أشار بعض النحاة إلى فارق آخر هو التنكير والتعريف، ففرق الزجاجى وابن جنى بين

---

(٥٦) شرح الكافية للرضي ٣٠١/١ .
(٥٧) الأصول ٣١/٢ .
(٥٨) راجع : دلائل الإعجاز ٢١٢ ، ٢١٥ .
(٥٩) راجع : شرح ابن يعيش ٤٧/٣ .
(٦٠) شرح ابن يعيش ٥٧/٢ .
(٦١) شرح شذور الذهب ص ٣٠٥ .

الحال والنعت بذلك (٦٢) ، وفرق المبرد بين الحال والنعت بذلك أيضاً (٦٣) ، وإن كان قد أجاز مجيء الحال من النكرة حيث قال «قولك : جاءنى رجل ظريف، فتجعل (ظريف) نعتاً لرجل ويجوز : جاءنى رجل ظريفاً على الحال» (٦٤) ، وعرض فروقاً أخرى بين الحال والنعت حيث قال إن الصفة تأتى لتفصل بين اثنين إذا خيف التباس أحدهما بالآخر من مثل : جاءنى زيد الطويل أو العاقل أو الراكب أى المعروف بالطول .... إلخ . أما الحال فيكون إذا أردت الإخبار عن الحال التى وقع فيها المجيء، فتقول : جاءنى زيد راكباً أو ماشياً ، فتجيء بعده بنكرة لاتكون نعتاً له لأنه معرفة ، «وذلك أنك لم ترد : جاءنى زيد المعروف بالركوب والمشى فيكون تحلية بما قد عرف ، وإنما أردت أن مجيئه وقع فى هذه الحال» (٦٥) ، ونجد عند المبرد فروقاً ثلاثة ، أولها : وظيفة النعت ووظيفة الحال ، والثانى : تنكير الحال ، والثالث : أن النعت تحلية أو صفة ثابتة ، أما الحال فصفة متغيرة ، ويوضح ذلك إذ يقول « إذا قلت : جاءنى زيد ماشياً لم يكن نعتاً ، لأنك لو قلت : جاءنى زيد الماشى لكان معناه المعروف بالمشى ، وكان جارياً على زيد ، لأنه تحلية له ويتبين أنه زيد المعروف بهذه السمة ، ليفصل ممن اسمه مثل اسمه بهذا الوصف ، فإذا قلت : جاءنى زيد ماشياً – لم ترد أنه يعرف بأنه ماشٍ ، ولكن خبرت بأن مجيئه وقع فى هذه الحال ، ولم يدلل كلامك على ما هو فيه قبل هذه الحال أو بعدها» (٦٦) .

ومما سبق يتضح أن النحاة قد عرفوا العلاقة بين الأبواب الثلاثة وإن كانت إشارات متفرقة فإننا فيما يلى سنحاول أن نجمع تلك العلاقات والفروق تحت محاور محددة منها ما هو شكلى ومنها ما هو دلالى .

١- علاقات الجزئين «الأول هو الثانى فى المعنى»

مما يتفق فيه الخبر مع النعت قول النحاة إن الخبر هو المبتدأ فى المعنى ، وأن النعت هو المنعوت فى المعنى ، وقد جاء ذلك عند سيبويه فى قوله إن «المبتدأ لابد من أن يكون المبنى عليه شيئاً هو هو» (٦٧) ، وعند المبرد أيضاً أن «خبر المبتدأ لايكون إلا

---

(٦٢) راجع الجمل ١٤،١٥،٣٥، اللمع ١٤٥ .

(٦٣) المقتضب ٣١٤/٤ .

(٦٤) المقتضب ٣٩٧/٤ ، راجع الكتاب ١١٣/٢ وما بعدها ، ومن الثابت عند النحاة أن مسوغات الابتداء بالنكرة تسيغ كذلك أن يكون صاحب الحال نكرة .

(٦٥) راجع : المقتضب ١٦٦/٤ .

(٦٦) نفسه ٣٠٠/٤ .

(٦٧) الكتاب ١٢٧/١ .

شيئاً هو المبتدأ فى المعنى» (٦٨) ، على أن هذا قسم من أقسام الخبر ، وهو ما يفهم من قول ابن السراج «وخبر المبتدأ ينقسم إلى قسمين : إما أن يكون هو الأول فى المعنى.... نحو : زيد أخوك؟.... أو يكون غير الأول .... نحو قولك: عمرو ضربته»(٦٩) والقسم الأول هو المفرد والثانى هو الجملة ويشرح ذلك ابن يعيش فيقول «ويؤيد عندك هاهنا أن الخبر هو المبتدأ أنه يجوز أن تفسر كل واحد منهما بصاحبه ، ألا تراك لو سئلت عن زيد من قولك : زيد منطلق ، فقيل : من زيد هذا الذى ذكرته ؟ لقلت هو المنطلق ، ولو قيل : من المنطلق ؟ لقلت : هو زيد فلما جاز تفسير كل واحد منهما بالآخر دل على أنه هو» (٧٠).

أما الرضى فيجعل من الخبر الجملة ما هو المبتدأ فى المعنى أيضاً حيث يقول «لاتخلو الجملة الواقعة خبراً من أن تكون هى المبتدأ معنى أولا » (٧١) .

وكما قالوا إن الخبر هو المبتدأ فى المعنى ، كذلك قالوا إن النعت هو المنعوت فى المعنى ؛ فقد جعل سيبويه النعت والمنعوت كالاسم الواحد (٧٢) ، وقال المبرد إن «النعت هو المنعوت فى الحقيقة » (٧٣) ، وكرر ابن يعيش قوله السابق فى المبتدأ و الخبر فقال إن «الصفة والموصوف شيء واحد لأنهما لعين واحدة ، فإذا قلت : جاءنى زيد العاقل، فالعاقل هو زيد وزيد هو العاقل ، ألا ترى أنك إذا سئلت عن كل واحد منهما لجاز أن تفسره بالآخر ، فتقول فى جواب : من العاقل ؟ زيد ، وفى جواب : من زيد ؟ العاقل»(٧٤) وقد جعل الشلوبين ذلك من شروط النعت حيث قال إن «من شروط النعت أن يكون هو المنعوت »(٧٥) .

وقد أكد ابن الأنبارى على تلك العلاقة بين الخبر والنعت فقال : إن «خبر المبتدأ يتنزل منزلة الوصف ، ألا ترى أن الخبر هو المبتدأ فى المعنى ، كقوله : زيد قائم ، وعمرو ذاهب ، أو منزل منزلته ، كقوله : زيد الشمس حسناً ، وعمرو الأسد شدة ، أى

---

(٦٨) المقتضب ١٢٧/٤ ، وراجع ١٢٨/٤ ، ١٣٣ .
(٦٩) الأصول ٦٢/١ .
(٧٠) راجع شرح ابن يعيش ٨٧/١ .
(٧١) شرح الكافية للرضي ٩١/١ ، وراجع : شرح ابن الناظم ١٠٩ ، أوضح المسالك ١٩٧/١ شرح ابن عقيل ٢٠٤/١ .
(٧٢) راجع : الكتاب ٤٢١/١ ، ٤٢٢ .
(٧٣) المقتضب ٢١٩/٤ .
(٧٤) شرح ابن يعيش ١٠/٣ .
(٧٥) التوطئة ١٦٩ .

يتنزل منزلته، وكقولهم : أبو يوسف أبو حنيفة ، أى يتنزل منزلته فى الفقه ، قال الله تعالى ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ (الأحزاب ٦) .

أى تتنزل منزلتهن فى الحرمة والتحريم ، فلما كان الخبر هو المبتدأ فى المعنى أو منزلاً منزلته تنزل منزلة الوصف؛ لأن الوصف فى المعنى هو الموصوف ، ألا ترى أنك إذا قلت : قام زيد العاقل ، وذهب عمرو الظريف أن العاقل فى المعنى هو زيد، والظريف فى المعنى هو عمرو ، ولهذا لما تنزل الخبر منزلة الوصف كان تابعاً للمبتدأ فى الرفع ؛ كما تتبع الصفة الموصوف ، (٧٦) .

٢- الموقعية :

جعل النحاة لما يقع موقع الخبر أو الحال أو النعت شروطاً ، قد تتفق أو تختلف من باب إلى آخر ، أهمها شرط الاشتقاق ووقوع المصدر أو الجملة تلك المواقع وهو ما نتناوله بالتفصيل فيما يلى :

ينقسم الخبر إلى مفرد وجملة ، والخبر المفرد عند النحاة إما أن يكون مشتقاً أو جامداً ، ومن الجامد ما يمكن تأويله بالمشتق ، ومنه ما لايمكن تأويله ، ويبدو أن النحاة لم يشترطوا تأويل الجامد بالمشتق حتى يكون خبراً ؛ إذ إن النحاة لم يذكروا ذلك التأويل إلا عند حديثهم عن تحمل الخبر المفرد للضمير ، وإن كنا نجد عندهم اقتناعاً بوجود معنى الحدث فى الخبر إذا كان جامداً أو ظرفاً أو جاراً ومجروراً .

والخبر المفرد المشتق يكون فى معنى الفعل – عند ابن يعيش – وإذا كان اسماً محضاً غير مشتق من فعل مثل : زيد أخوك وعمرو غلامك ، يكون عارياً من الوصفية ، لكن الكوفيين يقولون إنه فى معنى ما هو صفة ، لأننا إذا قلنا : زيد أخوك وجعفر غلامك لم نرد الإخبار عن الشخص بأنه مسمى بهذه الأسماء ، وإنما المراد إسناد معنى الأخوة وهى القرابة ومعنى الغلامية وهى الخدمة إليه ، وهذه المعانى معانى أفعال ، ولا يعترض البصريون على ذلك وإنما لا يعدون ذلك علة لتحمل الجامد الضمير كما يتحمله المشتق (٧٧) .

وينقسم الجامد عند الرضى إلى ما يتحمل التأويل بالمشتق مثل : هذا القاع عرفج كله ، أى : غليظ ، وما لا يؤول بالمشتق ، ومنه : زيد أخوك ، إلا أنه يقول : إن

---

(٧٦) الإنصاف في مسائل الخلاف ٤٧/١ .

(٧٧) راجع شرح ابن يعيش ٨٧/١ ، ٨٨ .

الكسائى جعله مما يتحمل الضمير و «كأنه نظر إلى أن معنى : زيد أخوك متصف بالأخوة ، وهذا زيد ، أى متصف بالزيدية أو محكوم عليه بكذا» [٧٨] ، ويلخص ابن الناظم فى شرح الألفية ذلك ، ويذهب إلى أن الخبر الجامد لا يحتاج إلى التأويل بالمشتق ، بل يكفى لصحة الإخبارية به كونه صادقاً على ما صدق عليه المبتدأ [٧٩] ، وقد عرض شراح الألفية آراء البصريين والكوفيين فى تحمل الضمير اعتمادا على الاشتقاق والتأويل به [٨٠] .

أما الظرف فإنه عند النحاة ليس الخبر ، وإنما الخبر محذوف ، والمحذوف معنى الاستقرار ، فمثل : زيد خلفك ، وعمرو فى الدار – عند ابن السراج – معناه زيد مستقر خلفك وعمرو مستقر فى الدار [٨١] ويقول ابن يعيش إن «الخبر إذا وقع ظرفاً أو جاراً ومجروراً نحو : زيد فى الدار ، وعمرو عندك ليس الظرف بالخبر على الحقيقة ؛ لأن الدار ليست من زيد فى شيء ، وإنما الظرف معمول للخبر ، ونائب عنه ، والتقدير ، زيد استقر عندك أو حدث أو وقع ، ونحو ذلك ، فهذه هى الأخبار فى الحقيقة بلا خلاف بين البصريين» [٨٢] .

وقال ابن الناظم إن المصحح للإخبار بالظرف والجار والمجرور «تضمنهما معنى صادقاً على المبتدأ ، ولك أن تقدره بمفرد نحو : كائن أو مستقر ، ولك أن تقدره بجملة نحو : كان أو استقر» [٨٣] ، ويعرض ابن عقيل آراء النحاة فى ذلك الخبر المحذوف ، وينسب إلى ابن السراج أنه يجعل الظرف أو المجرور قسماً برأسه وليس من قبيل المفرد ولا من قبيل الجملة [٨٤] .

واشترط جمهور النحاة أن تكون الحال مشتقة ، فإذا جاءت جامدة أولوها بالمشتق ، واعترض الرضى على ذلك شارحاً قول ابن الحاجب حيث قال «قوله (وكل ما دل على هيئة صح أن يقع حالاً ، نحو : هذا بسراً أطيب منه رطباً) هذا رد على النحاة فإن جمهورهم شرطوا اشتقاق الحال وإن كان جامداً تكلفوا رده بالتأويل إلى

---

(٧٨) شرح الكافية للرضي ١/٩٧

(٧٩) شرح ابن الناظم ١١٠ .

(٨٠) راجع : شرح ابن عقيل ١/د٢٠ أوضح المسالك ١/١٩٤ .

(٨١) الأصول ١/٦٣ .

(٨٢) شرح ابن بعيش ١/٩٠ وقد عرض اختلافهم في تقدير المحذوف هل هو فعل أم اسم

(٨٣) شرح ابن الناظم ١١١ .

(٨٤) شرح ابن عقيل ١/٢١٠ ، ٢١١ ، وقد عرضنا رأي ابن السراج وهو محاله لذلك وراجع أوضح المسالك ١/٢٠١ .

المشتق ، قالوا إنها فى المعنى صفة والصفة مشتقة أو فى معنى المشتق ، فقالوا فى نحو : هذا بسراً أطيب منه رطباً ، هذا مبسراً أطيب منه مرطباً ، أى : كائناً بسراً ، وكائناً رطباً و ﴿ وهَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ﴾ – هود ٦٤ ، أى : دالة ، قال المصنف – وهو الحق – : لا حاجة إلى هذا التكلف ؛ لأن الحال هو المبين للهيئة ، كما ذكره فى حده ، وكل ما قام بهذه الفائدة فقد حصل فيه المطلوب من الحال ، فلا يتكلف تأويله بالمشتق وكذا رد عليهم اشتراط اشتقاق الصفة ، كما يجيء فى بابهما ، ومع هذا فلا شك أن الأغلب فى الحال والوصف الاشتقاق»[٨٥] ، وكون هذا الشرط غالباً يأتى فى قول ابن مالك : وكونه منتقلاً مشتقاً يغلب ، ولكن ليس مستحقاً وقد تبعه شراح الألفية فى ذلك[٨٦] ، وقال ابن الناظم إن «الأكثر فى كلامهم أن تكون الحال مشتقة ؛ لأنه لابد أن تدل على حدث وصاحبه ، وإلا لم تفد بيان هيئة ما هى له ، والأكثر فيما يدل على حدث وصاحبه أن يكون مشتقاً ، نحو : ضارب ، وعالم ، وكريم . وقد يكون جامداً فى تأويل المشتق »[٨٧] ، أما عن النعت ، فإننا نجد سيبويه لا يجيز النعت بالجوهر ، ويجيز أن يكون حالاً أو خبراً ، فقد أجاز أن نقول هذا راقود خلا ، وعليه نحى سمناً ، بالنصب ثم قال «وإنما فررت إلى النصب فى هذا الباب ، كما فررت إلى الرفع فى قولك : بصحيفة طين خاتمها ؛ لأن الطين اسم وليس مما يوصف به ، ولكنه جوهر يضاف إليه ما كان منه[٨٨] ، فلم يجز سيبويه الوصف بلفظة (طين) لأنها جوهر ، وقبح حملها على الصفة ، وأجاز أن تكون حالاً أو خبراً ، فقال «ومن قال: مررت بصحيفة طين خاتمها قال: هذا راقود خل وهذه صفة خز . وهذا قبيح أجرى على غير وجه ، ولكنه حسن أن يبنى على المبتدأ أو يكون حالاً . فالحال قولك : هذه جبتك خزاً . والمبنى على المبتدأ قولك: جبتك خزٌ . ولى يكون صفة فيشبه الأسماء التى أخذت من الفعل» [٨٩] .

فسيبويه إذن يفرق بين نوعين من الأسماء أحدهما الجوهر ، وهذا يكون موصوفا ولا يكون صفة ، أما الصفة فتكون الأسماء التى أخذت من الفعل ، أى

---

(٨٥) شرح الكافية للرضي ٢٠٧/١ .

(٨٦) راجع : أوضح المسالك ٢٩٧/٢ ، شرح ابن عقيل ٢٤٤/٢ ، ٢٤٥ .

(٨٧) شرح ابن الناظم ٣١٢،٣١٣ .

(٨٨) الكتاب ١١٧/٢ وهي منصوبة عند السيرافي والمبرد علي التمييز ، وسيبويه لم يقل إنها حال، وإنما صرح بذلك في (هذه جبتك خزاً) الكتاب ١١٨/٢ .

(٨٩) نفسه ١١٧/٢ ، ١١٨ وراجع : ٣٩٦/١ .

المشتقات ، وهو يجيز أن تكون الحال والخبر من الأسماء الجامدة لكنه يقبح ذلك فى الصفة .

ولا يجيز المبرد النعت بالجوهر ، لأن النعوت تحلية ، والجواهر هى المنعوتات(٩٠) ، وحق الجواهر أن تكون منعوتة ليـ -رف بعضها من بعض ، وحق الأسماء المأخوذة من الأفعال أن تكون نعوتاً ، فالنعت يكون بالمشتقات ، ثم يقول إن بعض النحاة قد أجاز أن ينعت بالجوهر ، فأجازوا هذا راقود خل ، وهذا خاتم حديد ، لكنه يعرب المرفوع هنا (خل) و(حديد) بدلاً (٩١) .

فإذا جاء النعت غير مشتق فإنه يؤول بالمشتق ، وهذا ما يتضح فى قول المبرد الذى ربط بين الاشتقاق والتحلية «إذا قلت : مررت برجل عاقل أو طويل - فمن الفعل أخذته فتحليته به . فإذا قلت مررت برجل مثلك أو حسبك من رجل ، أو مررت برجل أيما رجل - فمعنى مثلك إنما هو يشبهك ، وأيما رجل معناه : كامل ، وقولك : حسبك إنما معناه يكفيك .... فهذا ما كان من التحلية التى لا تكون إلا عن فعل وما ضارع ذلك فراجع إلى معناه» (٩٢) .

ويقسم ابن السراج النعت بحسب ما ينعت به إلى :

١- حلية للموصوف تكون فيه أو فى شىء من سببه ، مثل الزرقة والحمرة والحول والعور والطول والقصر ... الخ .

٢- فعل للموصوف يكون به فاعلاً أو متصلاً بشىء من سببه مثل : قائم ، وقاعد ، وضارب ، ونائم ، فهذه صفة استحقها الموصوف بفعله ؛ لأنه لما قام وجب أن يقال له قائم ... وكذلك بقية أسماء الفاعلين (٩٣) .

٣- ما كان صفة غير عمل ولا حلية ، مثل : العقل والفهم والعلم والحزن مثل : مررت برجل عالم (٩٤) ، أى الصفات الداخلية ، وهذه الأقسام الثلاثة تدخل فى المشتقات .

---

(٩٠) المقتضب ٢٤٥/٣ .

(٩١) نفسه ٢٦٠/٣ .

(٩٢) نفسه ٢٨٥/٤ . وراجع أيضاً ١٨٥/٣ ، ٢٥٩ .

(٩٣) الأصول ٢٤/٢ ، ٢٥ .

(٩٤) نفسه ٢٦/١ .

٤- النسب : وهو يجرى مجرى النعوت .... وقد صار صفة بما له من معنى الصفة- أى المشتق - [٩٥] .

٥- الوصف بذى : ويفسر بأن معناه «صاحب» ، ولا يكون إلا مضافاً ، وإذا وصفت به نكرة أضفته إلى نكرة ، و وصفت به معرفة أضفته إلى الألف واللام[٩٦].

وقد جاءت هذه الأقسام أيضاًعند عبد القاهر بنفس الترتيب [٩٧] ، ويبدو شرط الاشتقاق واضحاً حتى فى النسب والوصف بذى إذ تؤول بمعنى المشتق .

وشرط الاشتقاق واضح تماماً عند الزمخشرى وابن يعيش الذى يقول «: ولا تكون الصفة إلا مأخوذة من فعل أو راجعاً إلى معنى الفعل ، وذلك كاسم الفاعل .... وذلك ليدل باشتقاقه على الحال التى اشتق منها ، مما لا يوجد فى مشاركه فى الاسم فيتميز بذلك . وقد وصفوا بأسماء غير مشتقة ترجع إلى معنى المشتق» [٩٨] ، ويأخذ فى تأويل المنسوب والموصوف بذى فمعنى (تميمى) منسوب إلى تميم ، وذو مال بمعنى صاحب مال ، ومررت برجل أى رجل ، كامل فى الرجولية ، وكذلك الصفة فى قول الشاعر :

هو الفتى كل الفتى فاعلموا لايفسد اللحم لديه الصلول

أى هو الكامل فى الفتيان، وكذلك «هو العالم جد العلم» معناه البالغ الكامل ، ومررت برجل صدق ، وبرجل رجل سوء أى : رجل صالح ، ورجل فاسد [٩٩] .

ثم وقف عند الوصف باسم الجنس والجوهر فعرض قول سيبويه الذى يجيز فيه أن يكون الجوهر خبراً أو حالاً ولا يجيز أن يكون صفة ، ثم قال إنه لا فرق بين الحال والنعت والخبر فى مثل : برجل أسد ، وذلك أنه ليس المراد من الأسد شخصه ، وإنما المراد أنه فى الشدة مثله والصفة والحال فى ذلك سواء ، وليس كذلك الحديد والدرهم فى مثل : هذا خاتم حديد ، فإن المراد هنا الجوهر [١٠٠] وكذلك أول ابن يعيش

---

(٩٥) نفسه ٢٦/٢ ، ٢٧ . وراجع الكتاب ٢١٠/١ ، شرح ابن يعيش ٤٨/٣ شرح الكافية ٢٨٠/١، ٢٨١ .

(٩٦) نفسه ٢٧/٢ أي أنه لايوصف به إلا مضافاً .

(٩٧) الجمل في النحو لعبد القاهر ٩٩ .

(٩٨) راجع شرح ابن يعيش ٤٨/٣ .

(٩٩) راجع شرح ابن يعيش ٤٨/٣،٤٩/٣ الكتاب ١٢/٢ ، ١٣ .

(١٠٠) نفسه ٤٩/٣ وراجع الأصول في النحو ٢٨/٢ .

والسيوطى اسم الإشارة بالمشتق فمعنى (هذا) أى الحاضر أو المشار إليه (١٠١) .

أما الرضى فيقول «إن جمهور النحاة شرطوا فى الوصف الاشتقاق ، فلذلك استضعف سيبويه نحو : (مررت برجل أسد) وصفاً ، ولم يستضعف (بزيد أسداً) حالاً ، فكأنه يشترط فى الوصف لا فى الحال الاشتقاق ، وفى الفرق بينهما نظر ، والنحاة يشترطون ذلك فيهما معاً ، والمصنف لا يشترطه فيهما ، ويكتفى بكون الوصف دالاً على معنى فى متبوعه ، مشتقاً كان أو لا ، ويكون الحال هيئة للفاعل أو المفعول » (١٠٢) ، فهو لايشترط الاشتقاق هنا ، ويجعل ذلك شرطاً غالباً فى موضع آخر(١٠٣) ، ثم يؤول النعوت الجامدة بالمشتق على اعتبار المعنى (١٠٤) .

ويشترط ابن معط الاشتقاق فى النعت ، فيعرفه بأنه التابع المشتق أو المؤول بالمشتق (١٠٥) ، ثم يقول إن شرط النعت «أن يكون مشتقاً أو فى حكم المشتق» (١٠٦) ، والمشتق عنده - إما حلية أو نسب أو فعل أو صناعة (١٠٧) ، فيدخل بذلك أنواع النعت كلها فى المشتقات .

وقال ابن مالك :

وانعت بمشتق كصعب وذربْ وشبهه ، كذا ، وذى المنتسبْ

وشرح ابن عقيل ذلك بأنه لاينعت إلا بمشتق لفظاً وتأويلاً ، ثم حد المشتق بأنه ما أخذ من المصدر للدلالة على معنى وصاحبه كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعل التفضيل ، وأول اسم الإشارة وذا التى بمعنى صاحب والموصولة والمنتسب (١٠٨) ، وقال ابن الناظم إن النعت « لايكون إلا مشتقاً أو مؤولاً بالمشتق ، لأن الجوامد لا دلالة لها بوضعها على معان منسوبة إلى غيرها» (١٠٩) .

---

(١٠١) نفسه ٣/٥٧ ، همع الهوامع ٥/١٧٨ .
(١٠٢) شرح الكافية للرضي ١/٣٠٣ .
(١٠٣) نفسه ١/٢٠٧ ، ٢٠٨ .
(١٠٤) نفسه ١/٣٠٣ ، ٣٠٤ .
(١٠٥) الفصول الخمسون ٢٤٩ .
(١٠٦) نفسه ٢٣٤ .
(١٠٧) نفسه ٢٣٤ ، ٢٣٥ .
(١٠٨) شرح ابن عقيل ٣/١٩٥ ، وراجع : أوضح المسالك ٣/٣٠٤ ، ٣٠٦ ، شرح ابن الناظم ٤٩٣ .
(١٠٩) شرح ابن الناظم ٤٩٠ ، ٤٩١ .

وقد عرض السيوطى لما ينعت وما ينعت به ، وكلامه مبنى على أنه ينعت بالمشتق أو المؤول بالمشتق ، وأن المنعوت جامد (١١٠) .

وقد جعل النحاة شرط الاشتقاق للفصل بين النعت وعطف البيان ، قال ابن السراج «وإنما سمى عطف البيـ ن ، ولم يقل إنه نعت لأنه اسم غير مشتق من فعل، ولا هو تحلية ولا ضرب من ضروب الصفات فعدل النحويون عن تسميته نعتاً»(١١١) .

وفرق الشلوبين بين النعت وعطف البيان ، فقال إن «عطف البيان لايكون نعتاً لمانع عدم الاشتقاق ، أو معناه فيه» (١١٢) . وكذلك فرق ابن معط بينهما بقوله إن عطف البيان : هو اسم يفسره اسم ، كما يفسره النعت، إلا أنه ليس مشتقاً ولا فى حكم المشتق (١١٣) ، وفرق ابن يعيش بينهما بقوله إن «النعت إنما يكون بما هو مأخوذ من فعل أو حلية نحو : ضارب ، ومضروب وعالم ومعلوم وطويل وقصير ونحوها من الصفات ، وعطف البيان يكون بالأسماء الصريحة غير المأخوذة من الفعل ، (١١٤) ، ومثل ذلك نجده عند شراح الألفية (١١٥) ، وكذلك عند ابن هشام فى تعريف النعت حيث فرق بينه وبين التوابع الأخرى بالاشتقاق (١١٦) ، واشترط السيوطى الجمود فى عطف البيان ولو تأويلاً ، للفرق بينه وبين النعت (١١٧) .

المصـــــدر

جعل سيبويه المصدر خبراً على السعة فى قول الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هى إقبال وإدبار (١١٨) .

ووقف المبرد عند قولهم (زيدسيريا فتى) فقال إن (سير) يجوز أن تكون خبراً على وجهين «أحدهما : أن يكون : زيد صاحب سير، فأقمت المضاف إليه مقام

(١١٠) راجع: همع الهوامع ١٧٥/٥ ، وما بعدها ، الكتاب / ٤٢٥ .
(١١١) الأصول في النحو ٤٥/٢ .
(١١٢) التوطئة ١٨٥ وراجع أيضاً : اللمع لابن جني ١٧٧، التسهيل ١٧١ ، المقرب ٢٧٢ .
(١١٣) الفصول الخمسون ٢٣٦ .
(١١٤) شرح ابن يعيش ٧١/٣ .
(١١٥) راجع : شرح ابن الناظم ٥١٤ ، شرح ابن عقيل ٢١٩/٣ .
(١١٦) شرح قطر الندى ٤٠٠، ٤٠١، ٤٢١، شرح شذور الذهب ٥١٢ .
(١١٧) همع الهوامع ١٩٠/٥ .
(١١٨) الكتاب ٣٣٦/١ ، ٣٣٧ ، والبيت فى ديوانها ٤٨ .

المضاف ؛ لما يدل عليه ، كما قال الله عز وجل ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ – (يوسف ٨٢)، إنما هو : أهل القرية ، كما قال الشاعر :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت   فـإنما هي إقبـال وإدبـار

أي ذات إقبال وإدبار ، ويكون على أنه جعلها الإقبال والإدبار لكثرة ذلك منها وكذلك قوله عز وجل ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ (البقرة ١٧٧) الوجه : ولكن البرير من آمن بالله ، ويجوز أن يوضع البر في موضع البار» (١١٩) ، فالمصدر لايقع خبراً عنده إلا بتأويل ، فإما أن يكون ذلك على حذف المضاف ، أو أن يكون المصدر بمعنى اسم الفاعل ، وهذا ما نجده عند السيرافي والرضي (١٢٠) .

ونجد سيبويه يتعرض لوقوع الحال مصدراً في أكثر من باب ، من ذلك قوله» باب ما ينتصب من المصادر ؛ لأنه حال وقع فيه الأمر فانتصب ؛ لأنه موقوع فيه الأمر ، وذلك قولك : قتلته صبراً ... لأن المصدر هاهنا في موضع فاعل إذا كان حالاً» (١٢١) ، فالمصدر عنده وقع حالاً ، وإن كان هذا ليس القياس ، والمصدر هنا في موضع اسم الفاعل ، وهذا ما نفهمه من قول السيرافي إن «مذهب سيبويه في : أتيت زيدا ماشياً وركضا وعدواً وما ذكره معه ، أن المصدر في موضع الحال، كأنه قال: أتيته ماشياً وراكضاً وعادياً ، وكذلك (صبراً) أي : قتلته مصبوراً ... وليس ذلك بقياس مطرد ؛ لأنه شيء وضع في موضع غيره ... وكان أبو العباس يجيز هذا في كل شيء دل عليه الفعل» (١٢٢)، على حين ينقل سيبويه عن الخليل ما يفهم منه أنه يجيز وقوع المصدر حالاً (١٢٣) . ويكرر الزمخشري وابن يعيش ذلك؛ فالمصدر يقع في موضع الحال ، والتقدير في مثل : أتيته ركضاً ، وقتلته صبراً ، أتيته راكضاً ، وقتلته مصبوراً، ويعرضان مذهبين ، أحدهما مذهب سيبويه الذي يرى فيه أن ذلك ليس بقياس مطرد، وإنما يستعمل فيما استعملته العرب ؛ لأنه شيء وضع موضع غيره ، والآخر مذهب المبرد الذي يجيز هذا في كل شيء يدل عليه الفعل (١٢٤) .

---

(١١٩) المقتضب ٢٣٠/٣ ، ٢٣١ .

(١٢٠) راجع هامش الكتاب ٢٣٧/١ ، شرح الكافية ٩٦/١ ، ٩٧ .

(١٢١) الكتاب ٣٧٠/١ .

(١٢٢) نفس المصدر والصفحة هامش ٥

(١٢٣) راجع : الكتاب ٣٠٤/١ ، وهامش ٣ للسيرافي في نفس الصفحة .

(١٢٤) راجع : المفصل ٦٢، شرح ابن يعيش ٥٩/٢ .

ونجد هذا أيضاً عند شراح الألفية ، يقول ابن الناظم «الحال وصاحبها خبر ومخبر عنه في المعنى ، فحق الحال أن تدل على ما يدل عليه نفس صاحبها ، كالخبر بالنسبة إلى المبتدأ . ومقتضى هذا ألا يكون المصدر حالاً ؛ لئلا يلزم الإخبار بمعنى عن عين فإن ورد شيء من ذلك حفظ ، ولم يقس عليه ، إلا فيما أذكره لك» (١٢٥) ، ويعدد حالات ورود المصدر حالاً (١٢٦) . ويقول ابن عقيل «حق الحال أن يكون وصفاً – وهو ما دل على معنى وصاحبه كقائم وحسن ومضروب – فوقوعها مصدراً على خلاف الأصل ، إذ لا دلالة فيه على صاحب المعنى .

وقد كثر مجيء الحال مصدراً نكرة ، ولكنه ليس بمقيس ؛ لمجيئه على خلاف الأصل» (١٢٧) .

أما عن النعت فإننا نجد ابن السراج يجيز أن يكون المصدر نعتاً إلا أنه يؤوله فيقول «واعلم أنهم ربما وصفوا بالمصدر نحو قولك : رجل عدل وعلم ، فإذا فعلوا هذا فحقه أن لا يثنى ولا يجمع ولا يذكر ولا يؤنث ، والمعنى إنما هو ذو عدل» (١٢٨) .

وأجاز الزمخشري النعت بالمصدر سواء أكان مضافاً مثل حسبك أو غير مضاف مثل عدل وعلم ، وفسر ابن يعيش ذلك بطريقتين ، فهذه المصادر إما أن يكون قصد بها معنى المبالغة «كأنهم جعلوا الموصوف ذلك المعنى لكثرة حصوله منه» وقالوا : رجل عدل ، ورضى وفضل لكثرة عدله والرضى عنه وفضله جعلوه نفس العدل والرضى والفضل ، ويجوز أن يكونوا وضعوا المصدر موضع اسم الفاعل اتساعاً فعدل بمعنى عادل وماء غور بمعنى غائر ، ورجل صوم وفطر بمعنى صائم أو مفطر» (١٢٩) ، أما المصادر المضافة فلا يوجهها إلا بطريقة واحدة هي أن تكون بمعنى اسم الفاعل ، فحسبك بمعنى محسب .... وهكذا (١٢٩) .

وقد قسم الرضى الصفات الجامدة إلى قياسية وسماعية ، وجعل المصادر من السماعية الشائعة ، وقال إن الأغلب أن تكون بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول ، ويعرض القول بحذف المضاف ، لكنه يفضل أن يقال إن اسم الحدث قد أطلق على

---

(١٢٥) شرح ابن الناظم ٣١٦، وراجع : أوضح المسالك ٣٠٥/٢ .

(١٢٦) نفسه ٣١٨،٣١٧ .

(١٢٧) شرح ابن عقيل ٢٥٢/٢ ، ٢٥٣ ، وقد عرض آراء النحاة في إعراب المصدر .

(١٢٨) الأصول في النحو ٣١/٢ .

(١٢٩) شرح ابن يعيش ٥٠/٣ .

الفاعل والمفعول مبالغة ، كأنهما من كثرة الفعل تجسما منه (١٣٠) ، وهو قول ابن يعيش فيما سبق .

أما ابن عقيل فيعد النعت بالمصدر على خلاف الأصل ؛ لأنه يدل على المعنى، لاعلى صاحبه ، وهو مؤول على أنه بمعنى اسم الفاعل ، أو على تقدير مضاف أو على المبالغة بجعل العين (المنعوت) نفس المعنى (المصدر - النعت) مجازاً أو ادعاء (١٣١) ، وينسب ابن هشام التأويل بالمشتق للكوفيين وتقدير المضاف للبصريين(١٣٢) .

الجملة :

اشترط النحاة فى الجملة التى تقع نعتاً شروطاً ثلاثة (١٣٣) ؛ أولها : أن يكون المنعوت نكرة ، وقد علل عبد القاهر ذلك بأن «الجمل نكرت كلها فتوصف بكل واحدة منها الأسماء النكرات» (١٣٤) ، وقال الرضى أن الجملة لاتعد نكرة ، ولا معرفة ولكنها مناسبة للنكرة من حيث يصح تأويلها بالنكرة (١٣٥) ، وهو قول ابن عقيل أيضاً الذى عرض قول بعضهم إنه يجوز نعت المعرف بالألف واللام الجنسية بالجملة ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ - يس ٣٧ ، وقول الشاعر :

ولقد أمر على اللئيم يسبنى ... فمضيت ثمت قلت لايعنينى

ثم قال لايتعين ذلك لجواز أن يكون (نسلخ) ، (يسبنى) حالين (١٣٦) .

وإذا نظرنا إلى الآية والبيت نجد أن المنعوت (الليل) ، و(اللئيم) يدل على الجنس وهو معنى عام ، ومن هنا كان الوصف (الجملة) يدل على الثبات والعادة وهما من خصائص النعت ، أما إذا كان المقصود (ليل محدد) ، أو (لئيم محدد) معرفة ، إذا قلنا مثلا (ولقد أمر على فلان يسبنى) ، فإن دلالة الجملة هنا دلالة انتقال فتكون حالاً.

---

(١٣٠) شرح الكافية ٣٠٦/١ .

(١٣١) شرح ابن عقيل ٢٠١/٣ .

(١٣٢) أوضح المسالك ٣١٢/٣ .

(١٣٣) راجع شرح ابن يعيش ٥٢/٣ ، المقتصد شرح الإيضاح ٩١١/٢ ، شرح الكافية ٣٠٧/١ الفوائد الضيائية ٣٦/٢ ، شرح ابن عقيل ١٩٥/٣ .

(١٣٤) المقتصد ٩١١/٢ .

(١٣٥) شرح الكافية ٣٠٧/١ .

(١٣٦) شرح ابن عقيل ١٩٥/٣، ١٩٦ .

وبطبيعة الحال لن نجد هذا الشرط مع الخبر أو الحال ؛ لأن الأصل فى المبتدأ وصاحب الحال أن يكونا معرفتين . الشرط الثانى فى جملة النعت أن تكون جملة خبرية تحتمل الصدق والكذب ؛ فلا تقع الجملة الطلبية نعتاً ؛ لأن الأمر والنهى والاستفهام وغيرها لا يكون فيها وضوح ، والصفة يطلب فيها الوضوح ، وهى ليست أخباراً محضة (١٣٧) ، «فالغرض من الصفة الإيضاح والبيان بذكر حال ثابتة للموصوف يعرفها المخاطب له ليست لمشاركة فى اسمه ، والأمر والنهى والاستفهام ليست بأحوال ثابتة للمذكور يختص بها ، إنما هو طلب واستعلام لا اختصاص بشخص دون شخص» (١٣٨) . وقد ركز الرضى على أن السبب فى ذلك أن الجملة الخبرية تفيد إيضاحاً أو صفة ثابتة ، كان يعرفها المخاطب من قبل أما الجملة الطلبية فلا تفيد ذلك (١٣٩) .

ولا تقع الجملة الطلبية نعتاً إلا بتأويل بعيد (١٤٠) ، وقد أولوا ذلك فى قول الشاعر:

حتى إذا جن الظلام واختلط   جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

على الحكاية وتقدير القول والتقدير جاءوا بمذق مقول فيه هل رأيت الذئب قط(١٤١) ، ويكون القول المضمر صفة والجملة الطلبية معمول القول المضمر (١٤٢) .

وإذا كان النحاة يشترطون ذلك فى الجملة الواقعة نعتاً ، فإنهم يختلفون فى الجملة الواقعة خبراً ، فقد أجاز سيبويه وقوع الجملة الطلبية خبراً ، ويفهم ذلك من قوله «وقد يكون فى الأمر والنهى أن يبنى الفعل على الاسم ، وذلك قولك : عبد الله اضربه، ابتدأت عبد الله فرفعته بالابتداء ، ونبهت المخاطب له لتعرف باسمه ، ثم بنيت الفعل عليه ، كما فعلت ذلك فى الخبر» (١٤٣) ، وقد جاز ذلك هنا لأن معنى قولك :زيد اضربه ، واضرب زيداً واحد ، فلما صحت الفائدة جاز أن يكون الخبر أمراً فى اللفظ لأن (زيد) مفعول فى المعنى ، ولو قلنا : مررت برجل اضربه ، لم يكن له

---

(١٣٧) المقتصد ٢/٩١١ ، ٩١٢ .
(١٣٨) شرح ابن يعيش ٣/٥٣ .
(١٣٩) شرح الكافية ١/٣٠٧ .
(١٤٠) الفوائد الضيائية ٢/٣٦ .
(١٤١) راجع : المقتصد ٢/٩١٢ ، شرح ابن يعيش ٣/٥٣ .
(١٤٢) شرح ابن عقيل ٣/١٩٩ .
(١٤٣) الكتاب ١/١٣٨ .

فائدة، إذ لانقدر أن نجعل (رجلاً) منصوباً ، فنقول مررت باضرب رجلاً (١٤٤) وعبد القاهر هنا يحكم البنية العميقة فى قوله إن (زيد اضربه، واضرب زيداً واحد) ، ولا يخفى ارتباط ذلك بالمعنى ونقل الرضى عن ابن الأنبارى وبعض الكوفيين أنه لايصح أن تكون جملة الخبر طلبية لأن الخبر ما يحتمل الصدق والكذب ، ثم قال إن ذلك وهم من قبل إيهام لفظ خبر المبتدأ ، وليس المراد بخبر المبتدأ عند النحاة ما يحتمل الصدق والكذب ، واستدل بقوله تعالى ﴿ بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ ﴾ – ص٦٠(١٤٥)، ونقل السيوطى ذلك عن ابن الأنبارى أيضاً ورده بأن مسألة الصدق والكذب لا يحتملها المفرد ، وبمجيئه سماعاً فى قول الشاعر :

قلب من عيل صبره كيف يسلو صالياً نار لوعة وغرامِ

ونقل عن ابن السراج تقديره القول قبلها (١٤٦) .

وقال ابن يعيش إن الجملة الطلبية لا تقع خبراً (١٤٧)بينما أجاز الرضى ذلك لأن خبر المبتدأ ليس معرفاً للمبتدأ ولا مخصصاً له (١٤٨) ، وهو ما يعنى ارتباط ذلك بالغرض الدلالى للنعت والخبر ، ولخص ابن عقيل خلاف النحاة فى ذلك (١٤٩) .

كذلك اشترط النحاة فى جملة الحال أن تكون خبرية ، وعلل الرضى ذلك بأننا فى الطلبية لسنا على يقين من حصول مضمونها (١٥٠) .

وعرض السيوطى لذلك فاشترط أن «تقع الحال جملة خبرية خالية من دليل استقبال ، أو تعجب ، فلا تقع جملة طلبية ، ولا تعجبية ولا ذات السين أو سوف أو لن أو لا» (١٥١) .

ثم عرض قول الفراء بتجويز ذلك وتأويل النحاة لها فقال «وجوز الفراء وقوع

(١٤٤) راجع : المقتصد ٩١٢/٢ .
(١٤٥) شرح الكافية ٩١/١ .
(١٤٦) همع الهوامع ١٤/٢ .
(١٤٧) شرح ابن يعيش ٥٣/٣ .
(١٤٨) شرح الكافية ٣٠٧/١ .
(١٤٩) شرح ابن عقيل ٢٠٠/٣ .
(١٥٠) شرح الكافية ٢١١/١ .
(١٥١) همع الهوامع ٤٢/٤ ،٤٣، وراجع : شرح التصريح ٣٩٩/١ حاشية يس .

جملة الأمر تمسكاً بنحو : وجدت الناس أخبر تقله ، وأجيب بأنه على تقدير مقولاً فيهم» (١٥٢)

وقد جعل ابن الأنبارى مجيء النعت والحال جملة طلبية من السعة فى اللغة ، وقال إن تلك الأشياء جاءت فى غير أماكنها ، وأول ذلك على حذف فعل القول (١٥٢) .

الشرط الثالث : أن يكون فى جملة النعت ضمير يعود إلى الموصوف حتى لا تكون جملة النعت أجنبية من الموصوف (١٥٣) وقد علل ابن يعيش ذلك بأن «الصفة كالخبر ، فكما لابد من عائد إلى المبتدأ إذا وقعت خبراً ، كذلك لابد منه فى الجملة إذا وقعت صفة (١٥٤) ، وقد يحذف هذا العائد للدلالة عليه كقول الشاعر :

وما أدرى أغيرهم تناءٍ ... وطولُ الدهر أم مالٌ أصابوا

أى أصابوه (١٥٥) وهذا شرط الجملة الواقعة خبراً أيضاً ، فإذا فقدت هذا الشرط لم يصح أن تكون الجملة خبراً عن المبتدأ (١٥٦) ، لأن الجملة الثانية كلام مستقل بنفسه ، فإذا لم يكن فيها رابط يربطها بالمبتدأ حتى تصير خبراً وتصير من تمام المبتدأ كانت جملة أجنبية عن المبتدأ ولا تكون خبراً عنه (١٥٧) فإن كانت جملة الخبر هى المبتدأ فى المعنى لم تحتج إلى رابط (١٥٨) .

وكذلك اشترطوا الرابط فى جملة الحال سواء كان الضمير أم الواو ، ويعلل ابن يعيش ذلك بقوله «إنما يلزم أن تأتى بما يعلق الجملة الثانية بالأولى ؛ لأن الجملة كلام مستقل بنفسه مفيد لمعناه ، فإذا وقعت الجملة حالاً فلابد فيها مما يعلقها بما قبلها ، ويربطها به لئلا يتوهم أنها مستأنفة ، وذلك يكون بأحد أمرين إما الواو وإما ضمير يعود منها إلى ما قبلها» (١٥٩) .

---

(١٥٢) الإنصاف في مسائل الخلاف ١/١١٥ – ١١٧ .
(١٥٣) المقتصد ٢/٩١١ .
(١٥٤) شرح ابن يعيش ٣/٥٢ .
(١٥٥) راجع الكتاب ١/٨٨ شرح ابن عقيل ٢/١٩٧ .
(١٥٦) المقتصد ١/٢٧٣ .
(١٥٧) شرح ابن يعيش ١/٨٨ ، ٨٩ .
(١٥٨) شرح الكافية ١/٩١ ، شرح ابن عقيل ١/٢٠٢ ، ٢٠٣ ، همع الهوامع ٢/١٥ ، شرح التصريح ١/١٦٢ .
(١٥٩) شرح ابن يعيش ٢/٦٦

وقد علل عبد القاهر جواز ربط جملة الحال بالواو دون الخبر بأن جملة الخبر لا تتم الفائدة دونها ، أما جملة الحال فهى زيادة فى الفائدة أو خبر آخر (١٦٠) ، وهو ما اتضح عند الرضى بعد ذلك فى قوله : إنما ربطوا الجملة الحالية بالواو دون الجملة التى هى خبر المبتدأ ، فإنه اكتفى فيها بالضمير ؛ لأن الحال يجىء فضلة بعد تمام الكلام فاحتج فى الأكثر إلى فضل ربط فصدرت الجملة التى أصلها الاستقلال بما هو موضوع للربط ، أعنى الواو التى أصلها الجمع، (١٦١) ، وكذلك قال ابن عقيل إن ،الأصل فى الحال والخبر والصفة الإفراد ، وتقع الجملة موقع الحال ، كما تقع موقع الخبر والصفة ، ولابد فيها من رابط ، وهو فى الحالية : إما ضمير ... أو واو وتسمى واو الحال ، وواو الابتداء (١٦٢) .

٣- الغرض أو الوظيفة الدلالية :

عرف ابن جنى اللغة بأنها ،أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، (١٦٣) . ولفظة (أصوات) هنا لا تختلف فى دلالتها عما قصده بها التحويليون ، فهى لا تعنى (الأصوات) فى مقابل (الكلمة) ، وإنما تعنى التركيب وسلسلة الألفاظ المنطوقة ، أما الأغراض فتعنى دلالة ذلك المنطوق ، وليست اللغة إلا العلاقة بين الأصوات والأغراض ، أو بين اللفظ والمعنى أو بين المنطوق والمفهوم ، أو بين المستوى السطحى والمستوى العميق (١٦٤) .

وكل تركيب له غرض ، فإذا مضينا وراء تراكيب الوصف فإننا نجد كل تركيب منها يعبر عن الوصف بشكل عام ، لكنه يختلف عن غيره من تراكيب الوصف الأخرى . لقد حدد النحاة أغراضاً للنعت هى دلالات للتعبير بتراكيب النعت ، مثّل بعضها فصلا بين النعت وغيره ، يقول ابن السراج ،وأصل الصفة أن يقع للنكرة دون المعرفة ؛ لأن المعرفة كان حقها أن تستغنى بنفسها ، وإنما عرض لها ضرب من التنكير فاحتيج إلى الصفة ، فأما النكرات فهى المستحقة للصفات لتقرب من المعارف، وتقع بها حينئذ الفائدة ، والصفة كل ما فرق بين موصوفين مشتركين فى

(١٦٠) راجع : دلائل الإعجاز ٢١٥،٢١٢ .

(١٦١) شرح الكافية ٢١١/١ .

(١٦٢) شرح ابن عقيل ٢٧٨/٢ ، وراجع : همع الهوامع ٤٥/٤ وما بعدها .

(١٦٣) الخصائص ٣٣/١ .

(١٦٤) راجع : النحو العربي والدرس الحديث ١٣٩، تشومسكي والثورة اللغوية ١٢٨ الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) ٩١ نظرية تشومسكي اللغوية / ليونز ١٨١ ، النحو والدلالة ٢٣ .

اللفظ»(١٦٥) . ويتبين من قوله أن الفائدة الأصلية للصفة إنما هى التعريف بالموصوف أو تقريبه من المعرفة ، فإن كان الموصوف معرفة فإنها حينئذ تكون للتفريق بينه وبين معرفة مثله لاشتراكهما فى اللفظ .

وتتضح الفائدة عند الزمخشرى فى قوله «والذى تساق له الصفة هو التفرقة بين المشتركين فى الاسم ، ويقال إنها للتخصيص فى النكرات وللتوضيح فى المعارف»(١٦٦) ، ويشرح ابن يعيش ذلك بقوله إن «الغرض بالنعت تخصيص نكرة أو إزالة اشتراك عارض فى معرفة ، فمثال صفة النكرة كقولك : هذا رجل عالم ... فرجل عالم أخص من رجل ، ومثال صفة المعرفة قولك : جاءنى زيد العاقل ... فالصفة هاهنا فصلته من زيد آخر ليس بعاقل ، وأزالت عنه هذه الشركة العارضة ، أى أنها اتفقت من غير قصد من الواضع إذ الأصل فى الأعلام أن يكون كل اسم بإزاء مسمى فتنفصل المسميات بالألقاب ، إلا أنه ربما ازدحمت المسميات بكثرتها فحصل ثم اشتراك عارض فأتى بالصفة لإزالة تلك الشركة ونفى اللبس ، فصفة المعرفة للتوضيح والبيان وصفة النكرة للتخصيص ، وهو إخراج الاسم من نوع إلى نوع أخص منه» ويبين الرضى معنى التخصيص للنكرات والتوضيح للمعارف فيقول إن «معنى التخصيص فى اصطلاحهم تقليل الاشتراك الحاصل فى النكرات ، وذلك أن (رجل) فى قولك جاءنى رجل صالح كان بوضع الواضع محتملاً لكل فرد من أفراد هذا النوع ، فلما قلت (صالح) قللت الاشتراك والاحتمال ، ومعنى التوضيح عندهم رفع الاشتراك الحاصل فى المعارف أعلاماً كانت أو لا ، نحو : زيد العالم ، والرجل الفاضل »(١٦٨) ، ففائدة النعت الأساسية إذن هى التعريف أو الاقتراب من التعريف ، ومعنى ذلك أن النعت يدخل التركيب ليفرق بين المنعوت وغيره ، ويزيل اشتراك المنعوت مع غيره من الأسماء ، فإذا كان الاسم معرفة فإنه لا يشترك مع غيره ، وبالتالى لا يحتاج إلى ما يفصله عنه ، ومن هنا فإن الضمائر لا تنعت لأنها أعرف المعارف ، فهى لاتحتاج إلى زيادة إيضاح أو تفسير ، يقول سيبويه «واعلم أن المضمر لايكون موصوفاً ، من قبل أنك إنما تضمر حين ترى أن المحدث قد عرف من تعنى»(١٦٩) ، ويقول الزجاجى «يجوز أن تنعت الأسماء كلها إلا المضمر فإنه لا ينعت ؛ لأن الاسم لايضمر

---

(١٦٥) الأصول في النحو ٢/٢٣ .
(١٦٦) شرح ابن يعيش ٣/٤٦ .
(١٦٧) نفسه ٣/٤٧ .
(١٦٨) شرح الكافية ١/٣٠٢، ٣٠٣ أوضح المسالك ٣/٣٠٠ .
(١٦٩) الكتاب ٢/١١ .

إلا بعد أن يعرف ، فقد استغنى عن النعت» (١٧٠) ، ويقول الشلوبين «المضمر لا ينعت لأن مفسره يهنيه» وأصل النعت لرفع الاشتراك» (١٧١) ، ويقول ابن يعيش «فأما المضمرات فلا توصف وذلك لوضوح معناها ، ومعرفة المخاطب بالمقصود بها ، إذ كنت لاتضمر الاسم إلا وقد عرف المخاطب إلى من يعود ومن تعنى فاستغنى لذلك عن الوصف» (١٧٢) .

وقد يكون للنعت أغراض أخرى ثانوية مثل المدح والذم ، ويكون ذلك إذا كان المنعوت لايحتاج إلى تخصيص أو توضيح ، وهذا ما يتضح من قول ابن يعيش «وقد يجيء النعت لمجرد الثناء والمدح لايراد به إزالة اشتراك ، ولاتخصيص نكرة ، بل لمجرد الثناء والمدح ، أو ضدهما من ذم أو تحقير ، وتعريف المخاطب من أمر الموصوف ما لم يكن يعرفه (١٧٣) ، وما جاء للثناء صفات الله سبحانه وتعالى نحو : الحى العالم القادر ، فإننا لانريد بذلك فصله من شريك له سبحانه ، وإنما المراد الثناء عليه بما فيه سبحانه على جهة الإخبار عن نفسه بما فيه لمعرفة ذلك والندب إليه(١٧٤)، ويقول الرضى «وإنما يكون لمجرد الثناء والذم إذا كان الموصوف معلوماً عند المخاطب سواء كان مما لاشريك له فى ذلك الاسم نحو ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ إذ لا شريك له تعالى فى اسم الله ، : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، أو كان مما له شريك فيه نحو : أتانى زيد الفاضل العالم . والفاسق الخبيث ، إذا عرف المخاطب زيداً الآتى قبل وصفه ، وإن كان له شركاء فى الاسم» (١٧٥) ، فإذا كان الاسم غنيا عن الإيضاح والتخصيص فإنه ينعت لقصد المدح أو الذم أو غير ذلك (١٧٦) .

وقد تجيء الصفة للتأكيد إذا كررت الصفة معنى الموصوف من مثل : أمس الدابر ، والميت العابر ، (١٧٧) ، ويفرق الرضى بين تلك الصفة وبين التوكيد ، فيقول «وإنما يكون الوصف للتأكيد إذا أفاد الموصوف معنى ذلك الوصف مصرحاً بالتضمن ،

---

(١٧٠) الجمل ١٦ .
(١٧١) التوطئة ١٨١ .
(١٧٢) شرح ابن يعيش ٥٦/٣ ، وراجع : همع الهوامع ١٧٥/٥ ، ١٧٦ .
(١٧٣) شرح ابن يعيش ٤٧/٣ .
(١٧٤) نفسه ٤٨/٣ .
(١٧٥) شرح الكافية ٣٠٣/١ .
(١٧٦) شرح ابن الناظم ٤٩١ .
(١٧٧) شرح ابن يعيش ٤٨/٣ .

نحو (نفخة واحدة) (١٧٨) ، و(إلهين اثنين) (١٧٩) ، فإن كان ذلك المعنى المصرح به فى المتبوع شمولاً وإحاطة فالتابع تأكيد لا صفة نحو : الرجلان كلاهما ، والرجال كلهم ، وإن لم يكن فهو صفة ، كما فى قوله تعالى ﴿ إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ – النحل ٥١، وإن كان معنى التابع معنى المتبوع سواءً بالمطابقة فالتابع تأكيد تكرير نحو : الرجل نفسه ، زيد زيد، (١٨٠) . وقد يجيء النعت لأغراض أخرى جعلها النحاة مفتوحة ، منها الترحم والتعميم والتفصيل (١٨١). ومن النحاة من لم يفرق بين تلك الأغراض والأغراض الأساسية للنعت فذكرها دون تفريق بينها (١٨٢) .

فإذا بحثنا عن فائدة الخبر أو الغرض منه عند النحاة ، فإننا نجد ابن السراج يقول «الاسم الذى هو خبر المبتدأ هو الذى يستفيده السامع ويصير به المبتدأ كلاماً ، وبالخبر يقع التصديق والتكذيب . ألا ترى أنك إذا قلت : عبد الله جالس فإنما الصدق والكذب وقع فى جلوس عبدالله ؛ لأن الفائدة هى فى جلوس عبد الله ، وإنما ذكرت عبد الله لتسند إليه (جالساً) ، (١٨٣)، ويفهم من كلامه أن الخبر إنما هو الشيء الجديد الذى يستفيده السامع من الكلام . وقد يصدقه أو يكذبه ؛ لأنه شيء لم يكن ليعرفه لولا هذا الكلام . وهذا ما يتضح أيضاً من قول ابن يعيش «اعلم أن خبر المبتدأ هو الجزء المستفاد الذى يستفيده السامع ، ويصير مع المبتدأ كلاماً ، والذى يدل على ذلك أنه به يقع التصديق والتكذيب ، ألا ترى أنك إذا قلت : عبد الله منطلق فالصدق والكذب إنما وقعا فى انطلاق عبد الله لأن الفائدة فى انطلاقه «وإنما ذكرت عبد الله ، وهو معروف عند السامع ، لتسند إليه الخبر الذى هو الانطلاق» (١٨٤) ، كما يقول فى مكان آخر الغرض فى الإخبارات إفادة المخاطب ما ليس عنده . وتنزيله منزلته فى علم ذلك الخبر» (١٨٥) وعرف شراح الألفية الخبر بأنه الجزء المتم الفائدة مع المبتدأ (١٨٦) .

---

(١٧٨) إشارة إلي قوله تعالي { فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة } – الحاقة ١٣ .

(١٧٩) إشارة إلي قوله تعالي {وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين} – النحل ٥١ .

(١٨٠) شرح الكافية ٣٠٣/١ .

(١٨١) همع الهوامع ١٧١/٥ .

(١٨٢) راجع شرح قطر الندي ٤٠٢ ، شرح ابن عقيل ١٩١/٣ ، ١٩٢ ، همع الهوامع ١٧١/٥ .

(١٨٣) الأصول في النحو ٦٢/١ ، وقد جاءت إشارات في المقتضب مثل قوله «الفائدة للسامع في الخبر » المقتضب ١٢٦/٤ .

(١٨٤) شرح ابن يعيش ٨٧/١ .

(١٨٥) نفسه ٨٥/١ .

(١٨٦) شرح ابن الناظم ١٠٨ و شرح ابن عقيل ٢٠١/١ ، أوضح المسالك ١٩٤/١ شرح الأشموني ٢٠٥/١ .

يمكننا بعد ذلك أن نحدد الفرق بين الغرض من النعت والغرض من الخبر بأن النعت يأتى ليحدد (صفة) فى المنعوت تفصله عن غيره فتوضحه ، وترفع الاشتراك إن كان المنعوت نكرة ، وبذلك يزيد النعت من تحديد المنعوت سواء كان معرفة أو نكرة . أما الخبر فلا يزيد المبتدأ تعريفاً أو تخصيصاً لأن المفترض فى المبتدأ أن يكون معروفاً ليتم الحكم عليه بالخبر ، فيأتى الخبر لتتم به الفائدة مع المبتدأ ويعطى فائدة جديدة أو صفة جديدة للمبتدأ .

وقد عرف ابن يعيش العلاقة بين النعت والخبر ، وفرق بينهما بالوظيفة حيث قال «إن الصفة خبر فى الحقيقة لأن جملتها تحتمل الصدق والكذب ، إلا أن الفرق بينهما أنك فى الصفة تذكر حالاً من أحوال الموصوف لمن يعرفها تعريفاً له عند توهم الجهالة بالموصوف وعدم الاكتفاء بمعرفته ، وفى الخبر إنما تذكر حال الذات لمن يجهلها فتكون هى محل الفائدة (١٨٧) .

أما عن فائدة الحال أو الغرض منه فنجد ابن السراج يقول «والحال إنما هى هيئة الفاعل أو المفعول أو صفته فى وقت ذلك الفعل المخبر به عنه» (١٨٨) ، ففائدة الحال أو الغرض منها إنما هو وصف الفاعل أو المفعول فى وقت فعله الفعل أو (الخبر) ، ومن هنا سميت (حالاً) لأنها تصف الفاعل أو المفعول فى وقت وقوع الفعل وليس قبله ولا بعده ، وهذا ما يفهم من قولهم «وإنما سميت الحال لأنه لايجوز أن يكون اسم الفاعل فيها إلا لما أنت فيه ، تطاول الوقت أو قصر . ولايجوز أن يكون لما مضى وانقطع ولا لما لم يأت من الأفعال ويبتدأ بها» (١٨٩) .

وتأتى الحال من المضاف إليه كما هو فى قوله تعالى ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ – البقرة ١٣٥ وغيرها ، فيقال إن صاحب الحال فى تلك الآيات فى الحقيقة إنما هو الفعل أو المفعول على اعتبار أن المضاف جزء من المضاف إليه ، فتقدير الآية مثلاً : بل نتبع إبراهيم حنيفاً ، والحال من المفعول به (١٩٠) . على أن ابن الناظم جعل تلك الحال لبيان «هيئة ما هو له» (١٩١) ، أى لبيان هيئة الفاعل أو المفعول أو المضاف إليه .

---

(١٨٧) شرح ابن يعيش ٥٨/٣ .
(١٨٨) الأصول في النحو ٢١٣/١ ، شرح ابن يعيش ٥٥/١ .
(١٨٩) نفسه .
(١٩٠) راجع : شرح الكافية ١٩٩/١ .
(١٩١) شرح ابن الناظم ٣١١ .

وإذا كانت هذه وظيفة الحال فإن الصفة (النعت) لاتؤديها ، أى أنها لاتبين هيئة الفاعل أو المفعول ، وإن جاءت الصفة (النعت) مبينة لهيئة الفاعل أو المفعول فإن ذلك التبيين – عند الرضى – لايكون حاصلاً منها ، وإنما من الجملة ؛ فقولك «جاءنى رجل عالم وإن بين هيئة الفاعل لكنه لا دلالة فى لفظ (عالم) على أنه بيان لهيئة فاعل ، إذ لفظة (عالم) ها هنا مثلها فى قولك : زيد رجل عالم مع أنها مبينة لهيئة خبر المبتدأ لا هيئة الفاعل ، بل إنما علم كون عالم فى (جاءنى رجل عالم) بياناً لهيئة الفاعل من تقدم قولك (جاءنى رجل) ، بخلاف الحال فإن (راكباً) فى قولك : جاءنى زيد راكباً ، ورأيت زيدا راكباً لفظ فيه دلالة على كونه هيئة الفاعل أو المفعول ، حتى لو قلت : رجل قائماً أخوك لم يجز لعدم الفاعلية والمفعولية فى (رجل)» (١٩٢) . والرضى فى هذا النص يحاول أن يدلل على أن النعت لا يبين هيئة المنعوت وإن كان المنعوت فاعلاً أو مفعولاً ، وفى النص غموض ومغالطة ، فقولنا (جاءنى رجل) لاتفيد بيان هيئة الفاعل (رجل) ، كما لو أننا قلنا (جاءنى الرجل راكباً) ، وهذا النص لايفيد إلا أن الحال تأتى منصوبة بعد الفاعل أو المفعول ؛ ولهذا قال إن (قائما) فى (رجل قائما أخوك) لا تجوز لعدم الفاعلية والمفعولية فى (رجل) ، ومع ذلك فأنا معه فى أن (عالم) فى الجملة المذكورة لاتبين هيئة الفاعل ولكن ليس ببراهينه تلك بل لأن لفظة (رجل) نكرة وتحتاج إلى ما يحددها ، كما أن لفظة (العالم) من الصفات اللازمة وما يبين الهيئة يكون منتقلاً وإذا كان الخبر تتم به الفائدة مع المبتدأ ، فإن الحال زيادة فى الخبر والفائدة يقول ابن السراج «ولاتكون الحال إلا نكرة ؛ لأنها زيادة فى الخبر والفائدة» (١٩٣) ، وقد فرق بذلك بين الحال والنعت فقال «والفرق بين الحال وبين الصفة (أن الصفة) (١٩٤) ، تفرق بين اسمين مشتركين فى اللفظ ، والحال زيادة فى الفائدة والخبر ، وإن لم يكن للاسم مشارك فى لفظه .... فهذا فرق ما بين الصفة والحال ، وهو أن الصفة لا تكون إلا لاسم مشترك فيه لمعنيين أو لمعانٍ ، والحال قد تكون للاسم المشترك والاسم المفرد» (١٩٥) ، فالصفة إذن تفرق بين اسمين مشتركين ، أما الحال فإنه زيادة فى خبر اسم معروف محدد ، وهذه الزيادة «تفيد السائل والمحدث غير ما يعرف» (١٩٦) ، عند ابن السراج ، وإن

---

(١٩٢) شرح الكافية ١٩٨/١ .
(١٩٣) الأصول في النحو ٢١٤/١ .
(١٩٤) زيادة ضرورية ليست في التحقيق .
(١٩٥) الأصول في النحو ٢١٤/١ .
(١٩٦) نفس المصدر والصفحة .

كانت الحال تجيء بعد تمام الكلام واستغناء الفعل بفاعله ، وأن في الفعل دليلاً عليها كما كان فيه دليل على المفعول» (١٩٧)، أي أن الحال فضلة وهو ما يفرق بينها وبين الخبر (١٩٨) .

وقد عرف ذلك عبد القاهر ؛ فالحال عنده خبر فى الحقيقة لكنه يفترق عن خبر المبتدأ فى أن خبر المبتدأ هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه ، أما الحال فإنه زيادة فى خبر آخر، ومن هنا جاز ربط جملة الحال بالواو ؛ لأنها خبر آخر ، ولم يجز ذلك فى جملة خبر المبتدأ (١٩٩) .

لقد فرق النحاة بين الحال والنعت والخبر بفروق شكلية سبق الحديث عنها ، لكن أهم فارق كان التفريق بالغرض الأساسى من التركيب أو الفائدة ، ويمكننا تلخيص ذلك فى أن الخبر إنما هو عمدة أو ركن أساسى من ركنى الجملة الاسمية تتم به الفائدة مع المبتدأ ويحصل به الإسناد ، أما الحال فهو فضلة وزيادة فى الفائدة بعد تمام الجملة الفعلية يأتى ليبين هيئة الفاعل أو المفعول فهما معروفان ، والحال تبين هيئتهما فى وقت دون آخر ، أما النعت فإنه يقوم بتوضيح المنعوت أو رفع اشتراكه مع آخر له نفس اسمه .

---

(١٩٧) شرح ابن يعيش ٢/٥٥ . أي انها فضلة ، والخبر عمدة .

(١٩٨) راجع : شرح ابن الناظم ٣١١ ، أوضح المسالك ٢/٢٩٥ ، شرح ابن عقيل ٢/٢٤٣ .

(١٩٩) راجع : دلائل الإعجاز ٢١٢ ، ٢١٥ .

خاتمـــة :

يتبين من خلال هذا البحث أن بعض النحاة قد عرفوا للوصف معنيين أحدهما عام والآخر خاص ، واتسع المعنى العام ليشمل النعت والخبر والحال وغير ذلك .

اقتصر هذا البحث على تلك الأبواب الثلاثة التى ارتبطت عند النحاة فعرفوا لها علاقات تشابه واختلاف ، وأشار البحث فى البداية إلى معرفة النحاة بتلك الفروق وإشاراتهم ، ثم استند بعد ذلك على محاور تلك العلاقة ؛ ففى المصطلح وجدنا مصطلح (الصفة) أو (الوصف) أوسع من مصطلح (النعت)، ولقد أطلق فيما أطلق على الحال ، فالحال وصف أوصفة ، كما أن النعت كذلك ، ولم يرد البحث التوسع مع النحاة فى مفهوم الصفة لتشمل التوكيد مثلاً عند البصريين ، وإن كنا قد لمحنا معنى (الصفة) فى التوكيد عند سيبويه والمبرد ، أو تشمل الظرف أو الجار والمجرور عند الكوفيين وإن كان لهذه الأشياء موقعية الصفة بالمعنى العام حيث تقع هذه الأشياء فى موقع الحال أو الخبر أو النعت .

ثم تطرق البحث إلى علاقات التشابه والاختلاف بين الأبواب الثلاثة ، ومما عرضه فى ذلك التشابه فى علاقات الجزئين ، فالأول هو الثانى فى المعنى ، وعلى ذلك فالخبر هو المبتدأ فى المعنى ، والحال هو صاحب الحال فى المعنى ، والنعت هو المنعوت فى المعنى . ثم التشابه أو الاختلاف فى شروط الموقعية ومن ذلك شرط الاشتقاق الذى كان من شروط ما يقع خبراً أو حالاً أو نعتاً ، وكذلك التأويل بالمشتق ، كما وجدنا اختلافهم حول وقوع المصدر خبراً أو حالاً أو نعتاً وتأويله بالمشتق ، وكذلك وجدنا تشابهاً واختلافاً فى شروط الجملة الواقعة خبراً أو حالاً أو نعتاً .

ثم يأتى بعد ذلك الفرق بين الأبواب الثلاثة بالغرض أو الفائدة أو الوظيفة الدلالية ، فالأبواب الثلاثة وإن كانت تؤدى وظيفة الوصف بشكل عام إلا أن لكل باب وظيفة دلالية تختلف عن وظيفة الباب الآخر ، وهذا الفارق الدلالى أهم الفروق بين الأبواب الثلاثة ، وقد عرف النحاة ذلك ودققوا فيه ، ولهذا فإنهم لم يضموا تلك الأبواب فى باب واحد ، وإنما لكل وظيفته الخاصة كما كانت له شروطه الشكلية .

المصادر والمراجع

١- الأزهرى (الشيخ خالد الأزهرى ت ٩٠٥ هـ)

- شرح التصريح على التوضيح ، وبهامشه حاشية الشيخ يس العليمى ، القاهرة ، عيسى البابى الحلبى (د.ت) /

٢- الأشمونى (نور الدين على بن محمد بن عيسى ت ٩٢٩ هـ)

- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة النهضة المصرية ، ١٩٧٠ م ط٣ .

٣- ابن الأنبارى (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ت ٥٧٧ هـ)

- الانصاف فى مسائل الخلاف ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة المكتبة التجارية (د. ت) .

٤- الأنبارى (أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار)

- إيضاح الوقف والابتداء فى كتاب الله عز وجل ، تحقيق محيى الدين رمضان ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م .

٥- ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى ت ٢٩١ هـ)

- مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون

القسم الأول : القاهرة دار المعارف ١٩٦٩م ط٣ .

القسم الثانى : القاهرة دار المعارف ١٩٨٠م ط٤ .

٦- الجامى (نور الدين عبد الرحمن ت ٨٩٨هـ)

- الفوائد الضيائية ، شرح كافية ابن الحاجب ، دراسة وتحقيق أسامة طه الرفاعى ، بغداد وزارة الأوقاف والشيءون الدينية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

٧- الجرجانى (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ت ٤٧٤هـ)

- كتاب الجمل فى النحو ، تحقيق يسرى عبد الغنى عبدالله ، بيروت ، دار الكتب العلمية ١٩٩٠م ، ط١ ،.

- دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود شاكر القاهرة ، الخانجى ١٩٨٤م .

– المقتصد فى شرح الإيضاح ، تحقيق كاظم بحر المرجان ، بغداد ، وزارة الثقافة العراقية ١٩٨٢م .

٨ – الجزولى (أبو موسى عيسى بن عبد العزيز ت ٦٠٧ هـ)

– المقدمة الجزولية فى النحو ، تحقيق شعبان عبد الوهاب محمد ، القاهرة ، مطبعة أم القرى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، ط١ .

٩– ابن جنى (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢ هـ)

– الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، القاهرة دار الكتب المصرية ، ط٢ (د. ت) ، اللمع فى العربية ، تحقيق حسين شرف ، القاهرة ، عالم الكتب ١٩٧٩م ط١ .

١٠– الجوهرى (أبو نصر)

– تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفار عطار ، القاهرة ١٩٥٦م .

١١ – ابن الحاجب (ابو عمر عثمان بن عمر ت ٦٤٦هـ)

– الإيضاح فى شرح المفصل ، تحقيق موسى بناى العليلى ، بغداد ، وزارة الأوقاف العراقية ١٩٨٣م .

١٢– الحيدرة اليمنى (على بن سليمان ت ٥٩٩هـ)

– كشف المشكل فى النحو ، تحقيق هادى عطية مطر ، بغداد، وزارة الأوقاف العراقية ١٩٨٤م .

١٣– الراجحى (الدكتور عبده الراجحى)

– النحو العربى والدرس الحديث ، بيروت ، النهضة العربية ١٩٧٩م .

١٤– الرازى (محمد ين أبى بكرين عبد القادر الرازى)

– مختار الصحاح ، ترتيب السيد محمود خاطر ، القاهرة ، الهيئة العامة لشىءون المطابع الأميرية ١٩٦٢م.

١٥– رضى الدين الاستراباذى (محمد بن الحسن ت ٦٨٦ هـ)

– شرح كتاب الكافية فى النحو ، بيرون ، دار الكتب العلمية ١٩٨٢م ط٣ .

١٦- زكريا ، ميشال. الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٤٠٦هـ- / ١٩٨٦م ط٢ .

١٧- الزجاجى (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ت ٣٤٠هـ)

- الجمل فى النحو ، تحقيق على توفيق الحمد، بيروت ، دار الرسالة والأمل ١٩٨٦م ط٢ .

١٨- الزمخشرى (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ٤٦٧ - ٥٣٨هـ)

- المفصل، القاهرة، التقدم، ١٣٢٣هـ) .

١٩- السامرائى، إبراهيم . المدارس النحوية أسطورة وواقع ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٩٨٩م .

٢٠- ابن السراج (أبو بكر محمد بن السرى ، ت ٣١٦هـ)

- الأصول فى النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلى ، الرسالة ١٩٨٥م ط١ .

٢١- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠هـ)

- الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٦٦ - ١٩٧٧م .

٢٢- سيرل (جون)

- تشومسكى والثورة اللغوية ، مجلة الفكر العربى (طرابلس - ليبيا) ، العددان ٨، ٩ يناير - آزار ١٩٧٩ م ص ١٢٣ - ١٤٣ .

٢٣- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ٩١١هـ)

- همع الهوامع ، تحقيق عبد العالم سالم مكرم ، وعبد السلام هارون، الكويت - دار البحوث العلمية ١٩٧٧- ١٩٨٠م .

٢٤- الشَّلَوْبين (أبو على عمر بن محمد ت ٦٤٥هـ)

- التوطئة ، تحقيق يوسف المطوع ، القاهرة ، دار التراث العربى ١٩٧٣م .

٢٥- الصيمرى (أبو محمد عبد الله بن على بن إسحاق)

- التبصرة والتذكرة ، تحقيق فتحى أحمد مصطفى ، دمشق، دار الفكر ، سلسلة (من التراث الإسلامى)، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ط١) .

٢٦- ضيف (دكتور شوقى ضيف)

- المدارس النحوية ، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨ م ط٢ .

٢٧- طبانة ، بدوى، معجم البلاغة العربية، جدة والرياض، دار المنارة، دار الرفاعى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م ط٣ .

٢٨- عاصى ، ميشال، وإميل بديع يعقوب المعجم المفصل فى اللغة والأدب، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٨٧م ط١ .

٢٩- عبد اللطيف ، محمد حماسة عبد اللطيف النحو والدلالة ، القاهرة مطبعة المدينة ١٩٨٣م .

٣٠- ابن عصفور (أبو الحسن على بن مؤمن ت ٦٦٩هـ)

- المقرب ، تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى، وعبد الله الجبورى، بغداد، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، مطبعة العانى ١٩٨٦م .

٣١- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله ت ٧٦٩هـ)

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة دار التراث ١٩٨٠م ط٢٠ .

- المساعد على تسهيل الفوائد ، تحقيق محمد كامل بركات ، دمشق ، دار الفكر سلسلة (من التراث الإسلامى) جامعة أم القرى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

٣٢- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ)

- الصاحبى فى فقه اللغة ، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، عيسى البابى (د. ت) ، مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٣٦٦ - ١٣٧١ هـ.

٣٣- الفاكهى (عبد الله بن أحمد ٨٩٩ - ٩٧٢هـ)

- شرح كتاب الحدود فى النحو ، تحقيق المتولى رمضان أحمد الدميرى، القاهرة، دار التضامن للطباعة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

٣٤- الفيروزابادى (أبو طاهر محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ) ،

- القاموس المحيط، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

٣٥- الفيومى (أحمد بن محمد)

- المصباح المنير، القاهرة، المطبعة الأميرية (د.ت) .

٣٦- ابن كمال باشا (شمس الدين أحمد بن سليمان)

- أسرار النحو تحقيق أحمد حسن حامد ، عمان، الأردن، دار الفكر (د.ت) .

٣٧- ليونز (جون)

- نظرية تشومسكى اللغوية، ترجمة د. حلمى خليل، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥م ط١ .

٣٨- ابن مالك (جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائى الجيانى ت ٦٧٢هـ)

- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق محمد كامل بركات، القاهرة دار الكاتب العربى ١٩٦٨م .

- شرح الكافية الشافية ، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدى مكة المكرمة سلسلة (من التراث الإسلامى) ، جامعة أم القرى، دار المأمون للتراث ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ط١ .

٣٩- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ٢١٠- ٢٨٥هـ)

- المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشيءون الإسلامية لجنة إحياء التراث ١٩٧٩م ط٢ .

٤٠- المخزومى (مهدى)

- مدرسة الكوفة ، القاهرة ، مصطفى البابى الحلبى ١٩٥٨م .

٤١- ابن معطى (زين الدين أبو الحسين يحيى بن عبد المعطى المغربى ٥٦٤- ٦٢٨هـ)

- الفصول الخمسون ، تحقيق محمود محمد الطناجى، القاهرة، عيسى البابى الحلبى ١٩٧٧م .

٤٢- ابن منظور الإفريقى ، لسان العرب، القاهرة، بولاق ١٣٠٠- ١٣٠٧هـ .

٤٣- ابن الناظم (أبو عبد الله بدر الدين محمد بن جمال الدين بن مالك)

- شرح ألفية بن مالك ، تحقيق عبد الحميد السيد عبد الحميد ، بيروت، دار الجبل (د. ت) .

٤٤- النحاس (أبو جعفر أحمد بن إسماعيل ت ٣٨٨هـ)

- إعراب القرآن، تحقيق زهير غازى زاهد، عالم الكتب والنهضة العربية ١٩٨٥م ط٢

- شرح القصائد التسع المشهورات ، تحقيق أحمد خطاب، بغداد، وزارة الإعلام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٤٥- ابن هشام (جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصارى ت ٧٦١هـ)

- أوضح المسالك ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٩

- شرح شذور الذهب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ، دار الأنصار ١٣٩٨هـ ١٩٧٨/م ط١٥ .

- شرح قطر الندى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر العربى (د. ت) .

- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق مازن المبارك، ومحمد على حمد الله، بيروت، دار الفكر ١٩٨٥م ، ط٦ .

٤٦- ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن على ابن يعيش ت ٦٤٣هـ)

- شرح ابن يعيش على المفصل للزمخشرى ، عالم الكتب ببيروت ، المتنبى بالقاهرة (د. ت) .

الفصل الثانى

العلاقة بين المطابقة العددية والسياق في الدراسات اللغوية والقرآنية

الفصل الثانى

العلاقة بين المطابقة العددية

والسياق في الدراسات اللغوية والقرآنية

مقدمة

المطابقة هى الاتفاق أو الموافقة[١] ، وقد جاءت بهذا المفهوم عند النحاة[٢]، ومفهوم المطابقة عند علماء اللغة المحدثين هو نفسه مفهومها عند النحاة[٣]، وقد درس البلاغيون تحت مصطلح (المطابقة) ظاهرة أخرى تختلف تماماً عن الظاهرة النحوية، أما هذه الظاهرة فتدخل – عندهم – فى باب بلاغى كبير هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال . وقد اهتموا بدراسة الالتفات ، ولو توسعوا به لشمل المخالفة فى العدد والشخص والنوع والتعيين (التعريف والتنكير) والعلامة الإعرابية [٤]، فكلها فروع على الالتفات ؛ لأن الغرض منها لفت المخاطب وشد انتباهه ، يقصد هذا البحث إلى دراسة المطابقة فى فصيلة العدد (الإفراد والتثنية والجمع) ، ولايتطرق إلى دراسة ما عرف بتمييز العدد فتلك دراسة أخرى.

والهدف من هذه الدراسة هو الكشف عن وعى دراسى القرآن بمخالفة النص القرآنى للمطابقة العددية، وإبراز اختلافاتهم فى تبرير الظاهرة، وتأويلاتهم للخروج عن المطابقة ، سواء أكانت تلك التبريرات لغوية تنتمى إلى السياق اللغوى ، أو غير لغوية تنتمى إلى السياق الخارجى الذى يعتمد على ظروف ومناسبات النص ، من أحاديث مفسرة للنص ، أو أسباب نزول ، أو ربط النص بما فى الواقع الخارجى من أحداث ، أو أحكام شرعية . ويحاول البحث تبين الدوافع وراء تلك التبريرات والمنطق الذى يتحكم فيها ، وربطها بالدراسات الحديثة ، والدراسات المقارنة على وجه الخصوص .

---

(١) لسان العرب (طبق)

(٢) انظر: شرح الكافية ٣٢٧/١ ، شرح ابن عقيل ١٩٣/٣، ١٩٤ همع الهوامع ١٧٢/٥، ١٧٤ .

(٣) انظر إحياء النحو ٨٥،٥٦ أبحاث في اللغة ٦٩ وما بعدها ، دراسات في علم اللغة ١٤٥/٢، المدخل إلي علم اللغة ٣٠١ ومابعدها ، اللغة العربية معناها ومبناها ٢١١ ومابعدها، مناهج البحث في اللغة ٢٣٨ وما بعدها ، مقالات في اللغة والأدب ٣٥٧ .

(٤) انظر في المقصود بهذه المصطلحات : اللغة العربية معناها ومبناها ٢١٢ .

إن تحليل هذه الظاهرة لايجوز قصره على الجانب الصرفى والنحوى بل يجب أن يتعدى ذلك إلى الجانبين الدلالى والسياقى، وإذا كان لكل لغة منطقها الخاص، فإننا يمكن أن نقول - أيضاً - إن لكل نص منطقه الخاص ، والنص القرآنى له ظروفه الخاصة التى تطرح على الباحث فيه طريقة محددة للتناول ، فهو نص لايكفى فيه أن نتبين دلالته من داخله لابد من مراعاة الظروف الخارجية التى تدخل بالتالى فى سياق الحال - أو المقام ، وتؤدى دورها الأكبر فى كشف دلالة النص المدروس التى هى فى النهاية الهدف الأسمى للتحليل اللغوى .

وقد سبقنا إلى دراسة الظاهرة بحثان : أحدهما لغوى ،والآخر بلاغى، والبحث الأول بعنوان (ظاهرة المطابقة فى ضوء الاستعمال القرآنى وهى رسالة دكتوراه أعدها طه محمد عوض الله الجندى بكلية دار العلوم ١٩٨٨م ؛ بإشراف كل من أ .د أمين على السيد و أ. د عبد الرحمن محمد السيد .

وقد تناولت تلك الدراسة الظاهرة بأنواعها المختلفة من مطابقة عددية ومطابقة فى النوع والتعيين والإعراب ، وانقسم بحث العدد عنده إلى قسمين تحدث فى أولهما عما يتصل بالظاهرة من مباحث لغوية ثم تناول فى القسم الثانى الحمل على المعنى(٥).

وينطلق الباحث فى رسالته من وجهة نظر مخالفة لما نريد من هذا البحث ؛ فقد اعترض على د. تمام حسان فى جعله مخالفة المطابقة من الترخص ، وقال إن «محاولة إيجاد ضابط نحوى لهذه التراكيب أولى من القول بالشذوذ أو الترخيص، وبخاصة فيما يتصل بالقرآن وقراءاته» (٦). ثم نفى أن يكون هناك من التراكيب ما يفتقد المطابقة، حيث يتساءل أولاً : هل ثمة تراكيب لغوية افتقدت المطابقة، مع وجود تحققها فيها ؟ ثم يجيب بعد ذلك بأنه «لاوجود لتركيب لغوى يفتقد المطابقة، وما بدا فى ظاهره مفتقداً لها يمكن رده إليها باطراده فى المواطن اللغوية المماثلة، وبمجموع أقوال النحاة »(٧). فالباحث ينفى وجود المخالفة ، ويرد كل ماجاء مخالفاً للمطابقة بالاطراد وبمجموع أقوال النحاة ، ولا أعرف لذلك معنى إلا محاولة تبرير تلك المخالفة ، وقد جاءت تبريراته صرفية نحوية كما قال بالحمل على المعنى ، ولكن هل هذا كل ما جاء عند القدماء من تبريرات؟ وهل يكفى الجانب الصرفى والنحوى لتبرير

---

(٥) انظر : ظاهرة المطابقة ٧٦وما بعدها .

(٦) نفسه من المقدمة .

(٧) ظاهرة المطابقة المقدمة (ك)

الخروج على المطابقة ؟ وهل يقف التحليل الدلالى عند الحمل على المعنى أم أنه يتعداه إلى كل ما يرتبط بالمقام ؟ . تلك أسئلة نحاول أن نجيب عليها فى هذه الدراسة .

والباحث يعلن أنه يخرج كل مايتعلق بالدلالة والبحث الدلالى من بحثه ويحيله إلى الدراسات البلاغية، حيث يقول : « أما فيما يتعلق بالنظر إلى الأنماط اللغوية بوصفها دوال تشير إلى مدلولات تقع خارج التركيب اللغوى، وهو مايسمى بالمقام ، تكون العلاقة دلالية سيمانتيكية وهنا تبدأ البلاغة وينتهى البحث النحوى، فيمكن أن نلاحظ ظواهر لانعدام المطابقة، وأبرزها مايسمى بالالتفات البلاغى ... وهذه الظواهر – فى رأينا تقع خارج البحث النحوى، ومن ثم كان استبعادنا لها ؛ لأنها فى كل ذلك تخضع لمعايير جمالية، ومقاصد بلاغية فى الأسلوب» (٨).

ومع احترامنا لوجهة نظر الباحث إلا أننا ننطلق من مفهوم مغاير تماماً لما رآه هذا المفهوم يعد الدراسات البلاغية فى القديم مما يدخل فى مباحث علم اللغة الحديث، «فجهود البلاغيين العرب لها مكانها وتقديرها فى دراسة الجملة ، وهى المكمل الطبيعى لجهود النحاة فى هذا الميدان» (٩)، كما يعتمد هذا البحث التحليل الدلالى للتركيب اللغوى ؛ إذ إن الهدف الأساسى للبحث اللغوى الحديث إنما هو «دراسة التركيب الشكلى لعناصر الجملة وسيلة للتعبير عن معنى ، ومن ثم يعدُّ المعنى عنصراً مهماً فى دراسة بناء الجملة» (١٠).

كما يعتمد هذا البحث الظروف الخارجية أو المقام أوسياق الحال، ويرى أن كل ذلك مناسب لدراسة الظاهرة فى القرآن الكريم الذى لايقف من درسه من النحاة عند لفظه ، بل يتعداه إلى المعنى وارتباط اللفظ بالمعنى ، ذلك المعنى الذى لايكتمل إلا باللجوء إلى السياقين اللغوى والمقامى، ويتمثل السياق اللغوى فى القرآن كله ، كما يضم السنة النبوية باعتبارها مفسرة للقرآن، ويدخل فى السياق المقامى أسباب النزول، والموقف الكلامى ، وتوجيه الخطاب ، كما يدخل فيه أقوال المفسرين وتأويلاتهم . كما يعتمد البحث النظرات الجمالية ما دامت تعطى تفسيراً للظاهرة .

أما البحث الآخر فهو بعنوان (أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية ، د.حسن طبل) ، وهو بحث بلاغى اهتم فيه الباحث بدراسة الالتفات البلاغى وصوره فى

---

(٨) ظاهرة المطابقة (ك) .

(٩) مدخل إلى علم اللغة ٦٩ توانظر ، ٧٠

(١٠) نفسه ٦٧ .

القرآن، وتمثل دراسة الالتفات فى العدد جزءاً منه . ويهتم البحث بالجانب البلاغى للظاهرة وتختلف وجهته عما نحن فيه .

يقوم هذا البحث على مصادر أساسية هى تلك الكتب التى اهتمت بدراسة النص القرآنى وإعرابه وعلومه ، وهناك مجموعة من كتب الإفراد والتثنية والجمع تنسب إلى القدماء لم يصلنا منها إلا ما نقله السيوطى فى المزهر (١١) ، وقد جاءت إشارات وأبواب فى بعض المعاجم من مثل ما جاء فى جمهرة اللغة فى (باب مايكون الواحد والجماعة فيه سواء فى النعوت) (١٢)، وقد جعل ابن قتيبة من طرق القول ومآخذه عند العرب مخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد ، والواحد والجميع خطاب الاثنين (١٣)، ثم عددا أمثلة ذلك فى باب (مخالفة ظاهر اللفظ معناه)(١٤).

وبحث ابن جنى ذلك فى باب الحمل على المعنى(١٥) ، وأكثر أمثلته من الشعر(١٦)، وله نظرات أخرى فى المحتسب وجاءت عند ابن فارس أبواب ترصد الظاهرة ، استشهد فيها بالقرآن والشعر(١٧) وقد أتبع تلك الأبواب بأبواب الالتفات(١٨) ، مما يشير إلى ارتباط الظاهرتين ، ونقل السيوطى فى المزهر ما جاء عند ابن فارس(١٩) ، ورصد الثعالبى بعض أمثلة الظاهرة ومثل لها من القرآن والشعر(٢٠) ، وعرف الزركشى الظاهرة وجاءت دراستها عنده متفرقة فى مواضع كثيرة وبخاصة حين اهتم بالخطاب القرآنى .

وأخيراً فإن هذا البحث ينقسم إلى الأقسام التالية :

---

(١١) انظر : المزهر ١٩١/٢ ومابعدها ، المعجم العربي . د. حسين نصار ١٧٢/١ ومابعدها .
(١٢) جمهرة اللغة ٤٢٨/٣ .
(١٣) تأويل مشكل القرآن ، ٢٠ .
(١٤) نفسه ٢٧٥ وما بعدها .
(١٥) الخصائص ٤١١/٢ .
(١٦) نفسه ٤١٩/٢ ـ ٤٢٣ .
(١٧) الصاحبي في فقه اللغة ٣٤٨ ومابعدها .
(١٨) نفسه ٣٥٦ ومابعدها .
(١٩) المزهر ٢٣٣/١ ومابعدها .
(٢٠) فقه اللغة وأسرار العربية ٢١٣ ، ٢١٤ .

أولاً : العلاقة بين المفرد والمثني :

١- التعبير بالمفرد عن المثنى .

٢- التعبير بالمثنى عن المفرد .

٣- خاتمة فى العلافة بين المفرد والمثنى .

ثانياً : العلاقة بين المفرد والجمع :

١ - التعبير بالجمع عن المفرد .

أ - استعمال ضمير الجمع .

ب - مخالفة المطابقة للواقع الخارجي .

جـ - عموم الحكم الشرعي .

٢- التعبير بالمفرد عن الجمع :

أ - المصادر والمشتقات .

ب - الألفاظ الدالة على الجنس .

جـ - المبهمات (كل - الأسماء الموصولة) .

ثالثاً : العلاقة بين المثني والجمع :

١- التعبير بالمثنى عن الجمع .

٢- التعبير بالجمع عن المثنى .

أ - عودة ضمير الجمع على معطوفين .

ب - مايختص بأعضاء جسم الإنسان .

جـ - مالفظه جمع وهو مثنى فى الواقع الخارجى .

د - خاتمة فى العلاقة ين المثنى والجمع .

رابعاً : خاتمة .

خامساً : ثبت المصادر والمراجع

أولاً : العلاقة بين المفرد والمثنى

١- التعبير بالمفرد عن المثنى :

عرف النحاة هذه الظاهرة ، وبحثوا عن تبرير لها ، هذا التبرير قد يكون لغوياً ، أو لفظياً جمالياً ، وقد يكون تبريراً دلالياً .

أ – من الآيات التى تمثل تلك الظاهرة قوله تعالى – على لسان فرعون – ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ – طه ٤٩ حيث تحوّل الكلام من خطاب الاثنين فى لفظة (ربكما) إلى خطاب الواحد فى (ياموسى) .

وقد علل الفراء ذلك بعلة دلالية هى أن الكلام – الإجابة المطلوبة – يكون من واحد لامن جميع (٢١) ، وعلل الزمخشرى ذلك بأن موسى هو الأصل فى النبوة ، وهارون وزيره وتابعه ، أو أن فرعون يطلب الإجابة من موسى خاصة لأنه يعلم ما فى لسانه من عجز(٢٢) .

وإذا برز فى تعليل الفراء والزمخشرى الجانب الدلالى الذى يعتمد على ظروف الخطاب والموقف الكلامى ، فإننا نجد عند الزركشى والعكبرى التعليل النحوى حيث أجاز أن يكون (هارون) منادى محذوفاً للعلم به (٢٣)، كما نجد العلة الجمالية عند القرطبى ، وهى أنه ذكر (موسى) لرءوس الآى(٢٤) إذ إن آيات السورة تنتهى بالألف اللينة ، فجيء بموسى مراعاة للفاصلة .

ب – وقد جمع الفراء بين قوله تعالى ﴿فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ – الشعراء ١٦ وقوله سبحانه ﴿إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ﴾ – طه ٤٧ ، فأجاز الإفراد والتثنية ، لأن الرسول قد يكون للجمع وللاثنين والواحد، واستشهد على ذلك بقول أبى ذؤيب الهذلى(٢٥):

ألكنى إليها وخير الرسو ... ل أعلمهم بنواحى الخبر

---

(٢١) معاني القرآن للفراء ٢/١٨٠ .

(٢٢) الكشاف ٢/٥٣٩ ، وانظر أيضاً البحر المحيط ٦/٢٤٧ ، التبيان للعكبري ٢/٨٩٢ .

(٢٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/٢٤٠ ، التبيان للعكبري ٢/٨٩٢ .

(٢٤) تفسير القرطبي ٤٣٧٦ .

(٢٥) انظر : ديوان الهذليين ١/١٤٦ .

أي خير الرسل (٢٦).

وإذا تأملنا قوله نجده يفتح باب التعليل اللغوى حيث لفظة (الرسول) قد تُطلَق على المفرد والمثنى والجمع ، وهو مانجده عند الأخفش أيضاً – على اقتضابه – حيث يقول إن (الرسول) فى استعمالها تشبه (العدو) ، فتقول : هما عدوٌ لى(٢٧) .

ويتابع أبو عبيدة التعليل اللغوى ، فيقول : إن (رسول) هنا بمعنى (رسالة) ومجاز الكلام : إنا رسالة رب العالمين ، ويستشهد بقول عباس بن مرداس :

ألا مَنْ مبلغٌ عنى خفافاً ... رسولاً بيتُ أهلك منتهاها

حيث دلت إضافة الضمير المؤنث فى (منتهاها) على تأنيث لفظة (رسول) لأنها فى البيت بمعنى (رسالة) ، كما يستشهد بقول كثيرة عزة :

لقد كذب الواشون ما بُحتُ عندهم ... بسرٍّ ولا أرسلتهم برسولِ

أى برسالة (٢٨)

فـ (رسول) قد تستعمل استعمال المصدر فلا تثنى ولاتجمع مثل (عدو) – كما مثّل الأخفش – وقد تُحمل على معنى (رسل) كما فى كلام الفراء واستشهاده ، أو على معنى (رسالة) وهو ما جاء فى كلام أبى عبيدة واستشهاده .

ويفرق الزمخشرى(٢٩) بين استعمالين للفظة (رسول) ، فهى قد تكون بمعنى (مُرسَل) – اسم المفعول – وهنا لابد من تثنيتها وجمعها، وعلى ذلك جاء قوله تعالى ﴿إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ﴾ – طه ٤٧ ، وقد تكون بمعنى (رسالة) – المصدر – فيوصف بها الواحد والاثنان والجماعة ، واستشهد على الأول ببيت أبى ذؤيب ، وعلى الثانى ببيت كثيِّر.

لكن الزمخشرى لم يكتف بذلك بل راح يلتمس علة دلالية لتوحيد (رسول) إلى جانب العلة اللغوية – وهى أن موسى وهارون متساندان متفقان ، على شريعة واحدة

(٢٦) معاني القرآن للفراء ٢/١٨٠ .
(٢٧) معاني القرآن للأخفش ٤٢٦ .
(٢٨) مجاز القرآن ٢/٨٤ ، ٨٥ .
(٢٩) الكشاف ٣/١٠٧-١٠٨ .

أخوان؛ فكان حكمهما واحداً ، وكأنهما رسول واحد ، أو أن مراد الكلام أن كل واحد منهما رسول .

ونجد العلتين اللغوية والدلالية عند العكبرى أيضاً ، حيث (رسول) بمعنى (رسالة) ، أى : أنا رسالة رب العالمين على المبالغة ، أو أنه – سبحانه – اكتفى بأحدهما إذا كانا على أمر واحد، أو بموسى لأنه هو الأصل (٣٠) .

واقتصر ابن الأنبارى(٣١) على العلة اللغوية فـ– (رسول) المراد به الجنس لا العدد ، ولذلك جاءت موحدة ، أو أنها بمعنى (رسالة) كما جاء فى شعر كثير(٣٢) .

جـ – وفى قوله تعالى ﴿فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ – طه ١١٧ نجد أول الخطاب (الإخراج) موجهاً للمثنى – آدم وحواء – وآخره (فتشقى) موجهاً إلى واحد – آدم – ، وقد اكتفى النحاس بقوله : إن المعنى معنى ، وإن آدم هو المخاطب والمقصود(٣٣) .

وعلل الزمخشرى ذلك بأن فى شقاء الرجل وهو قَيِّمُ أهله وأميرهم شقاءهم ، كما أن ضمن سعادته سعادتهم ، فاختصر الكلام بإسناده إلى آدم ، أو أن المراد بالشقاء التعب فى طلب القوت، وهو منوط بالرجل ، ويضيف إلى العلة المعنوية علة لفظية جمالية وهى المحافظة على الفاصلة(٣٤) .

وإذا كان الزمخشرى قد قدم العلة المعنوية على اللفظية ، فإن العكبرى يعكس ذلك ، فيقول : إن الإفراد بعد التثنية لتتوافق رؤوس الآى، ولأن آدم عليه السلام هو المكتسب (٣٥)، وأضاف ابن عطية سببا معنوياً آخر، وهو الإغضاء عن ذكر المرأة ، فمن الكرم ستر الحرم (٣٦) .

وفيما سبق يتضح ما جاء عندهم من تبرير لغوى أو جمالى أو تبريرات دلالية تعتمد على اجتهادات تفسيرية ، تعتمد بدورها على الموقف الكلامى أو سياق الحال .

---

(٣٠) التبيان للعكبري ٢/٩٩٤ .
(٣١) البيان لابن الأنباري ٢/٢١٢ .
(٣٢) راجع : تفسير القرطبي ٧/١ ، ٤٩٧٢ .
(٣٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/٥٨ .
(٣٤) الكشاف ٢/٥٥٥ ، ٥٥٦
(٣٥) التبيان للعكبري ٢/٩٠٦
(٣٦) البرهان للزركشي ٢/٢٤٠ ، ٢٤١ .

د – نسبة الفعل لأحد الشيئين :

قد يكون الفعل لاثنين فينسب لأحدهما ، وهو ما أشار إليه ابن قتيبة(٣٧) ، ونقله عنه ابن فارس (٣٨)، والسيوطى (٣٩).

والقياس عند الأخفش إذا كان العطف بالواو أن نأتى بضمير المثنى؛ فنقول : زيد وعمرو ذاهبان ، وليس (ذاهب) ، أما مع العطف بـ– (أو) فإننا نخبر عن أحد الشيئين ، وللمتكلم أن يختار بين أن يعود الضمير على الأول أو على الآخر، وإن كان القياس – عنده – أن يعود على الآخر لقربه .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ – البقرة ٤٥) ، ففى الآية عُطفت (الصلاة) على (الصبر) بالواو وعاد الضمير على أقربهما وهو (الصلاة) ، وقد كثرت العلل النحوية والمعنوية لذلك ، فقد أجاز الأخفش عود الضمير على الأول أو الآخر فى مثل هذه الآية(٤٠)، وقال أبو عبيدة إن الأكثر عود الضمير على الذى يلى الفعل من مثل قول الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأى مختلف(٤١)

وأجاز النحاس فى الآية عود الضمير على الاسمين أو أيهما الأول أو الآخر(٤٢).

وأجاز بعضهم أن يقع الضمير على شىء آخر التمسه من السياق اللغوى أو من سياق الحال، فقد أجاز القيسى أن يكون الضمير فى (وإنها) عائداً على الكعبة، أو الاستعانة ، بدليل (واستعينوا) ، حيث دل الفعل على المصدر ، مع ترجيح أن يعود على الصلاة لقربها من الضمير(٤٣) وأجاز الزمخشرى – اعتماداً على السياق اللغوى – أن يكون الضمير عائداً على جميع الأمور التى أُمر بها بنو إسرائيل ، ونُهوا عنها ، من قوله : ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ – البقرة ٤٠ إلى (واستعينوا) (٤٤).

---

(٣٧) تأويل مشكل القرآن ٢٨٨ .
(٣٨) الصاحبي في فقه اللغة ٣٦٢ .
(٣٩) المزهر للسيوطي ٣٣/١ .
(٤٠) معاني القرآن للاخفش ٨١/١ وانظر أمثلته الشعري
(٤١) مجاز القران ٣٩/١ .
(٤٢) إعراب القران للنحاس ٢٢٠/١ ، ٢٢١ .
(٤٣) مشكل إعراب القران ٩٢/١ وانظر البيان ٧٩/١ .
(٤٤) الكشاف ٢٧٨/١ .

واستعان العكبرى بسياق الحال والظروف الخارجية فأجاز أن يكون الضمير عائداً على القبلة ، لدلالة الصلاة عليها ، ولأن التحول إلى الكعبة كان شديداً على اليهود(٤٥).

وقد جمع أبو حيان تلك الآراء ، وأضاف إليها ، فوصلت الأقوال عنده إلى سبعة، وقال إن عودة الضمير إلى أقرب الاسمين – وهو الصلاة – هى القاعدة التى لا تخالف إلا بدليل ، ثم أضاف علة معنوية أخرى وهى أن الصلاة أهم ولهذا عاد الضمير عليها ، وكذلك كانت التجارة أهم فى آية الجمعة(٤٦) فعاد الضمير عليها دون اللهو (٤٧).

وإذا كان القياس عودة الضمير على الأقرب ، فإننا نجد قراءة عبد الله على ذلك حيث قرأ (وإذا رأوا لهواً أو تجارة انفضوا إليها)(٤٨) فجاءت (تجارة) أقرب للضمير.

وتدخل هذه الأمثلة عند سيبويه فيما عُرف من بعده بالتنازع ، حيث يستغنى بخبر الاسم الآخر ، لأنه أقرب عن خبرَ الأول ، ولدلالة خبر الثانى على المحذوف(٤٩)، وقد تبع المبرد سيبويه فى ذلك (٥٠).

وقد وقف الفراء عند قول الله تعالى ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ – التوبة ٦٢ وقفة دلالية فقال «وحّد (يرضوه) ، ولم يقل : يرضوهما؛ لأن المعنى – والله أعلم– بمنزلة قولك : ماشاء الله وشئت ؛ وإنما يقصد بالمشيئة قصد الثانى ، وقوله : «ماشاء الله » تعظيم الله مقدم قبل الأفاعيل ،كما تقول لعبدك : قد أعتقك الله وأعتقك»(٥١).

فالمقصود بالإرضاء عنده هو الثانى – الرسول – أما تقديم ذكر الله فهو للتعظيم

---

(٤٥) التبيان للعكبري ٥٩/١ .
(٤٦) قوله تعالي (وإذا رأو تجارة أو لهواً انفضوا إليها ـ الجمعة ١١) حيث عاد الضمير علي (تجارة) وإن تقدمت للأهمية .
(٤٧) انظر : البحر المحيط ١/ ١٨٥ ، التبيان ١٢٢٣/٢ .
(٤٨) معاني القرآن للفراء ١٥٧/٣ .
(٤٩) انظر الكتاب ٧٥/١ ، ٧٦ .
(٥٠) المقتضب ٧٢/٤ ، ١١٢/٣ .
(٥١) معاني القرآن للفراء ٤٤٥/١ .

فحسب ، ويجوز – عنده – أن يكون المعنى (يرضوهما) واكتفى بواحد (٥٢).

وقد عرض النحاس مذهبين : أحدهما لسيبويه وهو أن التقدير : والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه ، ثم حذف، والآخر مذهب المبرد : أنه لاحذف فى الكلام ، والتقدير: والله أحق أن يرضوه ورسوله، على التقديم والتأخير(٥٣) ، والهاء فى (يرضوه) على مذهب سيبويه تعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى مذهب المبرد تعود على الله تعالى ، وما عرضه النحاس – وغيره – مخالف لما جاء عند المبرد فى المقتضب (٥٤).

واختار النحاس قول سيبويه ، ورفض قول الفراء لمانع دلالى من السياق الخارجى ، وهو أنه قد صح عن النبى (ص) النهى عن أن يقال ماشاء الله وشئت، ورفض قول المبرد لمانع نحوى هو أنه لايقدّر فى شىء تقديم ولا تأخير ومعناه صحيح(٥٥).

وذهب القرطبى إلى أن الله سبحانه جعل رضاه فى رضى النبى (ص) فقال ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ – النساء ٨٠ (٥٦)، وعلى هذا فلا تعارض بين رضا الله ورضا الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢– التعبير بالمثنى عن المفرد :

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ – ق٢٤ وقد وقف الفراء(٥٧) عند الآية فقال إن، العرب تأمر الواحد والقوم بما يؤمر به الاثنان ، فيقولون للرجل : قوما عنا، وسمعت بعضهم يقول : ويحك ارحلاها وازجراها ، ثم استشهد على ذلك بقول الشاعر :

---

(٥٢) نفس المصدر والصفة .

(٥٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٢٤ وقد تبعه كثيرون في ذلك ، راجع : مشكل إعراب القرآن ١/٣٣١ ، البحر المحيط ٥/٦٤ ، البيان لابن الأنباري ١/٤٠١ ، التبيان العكبري ٢/٦٤٨ ، تفسير القرطبي ٤/٣١١٨ ، ٣١١٩ .

(٥٤) المقتضب ٤/٧٢ ، ١١٢ .

(٥٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٢٤ .

(٥٦) تفسير القرطبي ٤/٣١١٩ .

(٥٧) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/٧٨ ، ٧٩ .

فقلت لصاحبى لاتحبسانا بنزع أصوله واجتز شيحا(٥٨)

وقول الآخر :

وإن تزجرانى يا ابن عفان أنزجر وإن تدعانى أَحْمِ عرضاً مُمنّعا(٥٩)

ثم علل ذلك الاستعمال بالمناسبة الخارجية ، فقال : إن أدنى أعوان الرجل فى إبله وغنمه اثنان ، وكذلك الرفقة أدنى ما يكونون ثلاثة ،فجرى كلام الواحد على صاحبيه ، واستشهد على الظاهرة بشواهد شعرية أخرى . والفراء يستند فى تعليله إلى الأسلوب – أو الاستعمال – العربى ، فيؤيده بالواقع اللغوى المتمثل فى الشعر من جهة، وبما اعتاده العرب بأن أدنى الرفقة ثلاثة ، فيحكّم المرجع أو ظروف الكلام فى التحليل .

ويرى الزجاج أن الخطاب على مقتضى الظاهر. فهو خطاب للملكين ، ثم يعرض قول الفراء ، وقولاً ثالثاً للمبرد، وهو أن المقصود التوكيد ، فـ(ألقيا) نابت عن ألق ، ويجيز القول بذلك أيضاً (٦٠)، وقال النحاس إن حذاق البصريين ينكرون مخاطبة الواحد بخطاب الاثنين لأن به يقع الإشكال، وعلى ذلك اختار الزجاج أن يكون الخطاب للملكين ، أما المبرد فجعل التثنية للتوكيد (٦١)، وإذا كان التوكيد عند المبرد يأخذ شكل التكرار ، فإنه قد يأتى من إبدال الألف فى (ألقيا) من نون التوكيد ، كما جاء ذلك فى (لنسفعا بالناصية – العلق١٥) ، و﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ – يوسف ٣٢ (٦٢) ، وقد عرض الزمخشرى وغيره تلك الأقول(٦٣) .

وإذا تأملنا السياق اللغوى حول هذه الآية نجد آية سابقة تتحدث عن السائق والشهيد ﴿جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ – ق٢١ ، ثم ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ

(٥٨) نسب البيت ليزيد بن الطثرية أو لمضرس بن ربعي الأسدي ، وروي أيضاً (لا تحبسنًا) انظر : اللسان (جزز) .

(٥٩) نسب البيت إلي سويد بن كراع العكلي ، انظر : اللسان (جزز) .

(٦٠) معاني القرآن وإعرابه ٥/٤٥ ، ٤٦ .

(٦١) شرح القصائد التسع ١/٩٨ . ٢٩٩ .

(٦٢) شرح القصائد السبع الطول ١٦،١٧ .

(٦٣) راجع : الكشاف ٤/٧،٨ اليان ٢/٣٨٦،٣٨٧ ، البحر المحيط ٨/١٢٦ التبيان ٢/١١٧٥، ١١٧٦.

عَتِيدٌ﴾ - ق٢٣ وتأتى الآية ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ - ق٢٤ واختلفوا فى تفسير السائق والشهيد (٦٤)، ولكن من التفسيرات المحتملة أن يكونا ملكين ، وأن الخطاب ب- (ألقيا) لهما ، و(قرين) فى الآية السابقة قد تطلق على المفرد والمثنى والجمع(٦٥)، كما يحتمل أن يكون الخطاب لخزنة النار ، وهذا كله يجعل الخطاب مطابقاً لمقتضى الظاهر أو الاستعمال النمطى ، ولامخالفة فى ذلك ، ولاضرورة للقول بالخروج عن ظاهر اللفظ (٦٦).

ومن ذلك قوله تعالى﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ - الرحمن ١٩ - ٢٢ ، فقد جاء الضمير على التثنية (منهما) ، واللؤلؤ والمرجان لايخرجان إلا من البحر المالح ، وبذلك قال الفراء وأبو عبيدة وغيرهما (٦٧).

واعترض النحاس على الفراء وأخذ بظاهر اللفظ ، فقال إن (يخرج منها) فى المستقبل ، أو فى المواضع التى يلتقى فيها الماء الملح والماء العذب ، أو أن البحرين هما بحر السماء وبحر الأرض ، وأن اللؤلؤ والمرجان إنما يوجدان فى الصدف إذا وقع المطر عليه(٦٨)، وهى محاولة تأويلية لاتبرر الخروج من القاعدة - المخالفة- وإنما ترفض الاعتراف بتلك المخالفة .

ويقترب الزمخشرى بنا من التحليل الدلالى ، فيجعل البحرين كأنهما شىء واحد؛ فيقول «لما التقيا وصارا كالشىء الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما قال، يخرجان من البحر، ولايخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه ، وتقول : خرجت من البلد ، وإنما خرجت من محلة من محاله ، بل من دار واحدة من دوره ، وقيل : لايخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب» (٦٩).

فالزمخشرى يجعلهما شئياً واحداً والعلاقة بينهما علاقة الكل بالجزء ، فأى بحر

---

(٦٤) انظر : تفسير القرطبي ٦٤١٣/٩ ، د٦٤١ .

(٦٥) إعراب القرآن للنحاس ٢٢٨،٧/٤ .

(٦٦) البحر المحيط ١٢٦/٨ .

(٦٧) انظر : معاني القران للفراء ٢٤/٣، د١١، مجاز القرآن ١/د١٥، ٢٤٤/٢١ ، التبيان ١١٩٩/٢، الصاحبي ٣٦١ .

(٦٨) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٧/٤ ، فالصدف في الأرض والمطر من السماء .

(٦٩) الكشاف ٤٥/٤ .

منهما جزء من الشيء الأكبر ، ويحاول أن يحكم الاستعمال العربي .

أما القيسى والأنبارى فيخرجان الآية على حذف المضاف، والتقدير : يخرج من أحدهما ، ثم حذف المضاف ، وهو (أحد) واتصل الضمير بـ-(من) ، ومثلها ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ – الزخرف ٣١ ، أى : من إحدى القريتين ، ثم حذف المضاف(٧٠) .

ومثل ذلك تماماً الخلاف حول قوله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ﴾ – الشورى ٢٩ ، قال الفراء : «أراد : ومابث فى الأرض دون السماء» (٧١)، ورد النحاس قول الفراء ، وتمسك بظاهر اللفظ ، فقال :إن ما قاله – الفراء– «لايُعرَف فى تفسير ولا لغة ، ولامعقول أن يخبر عن اثنين بخبر واحد ، وهذا بطلان البيان والتجاوز إلى ما يحظره الدين» (٧٢) .

ويجوز عند الزمخشرى الرأيان معاً ، فقد يؤخذ اللفظ على ظاهره ، فيكون للملائكة مشى مع الطيران ، فيوصفون بالدبيب ، كما يوصف به الأناسى، كما أنه لا يبعد أن يخلق الله فى السموات حيواناً يمشى فيها مشى الأناسى على الأرض ، وقد يكون ذلك على مخالفة المطابقة وتكون الدواب فى الأرض وحدها ، حيث ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبساً ببعضه كما يقال : بنو تميم فيهم شاعر مجيد أو شجاع بطل ، وإنما هو فخذ من أفخاذهم أو فصيلة من فصائلهم(٧٣) .

والزمخشرى بذلك يسعى إلى الواقع الخارجى ليفسر به الظاهرة فإذا كانت العبارة القرآنية تطابق الواقع الخارجى فلا مخالفة بين اللفظ والمقصود ، أما إذا كان العكس فإن للزمخشرى تفسيراً لغوياً من استعمال العرب وهو نسبة الجزء إلى الكل وهو ماورد عنده فى الآية السابقة .

وقد خرّج الأنبارى الآية على حذف المضاف أيضاً (٧٤) .

ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ

---

(٧٠) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٠٥ ، البيان ٢/ ٤٠٩ .

(٧١) معاني القران للفراء ٣/ ٢٤ .

(٧٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٨٢،٨٣ .

(٧٣)الكشاف ٣/ ٤٧٠ .

(٧٤) البيان ٢/ ٣٤٨ .

لا يَعْلَمُونَ﴾ – يونس ٨٩ ، فالداعى فى الآية السابقة لهذه الآية إنما هو موسى وحده ، وقال الفراء وغيره إن الدعوة نسبت إليهما؛ لأن موسى كان يدعو وهارون يؤمن، والمؤمن على الدعاء داع أيضاً (٧٥).

وقال على بن سليمان : إن الدعاء لهما جميعاً والدليل على ذلك قول موسى – عليه السلام – ربنا ولم يقل رب (٧٦)، وأجاز الزمخشرى وأبو حيان القولين(٧٧) ، وأنكر أبو حيان القول بأنه خاطب الواحد بخطاب الاثنين؛ لأن الآية خاطبت الاثنين بعد ذلك (٧٨) (فاستقيما ولاتتبعان) .

والحق أن سياق الخطاب كان لموسى وهارون قبل الآية ، وقد دعا موسى وحده، لكن هذه الدعوة لاينكرها هارون سواء أدعا بها أم لم يدع، أو أمن، كما أن الآية تضمنت أمر الاثنين بالاستقامة ، وهو أمر لايوجه إلى موسى وحده، وفى أقوالهم المختلفة مراعاة للمقام أو سياق الحال ، ومثل ذلك ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ – الكهف٦١ وفى سياق الآيات قول فتى موسى ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ – الكهف ٦٣ ، فالناسى فتى موسى وحده(٧٩).

ومثل ذلك قوله تعالى ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ – البقرة ٢٢٩ ، فقد يكون المقصود ب– (عليهما) الزوج وحده، وقد يكونا الزوج والزوجة معاً (٨٠).

٣– إذا نظرنا إلى آيات مخالفة المطابقة من الإفراد إلى التثنية أو العكس وجدنا أنها تنقسم إلى مجموعات موضوعية، أول هذه المجموعات ما يتصل بقصة موسى عليه السلام، ومن الثابت أن الرسالة جاءت إلى موسى ، فطلب من ربه أن يرسل إلى أخيه هارون ليعاونه ، وليقوى به ، ولأنه أفصح منه لساناً (٨١)، وأكثر الخطاب من الله سبحانه كان لموسى، وهو الذى تلقى الألواح ، وكذلك كان الخطاب بين موسى وفرعون ، وموسى هو الذى سئل عن المعجزات ، وهو الذى تكفل بإبرازها، ورسالتهما

---

(٧٥) معاني القرآن للفراء ٤٧٨/١ معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣١/٣ البحر المحيط ١٨٧/٥ .
(٧٦) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٧/٢ .
(٧٧) الكشاف ٢٥٠/٢ ، ٢٥١ البحر المحيط ١٨٧/٥ .
(٧٨) البحر المحيط ١٨٧/٥ .
(٧٩) معاني القرآن للفراء ١٤٧/١ معاني القرآن وإعرابه ٢٩٩/٣، الصاحبي ٣٦١ .
(٨٠) انظر : معاني القرآن للفراء ١٤٧/١ ، البحر المحيط ١٩٩/٢ .
(٨١) انظر الآيات التي تتحدث عن قصة موسي عليه السلام في سورة القصص . وسورة طه .

كانت واحدة وكانا متساندين ، من هنا جاز خطابهما معاً بخطاب المفرد وجاز خطاب أحدهما بخطاب المثنى، وهذا ما شكل العلل المعنوية التى تعلل بها المعربون والمفسرون مراعين فى ذلك السياق الخارجى الذى تمثّل فى التفسير العام للآيات .

وإلى جانب ذلك جاءت العلل اللغوية والجمالية لتعلل اللجوء إلى التثنية أو الجمع مثل استعمال وزن (فعول) ، وهل معناه المصدر (رسالة) أم معناه اسم المفعول (مرسل) ، ثم مراعاة الفاصلة أو السجعة - إن جاز لنا أن نستعمل هذا التعبير - وهى مسألة لفظية جمالية ، ومن هنا كان اختيار (ياموسى) ، (فتشقى) . ولايخفى متطلبات السياق اللغوى فى قوله تعالى ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ ﴾ - يونس ٨٩ حيث نجد في الآية إخباراً بإجابة موسى - وهى دعوة هارون أيضاً ، سواء أدعا أو لم يدع، أمّن أم لم يؤمن - ثم أمر الله سبحانه لموسى وهارون ، فكان من الأولى المحافظة على التثنية (دعوتكما - استقيما) ، وكما كانت دعوة موسى هى دعوة هارون ، فكذلك نسيان فتى موسى للحوت كان فيه نسيان من قبل موسى أيضاً، وإن كان فتاه قد قال فى أدب ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾ - الكهف ٦٣ .

وتتعلق المجموعة الثانية بآدم وحواء ، وهما مرتبطان أيضاً ، ومن هنا كان فى شقاء آدم شقاء لزوجه ، وكان قبول توبته يعنى قبول توبتها (٨٢) .

أما المجموعة الثالثة فهى تتعلق بمطابقة الكلام للواقع الخارجى ، فهل فى السماء دواب أم لا ؟ وهل يخرج اللؤلؤ والمرجان من البحر المالح وحده ، أم من البحر المالح والعذب ؟ وهل يلقى المذنب فى النار ملك واحد أم ملكان؟ أو أن السماء والأرض أصبحا شيئاً واحداً ، والبحران أصبحا كذلك شيئاً واحداً .

يبقى بعد ذلك عودة الضمير إلى أحد المعطوفين إما للأهمية كما فى الصلاة والتجارة ، وإما لأن ما يعود على أحدهما يعود على الآخر (الله) ، (الرسول) .

وفى كل ماسبق نجد التعليلين النحوى والدلالى بحيث لايقوم أحدهما دون الآخر ، فقد يعلل هذا آية ، ويعلل الآخر آية أخرى ، وقد يعللان معاً مخالفة الآية الواحدة باختلاف النحاة ، أو عند النحوى الواحد .

---

(٨٢) الآية ٣٧ من سورة البقرة .

ثانياً : العلاقة بين الإفراد والجمع

١- التعبير بالجمع عن المفرد

أ) استعمال ضمير الجمع :

استعمل ضمير الجمع للمتكلم (نحن – أنا) تعظيماً، وقد جاء في القرآن مرتبطاً بالذات العلية كثيراً ، منه قوله تعالى ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ – الزخرف ٣٢ ، وقد نبّه الزركشي – منذ البداية – أنه لاتشريك(٨٣) في ضمير الجمع هذا ، وقال إن المبرد منع استعمال ضمير الجمع في واحد من المخلوقين على حكم الاستلزام لأن في ذلك كبراً ، وهو مختص بالله سبحانه ، وحكى عن الحريري في شرح الملحة أن بعضهم منع استعمال لفظة (نحن) مع غير الله لما فيها من التعظيم(٨٤)، وكذلك نون الجمع جاءت للعظمة يوصف بها سبحانه ولاينازعه فيها مخلوق ويكره للملوك استعمالها ، وقد استعملت في جانب الله تعالى لأن أقضيته تجرى على أيدى خلقه ، فتنزلت أفعالهم منزلةَ فعله(٨٥)، فأما قول العالم (نحن نبين)، (نحن نشرح) فمفسوح له فيه؛ لأنه يخبر بنون الجمع عن نفسه وأهل مقالته(٨٦) .

وما جاء عند الزركشي قال به الفراء في مثل قول الله تعالى﴿ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ – هود ٣٧ (٨٧) ، وابن جنى في مثل ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ﴾ – الإنسان ٢٨ ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ﴾ – إبراهيم ٤٥ قال : «ولو كانت (وضربت لكم الأمثال) لم تبلغ في سمو اللفظ وتعاليه في قوله (ضربنا لكم) »(٨٨).

وحاول ابن خالويه دفع ما يُتوهّم من الشرك في ضمير الجمع حيث قال إن «الله تعالى يخبر عن نفسه بلفظ ملك الأملاك نحو ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا ﴾ – الزخرف ٣٢ ، ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ﴾ – الكوثر ١ ، وهو وحده لا شريك له ، لأن القرآن نزل بلغة العرب ،

---

(٨٣) أي أنه لاشريك له في هذا الخطاب .

(٨٤) لم أعثر علي هذا القول في شرح الملحة المطبوع تحقيق أحمد محمد قاسم .

(٨٥) لأن الأفعال مخلوقة الله ، مكتسبة للعبد ، وهو رأي الأشعري ، انظر في علم الكلام – الأشاعرة / أحمد محمود صبحي ٦٢ ومابعدها ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ١٠٠ – ١٠١ ، اللمع ٣٨– ٣٩ وعلي العكس من ذلك رأي المعتزلة انظر الملل ٤٥ .

(٨٦) البرهان في علوم القرآن ٢/٢٣٦ .

(٨٧) معاني القرآن للفراء ٢/١٣

(٨٨) المحتسب ١/١٦٤ .

والملك والرئيس والعالم يخبرون عن أنفسهم بلفظ الجماعة ، فيقول الخليفة : قد أمرنا لك بكذا ، وهو الآمر وحده »[٨٩].

وإذا كان ابن خالويه يربط بين الاستعمال القرآنى والاستعمال العربى فإن ابن فارس يجعل ذلك من سنن العرب ، ولايقصره على خطاب الله سبحانه [٩٠].

وكما يتحدث العظيم بالجمع فإنه يخاطب به أيضاً ، وهذا ماخرجوا عليه قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ – المؤمنون ٩٩ ، فإذا كان ضمير الجمع قد جاء فى التكلم فى مثل (خلقناكم) وأمثالها فى غير موضع من القرآن[٩١] ، ومن مثل ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ – الحجر ٢٣ ، فقد جاءت مخاطبته سبحانه رداً على ماوصف به نفسه[٩٢]، وتعظيماً له[٩٣] فى ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ – المؤمنون ٩٩ .

وقد استشهد الزمخشرى وأبو حيان على هذا الاستعمال بقول الشاعر :

فإن شئت حرّمتُ النساء سواكم

وقول الآخر :

ألا فارحمونى يا إله محمدِ [٩٤]

وللنحاة تخريج ثان هو أنه على معنى التكرير أى : ارجعونى ارجعونى[٩٥] وأضاف أبو حيان تخريجاً ثالثاً ، وهو أن الكافر استغاث أولاً بربه ثم خاطب ملائكة العذاب ، واستدل على ذلك بما جاء فى الحديث : إذا عاين المؤمن الموت قالت له الملائكة : نرجعك فيقول : إلى دار الهموم والأحزان؟ بل قدماً إلى الله ، وأما الكافر فيقول : ارجعون لعلى أعمل صالحاً[٩٦].

---

(٨٩) إعراب ثلاثين سورة ٢٠٨ .

(٩٠) الصاحبي ٢٥٣ .

(٩١) انظر : المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (خلق) ص ٢٤٢ .

(٩٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/٢٤١ ، ٢٤٢ ، إعراب القران للنحاس ٣/١٢٢ مشكل إعراب القرآن ٢/٥٠٥ ،البيان ٢/١٨٩ .

(٩٣) الكشاف ٣/٤٢، التبيان ٢/٩٦٠، البحر المحيط ٦/٤٢١ .

(٩٤) الكشاف ٣/٤٢ البحر المحيط ٦/٢٤١ ، من انصاف الابيات وقد وراهما الزمخشري في الكشاف وتبعه في ذلك أبو حيان ولم أعثر عليهما عند غيرهما .

(٩٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/١٢٢ ، مشكل إعراب القران ٢/٥٠٥ البيان ٢/١٨٩ ، التبيان ٢/٩٦٠ .

(٩٦) البحر المحيط ٦/٤٢١، وانظر التبيان ٢/٩٦٠ .

وكما جاء فى القرآن تعظيم الله ، فقد جاء التعظيم لملوك الدنيا أيضاً فمن ذلك ما جاء فى حديث موسى مع فرعون فى قول الله تعالى ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ – الشعراء ٢١ ، وقد علل الزمخشرى ذلك بأن الخوف والفرار لم يكونا من فرعون وحده ، ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتل موسى ، بدليل ﴿ إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ – القصص ٢٠ ، أم الإفراد فى ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ – الشعراء ٢٢ فإن الامتنان والتعبيد كانا من فرعون وحده(٩٧) ، وقد جاء عند الفراء مثل هذا أيضاً (٩٨) وهم فى ذلك يرفضون وجود المخالفة أصلاً بالرجوع إلى الواقع الخارجى .

وقد يسهم السياق اللغوى فى تفسير الظاهرة ، ففى سورة الشعراء وقبل الآية السالفة نجد فرعون يتحدث بصيغة الجمع ، فيقول لموسى ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ – الشعراء ١٨ ، ثم نجد بعدها قوله تعالى ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾ – الشعراء ٢٥ – ٢٦ ، فالموقف لم يكن فيه فرعون وحده ، بل فرعون ومن حوله ، ومن هنا ناسب الخطاب الجمع سواء من جهة فرعون ، أو فى رد موسى عليه ، أما خطاب الإفراد من موسى لفرعون بالامتنان والتعبيد فلا يكون بالجمع لأنه ادعاء من فرعون وحده – كما قال الزمخشرى – ..

ومثل ذلك تخريج ابن جنى لقراءة (لما آتيناكم) فى قول الله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ – آل عمران ٨١ ، فقد قرئت (لما آتيناكم) مناسبة للنبيين ، قال : «وأما (آتيناكم) بالجمع فطريقه أنه لما ورد مع لفظة الجماعة من النبيين جاء أيضاً مجموعاً تعالياً فى اللفظ» (٩٩) .

وقد أورد الأنبارى خمسة أوجه فى قول الله تعالى ﴿ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ – يونس ٨٣ هى :

(٩٧) الكشاف ٣/١٠٩ وانظر البحر ٧/٩ .
(٩٨) معاني القران للفراء ١/٤٧٦، ٤٧٧ .
(٩٩) المحتسب ١/١٦٤ .

١- عودة الضمير (فى ملئهم) إلى فرعون ومن معه .

٢- أنه إخبار من جبار عن نفسه .

٣- على حذف المضاف أى (من آل فرعون) .

٤، ٥ - عود الضمير على متقدم فى الذكر هوالذرية ، أو القوم (١٠٠).

والجديد فى هذه الأوجه العلتان الثالثة والرابعة ، وهما علتان لغويتان أولهما تقدير مضاف محذوف ، والأخرى : البحث عن شيء متقدم يعود عليه ضمير الجمع، وهاتان العلتان لاتسعيان إلا إلى إيجاد المطابقة .

ب - مخالفة المطابقة للواقع الخارجى (المرجع)

ارتبط نزول القرآن بحوادث ووقائع، فجاء منجماً ليعطى أحكاماً فى تلك الوقائع، وربما نزلت الآية فى واحد من الناس يحدده سبب النزول ، ولكن القرآن - وهو كتاب التشريع الأول - لايقف عند تفسير الواقعة ، ولايقتصر الحكم على من نزلت فيه الآية ، بل يجعل الحكم عاماً يصدق على كل مايشبه الواقعة وقد كان ذلك سبباً فى مجيء الخطاب بالجمع فى واقعة تختص بالإفراد.

جاءت لفظة (الناس) وعاد إليها ضمير الجمع ، ومرجعها الواقعى واحد فى قول الله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ - آل عمران ١٧٣ .

يرى الفراء فى هذه الآية أن «(الناس) فى هذا الموضع واحد وهو نعيم بن مسعود الأشجعى ، بعثه أبو سفيان وأصحابه ، فقالوا : ثبط محمداً أو خوفه حتى لايلقانا ببدر الصغرى ، وكانت ميعاداً بينهم يوم أحد»(١٠١) ، فـ- (الناس) الأولى ترجع إلى نعيم .

وقال الأخفش إن المعنىّ بقوله (لكم) النبى صلى الله عليه وسلم ، و(الناس) أبو سفيان (١٠٢)، ومثل ذلك عند ابن خالويه ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ - البقرة ١٩٩) ، فالمعنىّ بـ (الناس) هنا إبراهيم عليه السلام (١٠٣).

(١٠٠) البيان ٤١٩/١،٤٢٠ .

(١٠١) معاني القران للفراء ٢٤٧/١ .

(١٠٢) معاني القرآن للأخفش ٣٦٧/٢ .

(١٠٣) إعراب ثلاثين سورة ٢٣٨ .

ويربط أبو عبيدة بين هذا الاستعمال وأسلوب التعظيم ، ويجعل ذلك من الأساليب العربية حيث يقول «وقع المعنى على رجل واحد ، والعرب تفعل ذلك ، فيقول الرجل : فعلنا كذا وفعلنا ، وإنما يعنى نفسه ، وفى القرآن ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ – القمر ٤٩ (١٠٤) .

ويعلل الزمخشرى ذلك بأن (نعيماً) من جنس الناس ، فأطلق عليه لفظ الجنس، يؤيد ذلك بالاستعمال العربى المماثل ، حيث يقال : فلان يركب الخيل ويلبس البرود ومـاله إلا فرس واحد وبرد واحد ، أو أن ناساً من أهل المدينة كانوا يثبطون مثل تثبيطه(١٠٥) .

ويعرض أبو حيان هذا القول ، كما يعرض قولاً آخر ، وفيه أن اللفظ على ظاهره ، فقيل : «(الناس) الأول ركْب من عبد القيس مروا على أبى سفيان يريدون المدينة للميرة فجعل لهم جعلاً ، وهو حمل إبلهم زبيباً على أن يخبروا أنه جمع ليستأصل بقية المؤمنين ، فأخبروا بذلك ، فقال الرسول وأصحابه ، وهم إذ ذاك بحمراء الأسد : حسبنا الله ونعم الوكيل ، والناس الثانى قريش ، وهذ القول – عنده – أقرب إلى مدلول اللفظ » (١٠٦) .

ويروى الواحدى سبب النزول الذى يؤيد أن (الناس) جماعة وليس فرداً(١٠٧)، ويعرض القرطبى الرأيين معاً(١٠٨)، وفى كل ذلك يربط التحليل بالواقع الخارجي، لا بالتحليل اللغوى الداخلى ، سواء فى البحث عن مطابقة الكلام للواقع الخارجى ، أو فى البحث عن تبرير للمخالفة من هذا الواقع الخارجى .

وقد جعل الزركشى ذلك من خطاب العام والمراد الخاص ، وأضاف إلى ذلك آيتين أخريين ، أولاهما ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴾ – البقرة ١٣ ، فقال : إن المعنىّ بـ (الناس) هنا عبد الله بن السلام ، والأخرى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾– الحجرات ٤) ، على أن المعنىّ بـ (الذين) الأقرع بن حابس (١٠٩) .

---

(١٠٤) مجاز القرآن ١٠٨/١ .
(١٠٥) الكشاف ٤٨٠/١، ٤٨١ .
(١٠٦) البحر المحيط ١١٧/٣، ١١٨ .
(١٠٧) اسباب النزول للواحدي ٨٧ .
(١٠٨) تفسير القرطبي ١٦٢١/٢ ، ١٦٢٢ .
(١٠٩) البرهان ٢٢٠/٢ ، ٢٢١ .

على أننا لم نجد من يؤيده فى الآية الأولى ، ولا فى الثانية ، حيث قالوا إن المقصود بـ (الذين) فيها وفد تميم «وكان من بينهم الأقرع بن حابس»[١١٠] .

ومثل لفظة (الناس) لفظة (طائفة) فى قول الله تعالى ﴿إن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ (التوبة ٦٦) ، فقد قال الفراء إن «الطائفة واحد واثنان ، وإنما نزل فى ثلاثة نفر استهزأ رجلان برسول الله (ص) والقرآن ، وضحك إليهما آخر ، فنزل (إن نعف عن طائفة) يعنى الواحد الضاحك (نعذب طائفة) يعنى المستهزئين ، وقد جاء ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ﴾ (النور ٢) يعنى واحداً»[١١١] .

ونجد هذا عند الزجاج والنحاس إلا أنهما قالا إن المراد نفسٌ طائفة[١١٢] أى على تقدير الموصوف . وكذلك قال أبو حيان إن «المعفو عنه رجل واحد»[١١٣] .

وقد جاء التعبير عن الواحد بلفظ (الرسل) ، و(المرسلون) أيضاً فى مثل ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل ٣٥) ، وكان الرسول امرأة واحدة – على قول الفراء – ويدل على أن الرسول واحد قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾ (النمل ٣٦) ، أى : فلما جاء الرسول سليمان ، وقوله ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ (النمل ٣٧)[١١٤] ، إلا أن ابن فارس والزركشى قالا إن المرسلين جماعة ، وإن الخطاب بالإفراد فى (ارجع إليهم) يحتمل أن يكون لرئيسهم[١١٥] .

ومثل هذه الآية ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء ١٠٥) ، والمراد بالمرسلين نوح[١١٦] ، وقوله سبحانه ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ (الفرقان ٣٧) ، وقد حمل أبو حيان اللفظ على ظاهره فى هذه الآية ، فقال : «(لما كذبوا

---

(١١٠) معاني القرآن للفراء ٣/ ٧٠ ، مجاز القرآن ٢/ ٢١٩ ، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢١٠ أسباب النزول للواحدي ٢٥٨ .
(١١١) معاني القرآن للفراء ١/ ٤٤٥ .
(١١٢) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٥٠٩ ، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
(١١٣) البحر المحيط ٥/ ٦٧ ، وانظر القرطبي ٤/ ٣ ، ٣١٢٤ .
(١١٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٩٣ .
(١١٥) البرهان ٢/ ٢٣٧ ، الصاحبي ٣٥٥ .
(١١٦) انظر البرهان ٢/ ٢٣٨ .

الرسل) ، كذبوا نوحاً ومَنْ قبله ، أو جعل تكذيبهم لنوح تكذيباً للجميع ، أو لم يروا بعثة الرسل كالبراهمة» (١١٧) .

وقد اختلفوا حول قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (المؤمنون ٥١) فقال الفراء «أراد النبى فجمع ، كما يقال فى الكلام للرجل الواحد : أيها القوم كُفُّوا عنَّا أذاكم» (١١٨)، ويتضمن هذا الخطاب – عند الزجاج – أن الرسل جميعاً قد أُمروا بذلك(١١٩) ، ويجعل الزمخشرى الخطاب للرسل جميعاً ، وأن كل رسول خوطب به فى زمنه، والمراد إعلامنا بأن كل رسول فى زمانه نودى بذلك ، ويرى ابن المنير فى قول الزمخشرى هذا نفحة اعتزالية، ويقول إن مذهب أهل السنة أن الله تعالى متكلم آمر ناهٍ أزلاً ، ولا يشترط فى تحقق الأمر وجود المخاطب ، فالرسل قد خوطبوا بذلك فى الأزل (١٢٠) .

وعرض أبو حيان هذه الآراء ثم قال إن «الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء بلفظ الجمع لقيامه مقام الرسل» (١٢١) .

جـ- عموم الحكم الشرعى :

وإذا كان فى خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بلفظة (الرسل) ما يوحى بتعظيمه ، فإننا نجد آيات أخرى تخاطبه بلفظ الجمع، لأن الآية تحمل حكماً من الأحكام الشرعية تطلب تنفيذه من الرسول والمسلمين معه (١٢٢)، ومن تلك الآيات قوله تعالى ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ ـ (النحل

---

(١١٧) البحر المحيط ٤٩٨/٦ .

(١١٨) معاني القرآن للفراء ٢٣٧/٢ .

(١١٩) معاني القرآن وإعرابه ١٥/٤ .

(١٢٠) الكشاف ٣٤/٣ ، ويري المعتزلة أن كلام الله مُحدَث وأن القرآن مخلوق (راجع : الفرق بين الفرق ٦٨ ، المعتزلة ٣٠٤) بينما يري الحنابلة والأشاعرة أن كلام الله قديم (راجع الأشاعرة ٥٦ وما بعدها) وهو خلاف عقدي أدي إلي تعذيب ابن حنبل والتنكيل به ، ولا يبعد أن يكون هذا الخطاب للرسل منذ الأزل كما قال سبحانه ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ (الأعراف ١٧٢) وهو ما يلتقي ورأى ابن المنير الأشعري .

(١٢١) البحر المحيط ٤٠٨/٦ .

(١٢٢) وقد خص الله النبي بأشياء حددها العلماء ، انظر : الموافقات للشاطبي ٥١/٣ .

١٢٦) فقد نزلت فى حمزة لما مثّل به المشركون يوم أحد فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأمثلن بسبعين شيخاً من قريش (١٢٣)، والحكم الشرعى هنا خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم لكن المراد منه العموم ، ومن هنا كان قول ابن سيرين ومجاهد إنها نزلت فيمن أصيب بظلامة أن لاينال من ظالمه إذا تمكن منه إلا مثل ظلامته ، لايتعداها إلى غيرها(١٢٤) . وهو تفسير للآية يحمل الخاص على العام وليس سبباً للنزول.

وقد يكون الخطاب فى أوله للنبى (ص) ثم يتحول إلى خطاب عام فى مثل ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴾ (يونس ٦١) فالخطاب عام فى قوله (ولاتعملون) ، وكذا (إلا كنا عليكم شهوداً)(١٢٥) .

ومثل ذلك (فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا – هود ١٤) ، وظاهر الخطاب للنبى (ص) ، ثم تحول الخطاب إلى المؤمنين معه ، فالمؤمنون مقصودون بالخطاب أيضاً ، أما (فاعلموا) فقد قال الفراء إنها ليست للنبى (ص) إنما هى لكفار مكة بدليل قوله تعالى (فهل أنتم مسلمون) (١٢٦).

ومثل ذلك فى خطاب النبى وأمته مقصودة بالحكم قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ (الطلاق ١) – قال ابن فارس « فخوطب صلى الله عليه وسلم بلفظ الجميع لأنه أريد هو وأمته» (١٢٧).

كذلك جاء الجمع والمقصود به المفرد فى قوله تعالى ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ (النور – ٢٢) ، فالمقصود بأولى الفضل فى الآية هو أبو بكر رضى الله عنه، حيث حلف ألا ينفق على مسطح بن أثاثة وقرابته الذين ذكروا عائشة بحديث الإفك ، فنزلت الآية ، فأعادهم إلى نفقته (١٢٨).

---

(١٢٣) انظر معاني القرآن للفراء ١١٥/٢ ، الكشاف ٤٣٥/٢ ، أسباب النزول للواحدي ١٩١،١٩٢ .
(١٢٤) البحر المحيط ٥٤٩/٢ .
(١٢٥) نفسه ١٧٤/٥ .
(١٢٦) انظر معاني القرآن للفراء ١١/٢ ، إعراب القرآن للنحاس ٢٧٥/٢، الكشاف ٢٦١/٢ ٢٦٢، البحر المحيط ٢٠٨/٥ ٢٠٩ .
(١٢٧) الصاحبي ٣٥٥ .
(١٢٨) انظر : معاني القرآن للفراء ٢٤٨/٢ ، أسباب النزول الواحدي ٢١٧ ، الكشاف ٥٦/٣ ، البحر المحيط ٤٤٠/٦ .

وقد يقصد بالجمع المفرد ، ثم توضح ذلك قراءة من القراءات إلى جانب الواقع الخارجي ، ففى قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ (التوبة ١٧)، توضح أسباب النزول أن المقصود هو المسجد الحرام وحده [(١٢٩)]، ويؤيد ذلك قراءة مجاهد وعطاء بن أبى رياح (مسجد الله) [(١٣٠)].

وقد ربط الفراء هذا الاستعمال بالأسلوب العربى فقال «وربما ذهبت العرب بالواحد إلى الجمع ، وبالجمع إلى الواحد ، ألا ترى الرجل على البرذون[(١٣١)] فتقول : قد أخذت فى ركوب البراذين ، وترى الرجل كثير الدراهم ، فتقول : إنه لكثير الدراهم»[(١٣٢)]، فالمقصود بالواحد أو الجمع هنا الجنس ، كما يفهم من كلام الفراء ، وكما لاحظ ذلك الزجاج [(١٣٣)].

٢- التعبير بالمفرد عن الجمع

جاء ذلك فى عدة صور نعرضها فيما يلى :

أ - المصادر والمشتقات :

المصدر عند الفراء لايثنى ولا يجمع ، ومن أمثلة ذلك عنده لفظة (براء) فى قول الله تعالى ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (الزخرف ٢٦) ، قال «العرب تقول : نحن منك البراء والخلا ، والواحد والاثنان والجميع من المؤنث والمذكر يقال فيه : براء لأنه مصدر ولو قال : (برئ) لقيل فى الاثنين ، وفى القوم بريئون وبرءاء»[(١٣٤)].

ومثل ذلك عنده (غور) فى ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ (الملك ٣٠) فهى - عنده - مثل : الزور ، والضيف فى : هؤلاء زور فلان ، وهؤلاء ضيف فلان ، وقوم عدل ، وقوم رضا[(١٣٥)]، ومثل (كافة) فى ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ (التوبة ٣٦) فإنها فى مذهب المصدر مثل : الخاصة ، والعاقبة والعافية [(١٣٦)]، ومثله : (الدبر) و (نهر) ،

---

(١٢٩) أسباب النزول للواحدي ١٦٣ .
(١٣٠) معاني القرآن للفراء ١/٤٢٦ .
(١٣١) البرزون : الدابة ، والبرازين من الخيل : ما كان من غير نتاج العراب ـ اللسان (برذن) .
(١٣٢)معاني القرآن للفراء ١/٤٢٦ ، ٤٢٧ .
(١٣٣) معاني القرآن وإعرابه ٢/٤٨٧ .
(١٣٤) معاني القرآن للفراء ١/٣٠ .
(١٣٥) نفسه ٣/١٧٢ .
(١٣٦) نفسه ١/٤٣٦ .

وإن جاز جمعها ، وقد جاء بمعنى الجمع فى ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (القمر ٤٥) ، و﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ (القمر ٥٤) (١٣٧) .

وكذلك يقوم المصدر المفرد مقام المثنى والجمع عند أبى عبيدة ، فيقال : رجل بور ورجلان بور ورجال بور وقوم بور (١٣٨)، ومثله (غوراً)(١٣٩)، و (زلفى) (١٤٠)، و(خلفة) (١٤١)، و(براء)(١٤٢) ، و(جذاذ)(١٤٣) ، فكل أولئك يقع على الواحد والاثنين والجميع من المذكر والمؤنث سواء أكان مصدراً أم بمنزلة المصدر ، وقد استشهد على ذلك بالشعر(١٤٤) .

ومثل ذلك عند الزجاج لفظة (جنب) فى قول الله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ (المائدة ٦) ، فهى مصدر عنده – تقال للواحد والمثنى والجمع ، قال : ومن العرب من يثنى ويجمع المصدر بمنزلة اسم الفاعل (١٤٥)، ومثل ذلك عند النحاس (شهادة) (١٤٦).

وقد أجاز المبرد أن يعبر المصدر عن الواحد والجمع فى مثل قول الله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ ﴾ – البقرة ٧) (١٤٧). ومعنى السمع فى الآية (الأسماع) (١٤٨)، وقد خرجها الزجاج هذا التخريج وأضاف إليه تخريجاً آخر، فقال إن «السمع فى معنى المصدر فوحد ، كما تقول : يعجبنى حديثكم ، ويعجبنى ضربكم – فوحد لأنه مصدر ، ويجوز أن يكون لما أضاف السمع إليهم دل على معنى

---

(١٣٧) نفسه ٣/١١٠ .
(١٣٨) مجاز القرآن ٢/٧٣ .
(١٣٩) نفسه ١/٤٠٣، ٤٠٤ .
(١٤٠) نفسه ٢/١٤٩ ، ١٥٠ .
(١٤١) نفسه ٢/٧٩،٧٠ .
(١٤٢) نفسه ٢/٢٠٣ .
(١٤٣) نفسه ٢/٤٠٢ .
(١٤٤) انظر : مجاز القرآن ٢/٧٩،٨٠ ، ١/٤٠٣ ، ٤٠٤ .
(١٤٥) معاني القرآن وإعرابه ٢/١٦٩ .
(١٤٦) إعراب النحاس ٥/٣٢ .
(١٤٧) المقتضب ٢/١٧١ .
(١٤٨) مجاز القرآن ١/٢٦٥ .

أسماعهم ، (١٤٩)، فالمصدر على الوجه الثانى مفرد ، لكنه يكتسب معنى الجمع من المضاف إليه .

وأضاف النحاس وجهاً ثالثاً وهو أن يكون فيه محذوف ، أى : وجعلنا له ذوات سمع(١٥٠)، أو على موضع سمعهم (١٥١).

ومثل ذلك (ذنب) فى قوله تعالى ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾ (الملك ١١) فالذنب مصدر، ولهذا عبر عن الجمع (ذنوب) .

وقد ربط الفراء بين المصدر والفعل ، فإذا كان الفعل لايثنى ولا يجمع فإن المصدر كذلك لايثنى ولا يجمع، وإن كان الفراء يطلق مصطلح (الفعل) على كل مشتق(١٥٢) ، ويفهم ذلك من قوله «ولم يقل (بذنوبهم) لأن فى الذنب فعلا ، وكل واحد أضفته إلى قوم بعد أن يكون فعلاً أدى عن جمع أفاعيلهم» (١٥٣).

فمعنى الفعل فى المصدر هو الذى يجعله لايثنى ولايجمع ، كما أن الفعل لايثنى ولايجمع مع الفاعل (١٥٤)، فإن لم يكن فى المصدر معنى الفعل جاز تثنيته وجمعه ، وقد نقل عن الفراء قوله إن المصدر على وزن (فَعْل) لايجمع ، إلا إن أردنا مصدرين مختلفين فى مثل : بعث الخليفة بعثين وبعوثاً ، لأن معناه الجنود ، فحسن جمعه لأنه خرج من حد الفعل (١٥٥) وهو مايفهم منه أن المصدر إذا اقترب من معنى الفعل لم يجمع أما إذا اقترب من معنى الاسم ، فإنه يجوز فيه الجمع .

وقد نقل عن هشام بن معاوية الكوفى (ت٢٠٩هـ) أن المصدر موحد فى الأحوال كلها (١٥٦).

وقد عرض صاحب دقائق التصريف أمثلة كثيرة من القرآن والشعر جاء فيها

---

(١٤٩) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٨٣ .

(١٥٠) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٧٠ .

(١٥١) نفسه .

(١٥٢) انظر : معاني القرآن للفراء ١/ ٣٢، ٣٣ حيث يسمي اسم الفعال الفعل الدائم وانظر أيضاً مجالس ثعلب ١/ ٣٠٩ ، المقتصد ١/ ٥٥ .

(١٥٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٧٠ .

(١٥٤) بحث د. رمضان عبد التواب هذه الظاهرة في اللغات السامية ، انظر : المدخل إلى علم اللغة ٣٠١

(١٥٥) دقائق التصريف ٤٦ وقد نجاء ذلك في أحد كتبه الفقودة وهو (كتاب الجمع التثنية)

(١٥٦) نفسه ٤٤ .

المفـرد بدلاً من الجـمـع، منهـا مـايدخل فى المصـدر ومنهـا مـا يدخل فى مـعنى الجنس(١٥٧).

وكذلك قال وليم رايت إن المصدر فى العربية يستعمل للمفرد والجمع بنوعيه المذكر والممؤنث ، فيقال : رجل عدل ، وقوم عدل(١٥٨).

والعلاقة بين المصدر والفعل فى اللغات السامية علاقة وثيقة ، حتى إنه قد يغيب المصدر فيعبر عنه بالفعل ، فالعبرية تستخدم فعل الأمر للدلالة على المصدر(١٥٩).

وقد جمع اسم الفاعل – عندهم – ونبه الأخفش إلى ذلك عند قول الله تعالى ﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّات﴾ (الملك ١٩)(١٦٠) ، إلا أن اسم الفاعل يصلح أيضاً للكثير والقليل – الإفراد والجمع – إذا أريد به معنى الجنس ، ومن ذلك – عند الفارسى – لفظة (الكفار) فى قول الله تعالى ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيراً﴾ (الفرقان ٥٥)(١٦١). ومثل ذلك أسماء الأفعال ، من مثل (هيت) فإنها تأتى للمفرد والمثنى والجمع ، والمذكر والمؤنث(١٦٢)، ومثل ذلك (هلم) فى مثل قوله تعالى ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾ (الأنعام ١٥٠) وإن كان أهل نجد يثنون ويجمعون (١٦٣).

ومثل ذلك أفعل التفضيل فهو لايثنى ولايجمع ، ومن أمثلة ذلك ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ (الشمس ١٢) قال الفراء يقال : إنهما كانا اثنين ويجوز – عنده – الإفراد والتثنية (١٦٤).

وكذلك الصفة المشبهة تكون للواحد والمثنى والجمع، وقد وقفوا عند كثير من أمثلتها ، وجمعوا بينها وبين المصدر ، ومن أمثلتها عند الأخفش (جنب) ، (ظهير)

---

(١٥٧) نفسه ٨٠، ٨٢ .

(١٥٨) Lectures on the Comparative P. 148

(١٥٩) انظر فقه اللغات السامية / بروكلمان ١٢١ .

(١٦٠) معاني القرآن للاخفش ٢/٥٠٤ .

(١٦١) الحجة / للفارسي ٣/١٠٨ .

(١٦٢) مجاز القرآن ١/٣٠٥ .

(١٦٣) نفسه ١/٣٠٨ وهو عندئذ يتحول إلى فعل .

(١٦٤) معاني القرآن للفراء ٣/٢٦٨ .

و(صديق) ، و(قعيد) ، و(عدو) فهى مفردة فى اللفظ لكنها تجيء للجمع والمذكر والمؤنث(١٦٥) .

وقد وقف الفراء أيضاً عند أمثلة من الصفة المشبهة منها وزن (فعيل) مثل (ظهير) فى قول الله تعالى ﴿ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (التحريم ٤) ، فـ (ظهير) بمعنى (ظهراء) (١٦٦) ، و مثل ذلك (رفيقاً) فى ﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء ٦٩) ، قال «إنما وحد الرفيق وهو صفة لجمع ، لأن الرفيق والبريد والرسول تذهب به العرب إلى الواحد وإلى الجميع» (١٦٧) ، ومثلها (قعيد) فى ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ (سورة ق١٧)(١٦٨) .

ووقف أبو عبيدة عند وزن (فعيل) أيضاً ، فقال إنه يقع على الجمع والواحد فى مثل ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (الحديد ١٦)(١٦٩) ، ﴿ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (التحريم ٤) ، ﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء ٦٩)(١٧٠) ، ﴿ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً ﴾ (الإسراء ٩٢) (١٧١) ، و﴿ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ - يوسف٨٠) و ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف ٥٦) حيث قال «هذا موضع يكون فى المؤنثة والتثنية والجميع منها بلفظ واحد» (١٧٢) ، ومثل ذلك عنده (الحصيد) ، وإن أدخلها فى أمثلة المصدر(١٧٣) .

ووقف الفارسى أيضاً عند (ظهير) ، و(رفيقاً) فقال إن التقدير فيه للجمع واللفظ على الإفراد (١٧٤) .

---

(١٦٥) معاني القرآن للاخفش ٢٣٨/١ ، ٢٣٩ ، وانظر ٣٦٧/٢ ، ٤٦٣
(١٦٦) معاني القرآن للفراء ١٦٧/٣ .
(١٦٧) نفسه ٢٦٨/١ .
(١٦٨) نفسه ٧٧/٣
(١٦٩) مجاز القرآن ٢٥٤/٢ .
(١٧٠) نفسه ١٣١/١
(١٧١) نفسه ٣٩٠/١ ، ٣٩١
(١٧٢) مجاز القران ٢١٦/١ ، ٢١٧
(١٧٣) نفسه ٣١٥/١
(١٧٤) حجة الفارسي ١٠٦/٢ ، ١٠٧

ومن ذلك وزن (فعول) فى مثل (رسول)، وقد أشار الفراء وغيره إلى ذلك، وإن حملوه معنى المصدر[١٧٥].

ومن أوزان الصفة المشبهة وما اشتبه مع اسم الفاعل من مثل (صالح) فى ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التحريم ٤) وهو واحد فى معنى الجمع عند الفراء [١٧٦].

وجمع ابن فارس أمثلة للمصدر والصفة المشبهة وأفعل التفضيل جاءت على الإفراد فى معنى الجمع [١٧٧].

وإذا كانت المشتقات ترتبط فى معناها واستعمالها بالأفعال، فإننا نجد ابن خالويه يعلل إفراد (المغضوب) فى قول الله تعالى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة ٧) بقوله إن «الفعل إذا لم يستترفيه الضمير كان موحداً، فالتقدير: غير الذين غضب عليهم» [١٧٨]، فيربط بذلك بين إفراد الفعل مع الجمع وإفراد اسم المفعول (المغضوب) وهو مافعلوه فى المصدر من قبل.

أما ابن جنى فيربط بين معنى الفعل والجنس ويجعل ذلك سببا فى صلاحية الفعل للمفرد والمثنى والجمع[١٧٩]. ويمكننا أن نستنتج من أقوالهم تلك أن معنى الجنس هو الذى جعل الفعل يعبر عن المفرد والمثنى والجمع، فلا تضاف علامات التثنية أو الجمع للفعل، ثم قيست المشتقات على الفعل فى ذلك بما فيها من معنى الفعل [١٨٠].

ب – الألفاظ الدالة على الجنس:

وقف الفراء عند قول الله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ (البقرة٢٩)، فقال إن السماء فى معنى جمع، لذا عاد الضمير عليها فى (فسواهن) لأن المعنى معروف أنهن سبع سموات، وكذلك الأرض[١٨١] وقال الأخفش: إنما ذكر سماء واحدة وذكرها دل عليهن كلهن، ثم أشار إلى قول بعضهم إن السماء معناها جمع ولفظها

---

(١٧٥) انظر هذا البحث فيما تقدم.

(١٧٦) معاني القرآن للفراء ٣/١٦٧.

(١٧٧) الصاحبي ٣٥١ـ ٣٥٢، ٤٤١ ـ ٤٤٢.

(١٧٨) إعراب ثلاثين سورة ٣٣.

(١٧٩) راجع: المحتسب ١/١٩٤، والفعل إذا تقدم علي الفاعل الظاهر يكون مفرداً سواء أكان هذا الفاعل مفرداً أو مثني أو جمعاً، إلا في لغة (أكلوني البراغيث) التي حاول النحاة تعليل خروجها عن المطرد في اللغة، وإن كانت موجودة في اللغات السامية، راجع المدخل إلي علم اللغة ٣٠١.

(١٨٠) انظر: قضايا المفعول به عند النحاة العرب ١٣٧ ومابعدها.

(١٨١) معاني القرآن للفراء ١/٢٥.

لفظ الواحد وهي جمع مذكر كاللبن ، وأنكر هذا القول ، وجاء بقول ثالث هو أن يراد بها الجماعة ، أي : كل سماء ، كما تقول : هلك الشاة والبعير ، يعني كل بعير وكل شاة[١٨٢] .

وعرض الزجاج هذه الأقوال ، وقال إنه «يجوز أن يكون (السماء) جمعا كما أن السموات جمع ، كأن واحده سماة وسماوة ، وسماء للجميع»[١٨٣] .

وقال ابن خالويه إن «السماء تكون واحداً وجمعه ، فمن وحده جمعه سموات ، ومن جعله جمعاً فواحده سماءة وسماوة»[١٨٤] .

وجعل ابن منظور السماء جمعاً لـ (سماءة) التي أصلها (سماوة)[١٨٥] ويؤيد قول ابن خالويه وابن منظور ما جاء عند دارسي اللغات السامية عن الكلمتين (Sha-mim, mim) العبريتين وأمثالهما ، فقد قال وليم رايت إن الكلمتين ليستا للمثنى وإنما هما للجمع ، ومفرداتهما مهملة هي (Shami, mi) [١٨٦] .

فإذا كان للكلمة العبرية مفرد مهمل ، فما المانع أن يكون ذلك قد حدث بالفعل في العربية ؟ وقد فكر ابن خالويه وابن منظور في تقدير هذا المفرد المهمل في العربية ، كما فكر في ذلك رايت فقدره في العبرية .

وقد وضع آخرون مثل هذه الكلمات ضمن الكلمات التي أخذت شكل الجمع ، ومعناها الإفراد (Shamim, mim, haiim) [١٨٧] و(Alohim, Adonim) [١٨٨] . وهوعكس الظاهرة العربية فكلمة (سماء) مفردة في لفظها عبرت عن الجمع ، مما يجعلنا نلجأ إلى السياق لتفسير الظاهرة ، ومثل ذلك لفظة (السحاب) في قوله تعالى ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ (الرعد ١٢) حيث وصف بصفة الجمع ، وقد أجاز الفراء[١٨٩] وصفه الجمع ، لأنه جمع وإن كان لفظه واحداً ، ومثل ذلك (رفرف) في

---

(١٨٢) معاني القرآن للأخفش ١/٥٤، ٥٥ وهذا القول الثالث قاله أيضاً عن الأرض في (ومن الأرض مثلهن ـ الطلاق ١٢).

(١٨٣) معاني القرآن وإعرابه ١/٧٥ .

(١٨٤) إعراب ثلاثين سورة ٩٥ .

(١٨٥) اللسان : مادة (سما)

(١٨٦) w.wright, lectures on the comparative grammar of the Semitic Languag-es.p.150.151.

(١٨٧) Hebrew Union College Annual. Vlume I p.31

(١٨٨) Agrammar of Biblical Hebrew, Jashua Blau p. 66

(١٨٩) معاني القرآن للفراء ٢/٦٠ ، ٦١ .

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (الرحمن ٧٦) ويجوز عنده – الوصف بالمفرد ، فيقال : السحاب الثقيل ، ورفرف أخضر ، وعبقرى حسن ، وعلى ذلك جاء قوله تعالى ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ (يس ٨٠) ، حيث عاد ضمير المفرد فى (منه) على الشجر.

ومثل ذلك (الريح حيث يجوز أن يراد به الجنس فتعبر عن الواحد والجمع[١٩٠]، وقد جاءت القراءات السبع بإفراد الريح وبجمعه فى آيات كثيرة ، من مثل ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ (البقرة ١٦٤) ، ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ (الكهف ٤٥) ، ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾ (الروم ٤٨) وغيرها[١٩١] .

ومثل ذلك (مسكين) ، و(مساكين) فى قوله تعالى ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ (البقرة ١٨٤)[١٩٢] ، وقد عده الفارسى مفرداً ، وقال : «إن الإفراد جاز و حسن ، لأن المعنى على كل طعام مسكين»[١٩٣] .

ومثل ذلك قراءة (فادخلى فى عبدى – الفجر ٢٩)[١٩٤] ، وقد وجد لها ابن جنى تحليلاً جمالياً ، حيث قال : «هذا لفظ الواحد ومعنى الجماعة : أى عبادى ، كالقراءة العامة وقد تقدم القول على نظيره وأنه إنما خرج بلفظ الواحد ليس اتساعاً واختصاراً عارياً من المعنى ، وذلك أنه جعل عباده الواحد ، أى : لاخلاف بينهم فى عبودبته ، كما لايخالف الإنسان نفسه »[١٩٥].

وأوضح مثال على هذه الظاهرة عندهم لفظة (الإنسان) ، فقد جاءت مفردة وقصد بها الجمع ، ومن هنا عاد إليها ضمير الجمع فى مثل قوله تعالى ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ﴾ (الشورى ٤٨) واستثنى منها كثير من آيات القرآن الكريم .

---

(١٩٠) انظر : الحجة للفارسي ١٩٧/٢،١٩٨ .
(١٩١) انظر السبعة ١٧٣، النشر ٢٢٣/١ .
(١٩٢) حجة ابن خالويه ٦٩ ، ٧٠ .
(١٩٣) الحجة للفارسي ٢٠٨/٢ .
(١٩٤) هي قراءة ابن عباس وعكرمة والضحاك وأبي شيخ الهنائي والكلبي وابن السميفع كما جاء في المحتسب ٣٦٠/٢ وانظر : معجم القراءات ١٤٨/٨ .
(١٩٥) المحتسب ٣٦٠/٢ ، ٣٦١ .

وقد وقف الفراء عند الآية السابقة فقال «والإنسان يكون واحداً وفى المعنى جمع فرد الهاء والميم – أى فى (تصبهم) – على التأويل – أى المعنى ، ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء ٢٨) يراد به كل الناس ، ولذلك جاز فيه الاستثناء وهو موحد فى اللفظ كقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (العصر ٢ ،٣)(١٩٦) وقال فى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (التين ٤–٦) إن الإنسان و «إن كان واحداً ، فإنه يراد به نفعل ذا بكثير من الناس ، وقد تقول العرب : أنفق فلان ماله على فلان ، وإنما أنفق بعضه ، وهو كثير فى التنزيل من ذلك قوله فى أبى بكر ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ (الليل ١٨) ولم يرد كل ماله ، إنما أراد بعضه »(١٩٧).

وأخذ الأخفش(١٩٨) الدليل على أن لفظة (الإنسان) فى معنى الجمع من الاستثناء ، إذ لايستثنى من المفرد، وكذلك قال ابن خالويه ونقله المبرد(١٩٩) ، وقال إن «العرب توقع الإنسان على المذكر والمؤنث والواحد والجمع ، ومن العرب من يقول فى المؤنث إنسانة قال الشاعر :

إنسانة تسقيك من إنسانها خمراً حلالاً مقلتاه عنبه(٢٠٠)

وعلى لفظة (الإنسان) جاءت أيضاً لفظة (علق) فى قوله تعالى﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (العلق ٢) ، قال الفراء « قيل : من علق ، وإنما هى علقة ، لأن (الإنسان) فى معنى الجمع ، فذهب بالعلق إلى الجمع لمشاكلة رءوس الآيات» (٢٠١).

ومثل ذلك أيضاً لفظة (الطاغوت) حيث اللفظ واحد والمعنى جماعة ، وإن كان

---

(١٩٦) معاني القرآن للفراء ٢٦/٣ .

(١٩٧) معاني القرآن للفراء ٢٧٦/٣ ، وانظر أيضاً ٢٧٧/٣ ، ٣،٥/٤ / ١٨٥ .

(١٩٨) معاني القرآن للأخفش ٥٠٨/٢ .

(١٩٩) إعراب ثلاثين سورة ١٧٥،٤٣ .

(٢٠٠) نفسه ١٣١ ،ولفظة (إنسان) على قوله ترادف كلمة (رجل) في العامية المصرية ، حيث يقال (رجل – وامرأة) ، وكلمة (زول) في العامية السودانية التي تعني عندهم (رجلاً ، أو امرأة) وقد سمعت كثيراً من الطالبات كلمة الزول وهي تقصد نفسها .

(٢٠١) معاني القرآن للفراء ٢٧٨/٣ .

لهـا جـمـع هو (الطواغـيت)(٢٠٢) ، وأجـاز الزجـاج ذلك إذا كـان فـى الكلام دليل على الجماعة(٢٠٣).

ومـثل ذلك لفظة (الشـيطـان) فـى مـثل ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف ٣٦،٣٧) ، وفـقـد عـاد الضـمـيرفـى (يصـدونهم) على الشيطـان ، قـال الفـراء «وهو فـى مـذهب جـمع ، وإن كـان قد لفظ به واحـداً ، يقـول : وإن الشـيـاطين ليـصـدونـهم عن السبيل، ويحسبون أنهم مهتدون»(٢٠٤) .

ومـثـال ذلك (الماء) فـى قـوله تـعـالى ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ (القـمـر ١٢)(٢٠٥) .

ومثل ذلك (النجم) فى قوله سبحانه ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (النجم ١) .

قال ذلك أبو عبيدة ، واستشهد بقول الشاعر :

وباتت تعد النجم فى مسـتحيرة سريع بأيدى الآكلين جمودها(٢٠٦)

ومن ذلك لفظة (أحـد) فى قـولـه تعـالى ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة ٤٧) ، فقد قال الفراء إن أحداً تكون للجميع وللواحد (٢٠٧) . وقال الأخفش أيضاً إن معنى (أحد) معنى جماعة(٢٠٨) ، وجعل أبـو عبيدة (أحداً) تقع على الواحد وعلى الاثنين والجمع من الذكر والأنثى(٢٠٩) .

ولاحظ ابن قتيبة فيها معنى الجنس ، وربطها بقول العرب : فلان كثير الدرهم والدينار ، يريدون الدراهم والدنانير (٢١٠) .

---

(٢٠٢) معاني القرآن للأخفش ١/١٨١ .
(٢٠٣) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٣٧ .
(٢٠٤) معاني القرآن للفراء ٣/٣٢ .
(٢٠٥) معاني القرآن للفراء ٣/١٠٦ .
(٢٠٦) مجاز القرآن ٢/٢٣٥ .
(٢٠٧) معاني القرآن للفراء ٣/١٨٣ .
(٢٠٨) معاني القرآن للأخفش ٢/٥٠٧ .
(٢٠٩) مجاز القرآن ٢/٢٦٨ .
(٢١٠) تأويل مشكل القرآن ٢٨٤ .

ومثل ذلك قول الله تعالى ﴿ وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ ﴾ (آل عمران ٧٣) حيث عاد الضمير فى (يحاجوكم) على (أحد) ، فلاحظ الفارسى معنى الجمع حيث قال «وجمع ضمير أحد لأن المراد به الكثرة ، فحمل على المعنى فى قوله (أو يحاجوكم) ، وجاز ذلك لأن الأسماء المفردة قد تقع للشياع وفى المواضع التى يراد بها الكثرة» (٢١١) .

ولأن (أحد) قد تدل على الجمع ، فقد وقعت قبلها (بين) التى لابد أن تقع على شيئين فى قول الله تعالى ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ (البقرة ٢٨٥) (٢١٢) .

ولكن هل لفظة (أحد) يصح أن تقدر بمعنى الجمع فى كل موضع أم أن السياق هو الذى يعطيها هذا المعنى؟ .

إن ما يرشح لفظة (أحد) لتأدية معنى الجمع فى الآيات هو السياق فوجود حرف الجر (من) فى سياقها اللغوى فى آية الحاقة جعلها تفيد العموم ، وكذلك وجود الظرف (بين) الذى لا يأتى إلا مع الجمع ، أما فى آية آل عمران فقد حملها أبو على الفارسى على العموم لسبق النفى فى الآية (ولا تؤمنوا) .

ومثل (أحد) فى هذا لفظة (ملك) فى قوله تعالى ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا ﴾ (النجم ٢٦) ، فقد قال الفراء إن (كم) تدل على أنه أراد جمعاً(٢١٣) ، ومثل ذلك تسويته بين (من شجر) و(من شجرة) فى مثل قوله تعالى ﴿ لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴾ (الواقعة ٥٢) قال « فمعنى شجر وشجرة واحدة ، لأنك إذا قلت : أخذت من الشاء ، فإن نويت واحدة ، أو أكثر من ذلك فهو جائز»(٢١٤) .

ومثل ذلك أسماء الأجناس ، وهى ألفاظ مفردة لكن معناها الجمع ، لأن الاسم منها يعبر عن مجموعة أفراد ، وقد تناولنا من قبل لفظتى (الناس) ، و(طائفة)(٢١٥) ، ومثلهما (قوم) و (رهط)(٢١٦) و(أمة) فى مثل ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾

(٢١١) حجة الفارسي ٢/٣٧٠ .
(٢١٢) إعراب ثلاثين سورة ٤٦ .
(٢١٣) معاني القرآن للفراء ٣/٩٩
(٢١٤) معاني القرآن للفراء ٣/١٢٧ .
(٢١٥) انظر البحث فيما سبق : مخالفة المطابقة للواقع الخارجي .
(٢١٦) انظر : المزهر ٢/١٩٩ .

(آل عمران ١٠٤) قال الأخفش «وأمة فى اللفظ واحد ، وفى المعنى جميع ، فلذلك قال (يدعون)[٢١٧] » .

ومثل ذلك لفظة (بشر) فى قوله تعالى ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ (التغابن ٦)[٢١٨] ، وقد نقل السيوطى فى المزهر أن (البشر) يقع على الذكر والأنثى والواحد والاثنين والجمع[٢١٩] .

واسم الجنس أو (اسم الجملة) فى اللغات السامية يستعمل مفرداً وجمعاً ، يقول برجشتراسر : إن أصل جمع التكسير أسماء الجملة ،وهى الأسماء التى تدل على جنس متركب من الأفراد كمثل : أهل وركب ، وقطيع وقوم ، ومعناها بين معنى الجمع ومعنى المفرد ، فهى تشبه الجمع فى أنه يعبر بها عن غير واحد من الأفراد ، وتشبه المفرد فى أن «القوم» مثلاً ، وإن احتوى على عدد كثير من الناس ، فهو فرد يميز من غيره وهذا يمكن جمعه على أقوام ، وقد يشتق منه الاسم المفرد ، بإضافة تاء التأنيث من مثل (qora) قرى فى السريانية ومعناها جمع ، ومفردها (qria) قرية[٢٢٠] .

إذن فهذه الألفاظ مفردة فى اللفظ لكنها تعبر عن معنى الجمع وفى استعمالها للتعبير عن المفرد مراعاة للفظها ، وفى استعمالها للتعبير عن الجمع مراعاة لمعناها لأنها تعبر عن مجموع أفراد وتسير فى ذلك وفق منطق اللغة ونظامها المتبع [٢٢١]، إلا أن ذلك لا يمنع من القول بأنها باستعمالها للجمع خرجت عن الاستعمال المألوف ، وهو ما يفتح الباب لتفسير الخروج عن هذا الإلف تفسيراً دلالياً ، يبين عن الغرض من مخالفة المألوف ، وقد عرضنا من قبل تفسيرهم لخروج لفظتى (الناس) و(طائفة) .

جـ- ألفاظ تتفق صورتها فى الإفراد والجمع :

هناك ألفاظ تتفق صورتها اللفظية تستعمل بنفس لفظها فى الإفراد والجمع وقد جاءت من ذلك ألفاظ فى القرآن الكريم ، نبه الزركشى وابن قتيبة والسيوطى على بعضها [٢٢٢]، وتناولها أصحاب الدراسات القرآنية بالتحليل .

(٢١٧) معاني القرآن للأخفش ٢١١/١ .
(٢١٨) نفسه ٥٠١/٢
(٢١٩) المزهر ٢٢٠/٢
(٢٢٠) راجع : التطور النحوي للغة العربية ١٠٦ ، ١٠٧ . السريانية نحوها وصرفها ص ٥٨ ،٥٩
(٢٢١) راجع ظاهرة المطابقة ١٠٥ ،٩٩ .
(٢٢٢) انظر : البرهان للزركشي ٢٣٣/٢ . ٢٣٤ ، تأويل مشكل القرآن ٢٨٤

ومن أمثلة ذلك لفظة (الفلك) فقد جاءت بمعنى المفرد فى قوله تعالى ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (الشعراء ١١٩ ، يونس ٧٣) ، وجاءت بمعنى الجمع فى قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ (يونس ٢٢) ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ (البقرة ١٦٤) .

وقد عدها سيبويه فى حالة الجمع جمع تكسير على وزن (فُعْل) (٢٢٣) ، وهو على نفس الوزن فى الإفراد ، ومن هنا جاء له إبن جنى بألفاظ تعادله فى حالتى الإفراد والتثنية ، فـ (فلك) فى المفرد بمنزلة (قُفْل) ، و(خُرْج) وفى الجمع بمنزلة (حُمْر) ، (صُفْر) ، فاتفق اللفظان واختلف المعنى (٢٢٤).

ومن أمثلة ذلك ألفاظ (العدو) فى ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ (المنافقون ٤) أى الأعداء (٢٢٥)، (وخصم) فى مثل ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ سورة ص ٢١) ، قال أبو عبيدة «الخصم : يقع لفظه على الواحد والجميع»(٢٢٦) ، ومثل ذلك (ضيف) فى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ (الذاريات ٢٤ ـ ٢٥)(٢٢٧) و﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي﴾ الحجر ٦٨)(٢٢٨) ، و(السبيل) فى ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ النحل ٩) قال أبو عبيدة «السبيل لفظه لفظ الواحد ، وهو فى موضع الجميع ، فكأنه : ومن السبيل (أى السبل) سبيل جائر»(٢٢٩) ، ومثل ذلك (طفلاً) فى ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ غافر ٦٧) فمعناه : أطفالاً(٢٣٠) .

وإذا كان أبو عبيدة قد وقف عند الظاهرة دون محاولة تفسيرها فإن الزجاج يجعل المعنى : يخرج كل واحد منكم طفلا(٢٣١) ، وقد وصلت هذه التبريرات عند أبى حيان إلى ثلاثة ؛ أولها أنها مصدر فى الأصل ، والثانى أن الغرض الدلالة على

---

(٢٢٣) الكتاب ٣/٥٧٧ .

(٢٢٤) الخصائص ٢/١٠١ ، وانظر أيضاً ٣/٦٤ ، ٦٥ .

(٢٢٥) معاني القرآن للفراء ٣/١٥٩ ، وانظر معاني القرلن للاخفش ٢/٤٢٣ .

(٢٢٦) مجاز القرآن ٢/١٨٠ .

(٢٢٧) نفسه ٢/٢٢٦ .

(٢٢٨) نفسه ١/٣٥٣

(٢٢٩) نفسه ١/٣٥٧ .

(٢٣٠) نفسه ١/٩ ـ ١١ ، وانظر ٢/٤٤ ، ٤٥ ، ١٩٥ .

(٢٣١) معاني القرآن وإعرابه ٣/٤١٢، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/٧٨ ، الكشاف ٣/٦ .

الجنس ، والثالث : أن معنى يخرجكم يخرج كل واحد كقولك الرجال يشبعهم رغيف أى كل واحد (٢٣٢) ، وهو رأى الزجاج فيما سبق .

والقول بأن (طفلاً) كانت مصدراً فى الأصل ، وإن كان تعليلاً لغوياً - غير مقنع ، وكذلك القول بأنه يدل على الجنس ، وقد أخذ ابن جنى بالقول الثالث وهو أن معناه نخرج كل واحد منكم طفلاً ، إلا أنه أضاف تعليلاً دلالياً لاختيار لفظ المفرد فقال « وحسن لفظ الواحد هنا ، لأنه موضع تصغير لشأن الإنسان ، وتحقير لأمره ، فلاق به ذكر الواحد لذلك ، لقلته عن الجماعة ، ولأن معناه أيضاً نخرج كل واحد منكم طفلاً وهذا مما سئل الناس عنه قالوا : وضع الواحد موضع الجماعة اتساعا فى اللغة ، وأنسوا حفظ المعنى ومقابلة اللفظ به ، لتقوى دلالته عليه» (٢٣٣).

فابن جنى لايكتفى بالتعليل اللغوى (اللفظى) بالاتساع فى اللغة ، بل يضيف إليه تعليلاً معنوياً عرض له ولأمثلته فى الخصائص وهو يقتضى زيادة اللفظ لزيادة المعنى(٢٣٤) .

وقد أعجب أحد الباحثين برأى ابن جنى وعرضه ثم عرض الآيات التى وردت فيها لفظتا (طفل) و(أطفال) وعمق التعليل الدلالى لابن جنى(٢٣٥) .

ونحن وإن كنا لانستبعد التحليل الدلالى والبلاغى إلا أننا نقدم عليه التحليل اللغوى ، ولفظة (طفل) كما استعملت فى القرآن للمفرد والجمع فإننا نجدها مستعملة كذلك فى العبرية ، فكلمة ([illegible]) وإن كانت مفردة فى شكلها إلا أنها تحمل معنى الجمع وتوازى الجمع فى الغالب(٢٣٦) وفى اللغة الأجريتية أيضاً أسماء مفردة فى شكلها لكنها توظف كما لو كانت جمعاً ، ولنا أن نقارن الاستعمالات الآتية لكلمتى (hzr) خنزير و(hrsm) حرفيون ، فالأولى مفردة فى شكلها والثانية جمع ، ومع ذلك نجد هذه الاستعمالات :

ثمانية خنازير tmnhzr

أربعة حرفيين arbehr^sm

---

(٢٣٢) البحر المحيط ٦/٣٥٢

(٢٣٣) المحتسب ٢/٢٧٦ .

(٢٣٤) انظر : الخصائص ٣/٢٦٤ ومابعدها .

(٢٣٥) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية / حسن طبل ١١٦ .

(٢٣٦) hebrew union college annual viumelp .31

اثنا عشر خنزيراً ttt mhzr

خمسة عشر مغنياً hmssrhsnm (٢٣٧)

ويتبين من هذا أن المفرد (hzr) قد استعمل استعمال الجمع تمييزاً للعدد ، وهو مايتفق مع العربية فى المثاليين الأخيرين .

د ـــ المبهمات :

هناك ألفاظ مبهمة مفردة فى اللفظ ، لكنها قد تدل على الجمع بحسب ما يفسرها فى سياقها اللغوى ، ومن هذه الألفاظ أى ، وكل ، وكم(٢٣٨) وبعض الأسماء الموصولة (٢٣٩).

وقد جاءت (كل) فى قوله تعالى ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ ﴾ (غافر ٥) مفردة فى معنى الجمع ولهذا قال برسولهم(٢٤٠).

وأجاز أبو عبيدة أن تعامل معاملة المفرد، ومعاملة الجمع فى آيات منها ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (النمل ٨٧)(٢٤١) ، و﴿ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ (الروم ٢٦)(٢٤٢) ﴿ وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ (الأنبياء ٧٢)(٢٤٣) و ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (الأنبياء ٣٣)(٢٤٤) .

الأسماء الموصولة :

أما الأسماء الموصولة ؛ فقد حدد النحاة استعمال كل اسم منها من حيث الإفراد والتثنية والجمع ، والتذكير والتأنيث (٢٤٥)، إلا أنها قد تخالف هذا الاستعمال ، ومن أمثلة ذلك مايلى :

---

(٢٣٧) ugaritic Textbook p 55

(٢٣٨) راجع ظاهرة المطابقة ص ٨٨ وما بعدها .

(٢٣٩) راجع : نفس المرجع ص ٧٨ وما بعدها وراجع أيضاً : الجوانب الدلالية للتحليل النحوي ص٣٣ ومابعدها

(٢٤٠) معاني القرآن للأخفش ٤٦٠/٢ .

(١٤١) مجاز القرآن ٩٦/٢ .

(٢٤٢) نفسه ١٢١/٢ .

(٢٤٣) نفسه ٤٠/٢

(٢٤٤) نفسه ٣٨/٢ .

(٢٤٥) انظر : همع الهوامع ٢٨٣/١ .

١ـ الذى : للمفرد المذكر : وقد جاءت للدلالة على معنى الجمع فى مثل ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة ١٧) ، و ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر ٣٣) .

وللأخفش فى تحليل هذه المخالفة رأيان ، أولهما : أن (الذى) جعلت فى معنى جمع بمنزلة (مَنْ)[٢٤٦] ، أى أنها مبهمة مثلها يوضحها مابعدها ، والرأى الآخر : أنها فى معنى جمع كما يكون (الإنسان) فى معنى (الناس)[٢٤٧] ، أى أن المراد بها الجنس.

وللفراء[٢٤٨] أيضا رأيان يجمع فى أولهما بين عودة (الذى) على المصدر (النفاق) ودلالة ذلك على الجنس ، فيقول ـ عند آية البقرة ـ إن المقصود بضرب المثل هو الفعل ، فهو مثل للنفاق ، وعلى ذلك جاز (ذهب الله بنورهم) بالجمع لأن المعنى يعود على المنافقين لامنافق واحد . أما الرأى الآخر فقد قاله فى الآية الثانية وهو أن (الذى) غير موقت ـ أى مبهمة ـ فجاءت فى معنى الجمع ، واستدل على معنى الجمع بقراءة عبد الله (والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به)[٢٤٩] .

أما الأنبارى فقد جعل (الذى) مثل (مَنْ) فهى تأتى مرة بمعنى المفرد ومرة بمعنى الجمع [٢٥٠]، وجعلها فى الآية الثانية دالة على الجنس[٢٥١] .

وجمع العكبرى رأيى الأنبارى فى رأى واحد ؛ فقال إن المراد بـ (الذى) الجنس ، فهى مثل : مَنْ ، وما ، فيعود الضمير إليها تارة بلفظ المفرد ، وتارة بلفظ الجمع، وأضاف رأياً آخر هو أن المراد (الذين) ، وحذفت النون لطول الكلام بالصلة[٢٥٢] وهو تحليل لفظى يجعل (الذى) أصلها (الذين) وحدث لها حذف

---

(٢٤٦) معاني القرآن للأخفش ٢/٤٥٦ .
(٢٤٧) نفسه ١/٤٩ .
(٢٤٨) معاني القرآن ١/١٥ .
(٢٤٩) نفسه ٢/٤١٩ .
(٢٥٠) البيان ١/٣٢، ٣٣ .
(٢٥١) نفسه ١/٣٢٣ .
(٢٥٢) التبيان ١/٣٢ ، ٣٣ وهو رأي ابن جني أيضاً ، انظر المحتسب ١/١٨٥ .

لطول جملة الصلة فتحولت إلى (الذى) (٢٥٣).

ويقول السيوطى إن (الذى) تجيء بمعنى (الذين) بكثرة إذا ضمنت معنى الجزاء فى مثل (والذى جاء بالصدق) ، وبقلة إذا لم تتضمن معنى الجزاء ومثالها آية البقرة وأنها مثل (مَنْ) تجيء للمفرد والمثنى والجمع (٢٥٤).

وإذا تأملنا الآراء السابقة على كثرتها وجدناها تعود إلى ثلاثة آراء هى :

الرأى الأول : أنها مثل (مَنْ) وقال بذلك الأخفش والأنبارى والعكبرى والسيوطى، وقد يعود إلى هذا الرأى أيضاً قول الفراء إنها غير مؤقتة ـ أو مبهمة ، ومعنى الجزاء الذى جاء عند السيوطى والذى يعطى معنى الإبهام أيضاً.

الرأى الثانى : معنى العموم فى جملتها ، ويتفرع عن ذلك ربط الفراء بين معناها ومعنى العموم فى المصدر ، أو فى مقصود النفاق أو المنافقين ومعنى الجنس الذى جاء عند الأخفش والأنبارى والعكبرى .

الرأى الثالث : هو قول العكبرى بأن أصلها (الذين) وحذف منها النون ، وهو التحليل اللفظى الوحيد فى هذه الآراء .

٢ـ التى : وهو مثل (الذى) عند ابن جنى ، وقد جاءت على ذلك قراءة (التى أرضعنكم ـ النساء ٢٣) (٢٥٥)، وقد خرجها ابن جنى على مذهب الجنسية ، وقال إنه لايجوز تخريجها على حذف النون ، فهذا لايكون إلا فى تخريج (الذى) (٢٥٦).

٣،٤ ـ ما ، مَنْ تستعمل (ما) ، (مَنْ) للمفرد والمثنى والجمع مذكراً أو مؤنثاً بلفظ واحد (٢٥٧).

ما : جاء (ما) بمعنى الجمع ونبه أبو عبيدة إلى ذلك عند قول الله تعالى ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ﴾ (الزمر

---

(٢٥٣) انظر : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ٤٠ .

(٢٥٤) همع الهوامع ٢٨٥/١ .

(٢٥٥) وهي قراءة ابن هرمز ، انظر : البحر المحيط ٢١١/٣ . المحتسب ١٨٥/١ ، معجم القراءات ١٢٢/٢ .

(٢٥٦) المحتسب ١٨٥/١ .

(٢٥٧) همع الهوامع ٢٨٩/١ ، وانظر : الكتاب ٦٥/١ ، ٤١٥ .

٣٨)(٢٥٨) . ومـثلهـا ﴿ أَرَأَيْتُم مَّـا تَدْعُـونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَـاذَا خَلَقُـوا مِنَ الأَرْضِ ﴾ (الأحقاف ٤) (٢٥٩).

من : تكون مفردة فى اللفظ ومعناها الجمع ، وقد مثل سيبويه لذلك بقول : الله تعالى ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة ١١٢) ، فقال : «أجرى الأول على لفظ الواحد ، والآخر على المعنى »(٢٦٠). وفى كتابه باب لاستعمال (مَنْ) بمعنى المثنى والجمع والمفرد يسميه «باب إجرائهم صلة (مَنْ) وخبره إذا عنيت أثنين كصلة (اللذين) ، وإذا عنيت جميعاً كصلة (الذين) » ويمثل فيه بقول الله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ (يونس ٤٢) ، على الجمع ، وبقوله سبحانه ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (الأحزاب ٣١) (٢٦١).

وقد جاء ذلك عند الفراء أيضاً ، فقال عند قول الله تعالى ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (محمد ١٤) : «ولم يقل : واتبع هواه ، وذلك أن (مَنْ) تكون فى معنى واحد وجميع ، فردت (أهواءهم) على المعنى ، ومثله ﴿ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ ﴾ (الأنبياء ٨٢) ، وفى موضع آخر ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ (الأنعـام ٢٥) ، وفـى مـوضع آخـر ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ (يونس ٤٢)(٢٦٢).

ومثل ذلك مـا جاء عند الأخفش (٢٦٣)، وقد نبه أبو عـبيدة إلى أن (مَنْ) تقع على الواحد والاثنين والجمع من المذكر والمؤنث (٢٦٤)، وقال الزجاج إن (من) لفظه لفظ الواحد فيوحد ويذكر ، ويحمل على معناها فيثنى ويجمع ويؤنث»(٢٦٥). ومثل ذلك

---

(٢٥٨) مجاز القرآن ٢/١٩٠ .

(٢٥٩) نفسه ٢/٢١٢ .

(٢٦٠) الكتاب ١/٦٥ .

(٢٦١) الكتاب ٢/٤١٥ ، وانظر في هذه القراءة البحر المحيط ٧/٢٢٨ ، حيث نسبها لابن عامر وآخرين .

(٢٦٢) معاني القرآن للفراء ٣/٥٩، وانظر ١/٢٧٣ ، ٣/١٠ .

(٢٦٣) معاني القرآن للأخفش ١/١٤٤ .

(٢٦٤) مجاز القران ١/٣٦٨ ، ٢/١٢٤ ، وانظر : ١/١٦٧ ، ٣٦٨ ، ٢/٤١ ، ١٥٩ ، ٢١٥ ، ٢٦٠ .

(٢٦٥) معاني القرآن وإعرابه ١/٧٨ .

جاء عند النحاس وابن جنى (٢٦٦).

وإذا كان خروج (الذى) ، (التى) عن معنى الإفراد إلى معنى الجمع يحتاج إلى تبرير ، فإن (ما) و (من) بإبهامهما يصلحان للمفرد لدلالة لفظهما على الإفراد ، كما يصلحان للجمع لأن معناهما الجمع ، فلا يحتاج خروج إحداهما من معنى إلى آخر إلى تبرير ، وقد كثر مجيئهما بالمعنيين فى القرآن .

ثالثاً : العلاقة بين المثني والجمع

١ـ التعبير عن الجمع بلفظ المثنى:

جاء فى القرآن ضمير المثنى عائداً على الجمع، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (الأنبياء ٣٠) وقوله سبحانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا ﴾ (فاطر ٤١) وقوله عز من قائل ﴿ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا ﴾ (الحاقة ١٤) .

والملاحظ فى الآيات عود ضمير التثنية على جمع معطوف على المفرد أو على مفرد معطوف على الجمع ، فجمعت السموات والجبال وعطفت عليهما الأرض وقد وقف الفراء عند آية الحاقة ، فقال إن لفظ : (الجبال) فيها جعل كالواحد ، وكذلك السموات ، وأجاز أيضاً أن يقال : (دكتا) لأن الجبال والأرض كالشىء الواحد(٢٦٧) ومعنى ذلك أنه يجعل كل لفظ من المعطوفين واحدا فى مقابل ما عطف عليها .

ومثل ذلك ماقاله الأخفش فى آية (فاطر) حيث ثنى الضمير مع أن السموات والأرض جماعة ، فرأى أن الآية تجعل السموات صنفاً كالواحد (٢٦٨).

ويتكرر قوله هذا فى آية الأنبياء ، فيقول «قال (كانتا) ؛ لأنه جعلهما صنفين ، كنحو قول العرب : هما لقاحان أسودان ، .. وقال الشاعر :

رأوا جبلاً فوق الجبال إذا التقت رؤوس كبيـــريهـن ينتطحـــان

فقال (رؤس) ، ثم قال (ينتطحان) » (٢٦٩)

---

(٢٦٦) إعراب القرآن للنحاس ٢٥٦/١ ، ١٨٢/٤ ، ٢٣١ ، المحتسب ١٩١/١ ، ٢١٩، ٢٢٨/٢ .

(٢٦٧) معاني القرآن للفراء ١٨١/٣ .

(٢٦٨) معاني القرآن للأخفش ٤٤٨/٢ .

(٢٦٩) معاني القرآن للأخفش ٤١٠/٢ .

فهو يجعل ضمير التثنية عائداً على مثنى هو صنفا السموات والأرض ، كما يستشهد بورود ذلك فى أقوال العرب والشعر ، وهوماتوسع فيه أبو عبيدة وجعل من ذلك قاعدة نحوية حيث وقف عند آية الأنبياء ، فقال إن «السموات جميع والأرض واحدة ، فخرج لفظ صفة الجميع على تقدير لفظ صفة الواحد ... والعرب قد تفعل هذا إذا كان جميع موات أو جميع حيوان ، ثم أشركوا بينه وبين واحد من الموات أو من الحيوان جعلوا لفظ صنفتهما ، أو لفظ خبرهما على لفظ الاثنين»(٢٧٠)، ومعنى ذلك أن السموات جعلت كأنها مفرد لأن الأرض مفرد.

وقد تبعه فى ذلك ابن فارس واستشهد ببيتين مما جاء عنده (٢٧١)، وكذلك يذهب أبو حيان نفس المذهب فيقول فى آية الحاقة إن الضمير قد ثُنّى فى (فدكتا) وإن كان قد تقدمه مايعود على ضمير الجمع، لأن المراد جملة الأرض ، وجملة الجبال»(٢٧٢) .

ويعبر العكبرى عن ذلك بقوله إن «الضمير يعود على الجنسين » (٢٧٣)، فالمقصود بالسموات جنس السموات ، وبالأرض جنس الأرض وهو ما أراده كل مَنْ سبقوه .

ولا يخرج عن هذا الرأى إلا الزجاج الذى يقول «إن السموات يعبر عنها بلفظ الواحد ، لأن السموات كانت سماء واحدة ، وكذلك الأرضون كانت أرضاً واحدة»(٢٧٤).

ويمكننا بعد عرض هذه الأقوال أن نقول إن هؤلاء النحاة كانوا يسعون إلى تبرير معاملة (السموات) و(الجبال) معاملة المفرد ، مما يجعلنا نقول إن هذه الظاهرة فرع على ظاهرة التعبير بالمفرد عن الجمع ، لأن هاهنا جمعاً ومفرداً معطوفين أو جمعين معطوفين ثم يعود الضمير عليهما بالتثنية ، وهو مايعنى اعتبار كل منهما مفرداً ، ويجعلهم يؤولون الجمع بالمفرد حتى تظهر المسألة كما لو كانت عطف مفرد على مفرد ، فيلجأون إلى القول بأن الجمع يعبر عن صنف واحد أو شىء واحد ، أو جنس ، أو أن هذا الجمع كان فى الأصل واحداً .

---

(٢٧٠) مجاز القرآن ٢/٣٦ ، ٣٧ /
(٢٧١) الصاحبي ٣٥٤ .
(٢٧٢) البحر المحيط ٨/٣٢٣ .
(٢٧٣) التبيان ٢/٩١٦ .
(٢٧٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٩٠، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/٦٩ .

٢- التعبير عن المثنى بالجمع :

جاء فى القرآن عود ضمير الجمع على المثنى ، ولذلك عدة صور نعرضها فيما يلى :

أ ـ عودة ضمير الجمع على معطوفين كل منهما لفظه مفرد ومعناه جمع، من ذلك : خصم ، طائفة، الجن، الإنس، فمن الآيات التى تعبر عن هذه الظاهرة ، ومما جاء فيه لفظة (طائفة) قوله تعالى ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ (الحجرات ٩) ، حيث عاد ضمير الجمع فى (اقتتلوا) على لفظ المثنى (طائفتان) ، ثم جاء ضمير المثنى بعد ذلك فى (بينهما) ، ثم قال ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (الحجرات ١٠) ، ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴾ (الأنعام ١٥٦) ، حيث عاد ضمير الجمع فى (دراستهم) على (طائفتين) ، ومثل ذلك قراءة ابن مسعود ﴿ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ (آل عمران ١٢٢) فعاد ضمير الجمع فى (وليهم) على (طائفتان)

وجاءت لفظة (خصم) فى قوله تعالى ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ (الحج ١٩) حيث عاد ضمير الجمع فى (اختصموا) على المثنى (خصمان) .

الجن والإنس : وقد جاءا فى قوله تعالى ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا ﴾ (الرحمن ٣٣) ، حيث عاد ضمير الجمع فى (استطعتم ، تنفذوا ، فانفذوا ، لاتنفذون) على المثنى فى اللفظ (الجن والإنس) ، ومثل ذلك ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ (الأنعام ١٣٠) .

وقد تنبه الفراء للظاهرة فى تلك الآيات [٢٧٥]، وقال إن التثنية على اللفظ ، والجمع على المعنى [٢٧٦]. وقال الأخفش فى (هذان خصمان اختصموا) إنهما كانا حيين ، وأن الخصم يكون واحداً أو جماعة [٢٧٧]، وإذا كان السياق الخارجى ـ عنده ـ هو المتحكم فى تفسير الظاهرة ، فإننا نجد ذلك أيضاً عند الفراء الذى جعل أحد

---

(٢٧٥) انظر معاني القرآن للفراء ٢٣٣/١ ، ٢٨٥ ، ٧١/٢ .

(٢٧٦) نفسه ١١٦/٣ .

(٢٧٧) معاني القرآن للأخفش ٤١٤/٢ .

الخصمين المسلمين ، والآخر اليهود والنصارى (٢٧٨) بينما يخطئه النحاس فى هذا المرجع الخارجى ويرجع خطأه إلى ضعف معرفته بالحديث والتفسير ، ويجعل الخصمين جميعاً من المسلمين (٢٧٩)، وقال العكبرى ، إنما جمع حملاً على المعنى ؛ لأن كل خصم فريق فيه أشخاص،(٢٨٠). فكل طائفة منها جمع (٢٨١).

وقد أجاز الفراء فى هذه الآية وغيرها أن يعود الضمير بالتثنية على اعتبار أن الجمعين طائفتان ، فيقال : اختصما ، اقتتلتا ، استطعتما (٢٨٢) وكذلك قال الزمخشرى إن (هذان) للفظ، و(اختصموا) للمعنى ، ولو قيل هؤلاء (خصمان) ، أو (اختصما) جاز ، يراد المؤمنون والكافرون (٢٨٣).

وقد وقف أحد الباحثين عند هذا الجواز واعترض عليه ــ بعد عرضه لسياق الآية ــ وقال إن الفعل (اختصموا) يصف هذه الفرق فى الدنيا فى تعدد تسمياتها واختلاف مذاهبها ، فلا يجوز الإشارة إلى فريقين بـ (هؤلاء) ، ولا الإخبار عن الخصومة والاختلاف بين تلك الطوائف المتعددة بطريق التثنية (اختصما) (٢٨٤).

وقد نتفق معه فى تحليله السياقى ، لكنه ليس الوجه الوحيد فى تحليل الآية ، حتى لايجوز غيره ، والواقع الخارجى أو تفسير الآية مختلف فيه ، وقد رأينا اختلاف النحاس والفراء ، فما ذهب إليه الفراء والزمخشرى جائز فى اللغة على اعتبار أن المجموع واحد ، وهو ماعرضنا له فيما سبق (٢٨٥).

ب ــ أما الصورة الثانية : ففيما يختص بأعضاء جسم الإنسان ، وقد يحتوى جسم الإنسان على عضو واحد منها مثل : القلب ، اللسان ، الأنف ، وقد جاء (القلب) مجموعاً مع قصد تثنيته فى قوله تعالى ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (التحريم ٤) ، وقد يحتوى جسم الإنسان على اثنين من الأعضاء مثل : اليدين ــ

---

(٢٧٨) معاني القرآن للفراء ٢/٢١٩ .

(٢٧٩) إعراب القرآن للنحاس ٣/٩١ . ٩٢ .

(٢٨٠) التبيان ٢/٩٣٧ .

(٢٨١) البحر المحيط ٤/٢٥٧ ، وانظر ٣/٤٧ .

(٢٨٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/٢٢٠ ، ١/٢٨٥ ، ٣/١١٦ .

(٢٨٣) الكشاف ٣/٩ .

(٢٨٤) أسلوب الالتفات ١٣٥ ، وقد وقف عند آية الحجرات ٩ ، واختار تحليل الرازي وهو يتفق تماماً مع تحليله لهذه الآية انظر ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢٨٥) انظر هذا البحث فيما سبق (التعبير عن الجمع بالمثني) الحالة السابقة .

الأذنين ، الرجلين ، وقد جاءت (اليدان) مجموعة فى قوله تعالى ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ (المائدة ٣٨) مع قصد التثنية وقد فرقوا بين النوعين فى التناول .

لقد سأله سيبويه الخليل فى مثل ذلك فعلله بأن المثنى جميع ، وهو مثل قول الاثنين : نحن فعلنا ذاك ، وأن ذلك جائز فيما هو شيء من شيء وما هو منفرد [٢٨٦]، وعرض سيبويه ذلك فى باب سماه «باب ما لفظ به مما هو مثنى ، كما لفظ بالجمع»[٢٨٧]، فقال إن يكون فى الشيئين كل واحد منهما بعض شيء؛ تفريقاً بينه وبين مايكون مثنى بذاته ، وهم يفعلون ذلك لما هو مثنى بذاته أيضاً [٢٨٨].

وما وجدناه من غموض فى كلام سيبويه نجده فى تعليق الأخفش على قول الله تعالى ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ (التحريم ٤) ، حيث يقول «فجعله جماعة لأنهما اثنان من اثنين » [٢٨٩] أى قلبان من إنسانين ، ويقول فى موضع آخر إن «من كلام العرب أن كل شيئين من شيئين فهو جماعة» [٢٩٠] ، أى أن (قلوبكما) جاءت جمعاً لأنها تعبر عن قلبين (شيئين) من شخصين (شيئين) فوصلت بذلك إلى الجمع .

أما أبو عبيدة فإن (أيديهما) عنده فى معنى (يديهما) المثنى ، أى أنها جمع والمقصود به المثنى ، ويعلل ذلك بأن العرب تفعل ذلك فيما كان من الجسد [٢٩١] . فهو يطلق المسألة ولايقيدها بما قيدوها من قبل .

أما الفراء[٢٩٢] فيقول : إن كل شيء موحد من خلق الإنسان إذا ذكر مضافاً إلى اثنين فصاعدا جمع ، وقد يجوز هذا فيما ليس من خلق الإنسان ، ومن النحويين من كان لايجيزه إلا فى خلق الإنسان وكل سواء .

وعرض النحاس أقوال الخليل وسيبويه والفراء وخلط بينها[٢٩٣] .

---

(٢٨٦) الكتاب ٤٨/٢ ، ٤٩ .
(٢٨٧) نفسه ٦٢١/٣ ، ٦٢٢ .
(٢٨٨) نفسه المصدر والصفحة .
(٢٨٩) معاني القرآن للأخفش ٥٠٣/٢ .
(٢٩٠) نفسه ٢٢٩/١ .
(٢٩١) مجاز القرآن ١٦٦/١ .
(٢٩٢) انظر معاني القرآن للفراء ٣٠٦/١ ـ ٣٠٧ .
(٢٩٣) إعراب القرآن للنحاس ١٩/٢ ، ٢٠ .

وقال الأنبارى إن ذلك جائز فى كل عضو ليس فى البدن منه إلا عضو واحد(٢٩٤)، أما مجىء (أيديهما) بالجمع والمراد (أيمانهما) فهى ـ عنده ـ قراءة شاذة، لأن ما كان فى البدن منه عضوان فإن تثنيته على لفظ التثنية ، ولما كان معنى (أيديهما) أيمانهما والإنسان ليس له إلا يمين واحدة نزل منزلة ماليس فى البدن منه إلا عضو واحد ، فأتى فى تثنيته بلفظ الجمع (٢٩٥)، والأنبارى بذلك يريد أن تتسق القراءة مع القاعدة فيجعل المقصود باليد هنا (اليمين) ، وليس فى الجسد إلا يمين واحدة ، ومثل ذلك ما جاء عند العكبرى (٢٩٦).

وقد جعل أبو حيان الجمع أكثر من التثنية فيما كان فى الجسم منه عضو واحد إذا أضيف إلى مثنى ، لأنهم كرهوا اجتماع تثنيتين فعدلوا إلى الجمع ، لأن التثنية جمع فى المعنى (٢٩٧)، ثم عاب على الزمخشرى تسويته بين جمع (قلوبكما) و(أيديهما) ، قال «لأن باب (صغت قلوبكما) يطرد فيه وضع الجمع موضع التثنية ، وهو ماكان اثنين من شيئين كالقلب والأنف والوجه والظهر، وأما إن كان فى شىء منهما اثنان كاليدين والأذنين والفخذين فإن وضع الجمع موضع التثنية لايطرد ، وإنما يحفظ ولايقاس عليه ، لأن الذهن إنما يتبادر إذا أطلق الجمع لما يدل عليه ، فلو قيل : قطعت أذان الزيدين فظاهره قطع أربعة الآذان وهو استعمال اللفظ فى مدلوله»(٢٩٨).

وأبو حيان فى ذلك ينبه إلى أمن اللبس ، فما كان فى الجسم منه واحد لايلتبس إذا ثنى أو جمع ، فيكون جمعه قياسياً ، أماما كان فى الجسم منه عضوان فإن ما جاء منه مجموعا يحفظ ولايقاس عليه لأمن اللبس .

يبقى بعد ذلك أن مايفسر مدلول (أيديهما) إنما هو السياق الخارجى وهو مايعرف منه أن المقصود قطع اليد اليمنى للسارق ، وليس قطع اليدين معاً ـ كما يفهم من ظاهر اللفظ ـ ولولا المرجع الخارجى لفهم من مدول اللفظ شىء آخر ، وهو ما يفسر إصرارهم على أن ذلك خلاف القاعدة .

جـ ـ أما الصورة الثالثة فهى ما يجىء فى اللفظ جمعاً ، وهو مثنى فى الواقع الخارجى ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾ (الأعراف ١٤٥) فقد

---

(٢٩٤) البيان ٤٤٦/٢ .

(٢٩٥) نفسه ٢٩٠/١ ، ٢٩١ .

(٢٩٦) التبيان ٤٣٥/١ ، ١٢٢٩/٢ .

(٢٩٧) البحر المحيط ٢٩١/٨ .

(٢٩٨) نفسه ٤٨٣/٣ .

قال الفراء والزجاج ، إنما ذكر أنهما لوحان ، ويجوز في اللغة أن يقال للوحين ألواح(٢٩٩) . وكذلك قال القرطبي أنه يروى أنهما لوحان (٣٠٠) .

وفي قوله تعالى ﴿ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ (النساء ١١) قال الأخفش إنهم ذكروا أن الإخوة اثنان (٣٠١)، وقال أبو عبيدة إنهما أخوان فصاعداً ، والعرب تجعل لفظ الجميع على معنى الاثنين وتجعل لفظ الاثنين على معنى الجمع(٣٠٢)، أما العكبري فيقول إن الجمع هنا معناه اثنان ، لأن الاثنين يحجبان الأم عن السدس عند الجمهور ، وهما عند ابن عباس لايحجبان الأم، والأخوة جمع(٣٠٣) .

فالأمر إذن يتوقف على المرجع الخارجي ، فإذا كان الاثنان يحجبان الأم عن سدس الميراث ، فإن المقصود بـ (إخوة) في الآية المثنى وهي جمع عبر عن المثنى وفي ذلك مخالفة للمطابقة ،أما إذا لم يحجب الاثنان الأم عن السدس فإن (المقصود بـ (إخوة) الجمع وليس فيها مخالفة للمطابقة .

ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (الأنبياء ٧٨) ، حيث عاد ضمير الجمع في (لحكمهم) على مثنى هو داود وسليمان .

قال الأنباري إن «الضمير في (لحكمهم) له وجهان :

أحدهما : أن يكون الضمير راجعاً إلى (دواود وسليمان) ، ويكون مما قام فيه الجمع مقام التثنية .

والثاني : أن يكون المراد بالضمير الحكمان والمحكوم عليه ، وهم جماعة»(٣٠٤) .

واختار أبو حيان أن يكون الضمير في (لحكمهم) عائداً على الحاكمين والمحكوم لهما وعليهما (٣٠٥) ، ومثلها تماماً ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم

---

(٢٩٩) معاني القرآن للفراء ٣٩٤/١ ، معني القرآن وإعرابه ٤١٤/٢ .

(٣٠٠) تفسير القرطبي ٢٨١٠/٤ . (طبعة دار الغد العربي) .

(٣٠١) معاني القرآن للأخفش ٢٣٠/١ .

(٣٠٢) مجاز القرآن ١١٨/١ .

(٣٠٣) التبيان ٣٣٥/١ ، وانظر : تفسير القرطبي ١٧٣٨/٢ .

(٣٠٤) البيان ١٣٦/٣ وهو ما نجده ، عند العكبري أيضاً ، انظر التبيان ٩٢٣/٢ .

(٣٠٥) البحر المحيط ٣٣١،٣٣٠/٦ .

مِّنِّي هُدًى﴾ (طه ١٢٣) ، فضمير الجمع فى (بعضكم) ، و(يأتينكم) يعود على مثنى فى الظاهر وقد قالوا إن الجمع هنا مقصود به إبليس والحية معهما لأنهما مهبطان ، أو آدم وحواء وذريتهما (٣٠٦). وفى الآيتين نجدهم يأتون بتفسير الظاهرة مما فى الواقع الخارجى .

ومثل ذلك ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾ (المائدة ١٠٨) فالكلام فى الآيات على الشاهدين ، ثم عاد عليهما ضمير الجمع فى (يأتوا) ، وهنا يقول أبو حيان «جمع الضمير فى (يأتوا) ومابعده ـ وإن كان السابق مثنى ـ فقيل هوعائد على الشاهدين باعتبار الصنف والنوع ، وقيل لايعود إلى كليهما بخصوصيتهما بل إلى الناس الشهود»(٣٠٧).

وبهذا يتبين إدراكهم لظروف الموقف وتحكيمها فى التحليل اللغوى حيث يستدعى الموقف الخاجى بظروفه والمخاطبين فيه ليفسر الظاهرة .

د – خاتمة فى العلاقة ين المثنى والجمع :

لقد اختفى المثنى من كثير من اللغات ، وقد فصل فندريس القول فى اللغات التى اختفى منها المثنى ، واللغات التى بقى فيها (٣٠٨).

ويشير برجشتراسر إلى أن التثنية كثيرة الاستعمال فى اللغة العربية ، وقد اتسع فيها حيزها الأصلى الذى هو فى النغة السامية الأم ، وكذلك فى الهندية والإيرانية يشير إلى شىء مع شىء آخر شبيه به يرافقه مثل أعضاء البدن(٣٠٩)، ، وإذا كانت العبرية قد اقتصر فيها استعمال المثنى على الأسماء الأساسية للزمن ، والأسماء التى توجد مثناة فى الطبيعة ، خصوصاً أعضاء الجسم ، والأرقام مثل : יוֹמַיִם يومان و يدان و اثنان (٣١٠). فإننانجد اللغة الأجريتية تستعمله بشكل أوسع حتى فى تلك الكلمات التى لايشكل المثنى منها وجوداً فى الطبيعة (٣١١).

وقد دعا وجود المثنى فى بعض اللغات واختفاؤه من بعضها الآخر فندريس إلى

---

(٣٠٦) نفسه ٢٨٦/٦ .

(٣٠٧) نفسه ٤٧/٤ .

(٣٠٨) فندريس /اللغة ١٣٣ .

(٣٠٩) التطور النحوي للغة العربية ١١٢ .

(٣١٠) Agramar of Biblical Hebrow p66

(٣١١) Ugaritic Textoobk p.53 .

القول إن «استعمال المثنى كان يسد حاجة أخرى غير الحاجات التى يمكن أن توحى بها عوائد تفكيرنا الحديثة ، فنحن لانرى اليوم أية علة لمقابلة التثنية بالجمع»(٣١٢). والتفكير الحديث الذى قصده فندريس هو تفكير أهل اللغات التى استغنت عن استعمال المثنى ، وهو ما لايتفق وتفكير أهل اللغات التى بقى بها المثنى الذين لا يتصورون منطقياً إلا التقسيم الثلاثى ، مفرد ، مثنى ، جمع(٣١٣). إن الواقع الخارجى يدل على وجود المثنى فى أعضاء الجسم ، وفى أشياء ثنائية مقترنة ، وهو ما اكتفت به بعض الساميات ، وقد توسعت العربية فى المثنى لتجعل من التثنية اختصارا لمعطوفين ، كما يقول النحاة ، ويبقى المثنى فى العربية بالصيغة فى مثل : زوج ، اثنان ، كلا، كلتا ، أو بإضافة إحدى اللاحقتين (ان) و(ين) .

ومع ذلك فقد يقترب التعبيران بالمثنى وبالجمع ، وهو ما عرفه النحاة العرب ، ومن ذلك مانجده عند سيبويه حيث يسأل الخليل عن العلاقة بين المثنى والجمع فيقول له إن الاثنين جميع ، ومنه قول الاثنين : نحن فعلنا ذلك (٣١٤). كما لمسناه فى تحليلهم لقول الله تعالى ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ (النساء ١١) فيما سبق .

وقد جاء التعبير عن الجمع بلفظ المثنى فى اللغة العبرية ، وهو مانفهمه من ملاحظة وليم رايت أن الكلمتين (שָׁמַיִם) و(מַיִם) ليستا للمثنى ولكنهما للجمع، وإن كانا بلفظ التثنية ، ومفرداتها مهملة هى : (שָׁמַי מַי) والصيغة الأصلية كان من الواجب أن تكون shamayim mayim وهى صيغة الجمع ، لكنها تقلصت إلى shamayim, maym ؛ لأن الصيغ shamayim, amyim لم تحتملها الأذن العبرية فقد أدخلت حركة قصيرة لتخفف النطق ، فأدى ذلك إلى الصيغ (שָׁמַיִם) و (מַיִם) (٣١٥).

---

(٣١٢) اللغة / فندريس ١٣٤ وقد ردد إبراهيم أنيس نفس الرأي فجعل اللغات التي تميز بين المفرد وغير المفرد (الجمع) تلتقي بالتقسيم المنطقي للكم ،. انظر : من أسرار اللغة ١٥٢ . ,١٥٣

(٣١٣) ليس من البحث اللغوي تفضيل اللغات التي اختفي منها المثني علي تلك التي بقي فيها ولا العكس بل إن هناك من اللد ت مالم يفرق إجبارياً بين المفرد والجمع ، مثل لغة الكواكيوتل kwa-kuitl انظر : نظرية تشومسكي اللغوية ٦٢ .

(٣١٤) الكتاب ٤٩،٤٨/٢ .

(٣١٥) w,wright, lectures on the comparative grammar of the semitic lanaguages p 150 . 151 .

وهناك كلمات تبدو كما لوكانت مثنى أو جمعاً مثل : (ערביים)، (צהריים) وهى تمثل فى الغالب زوجاً واحداً (٣١٦).

كما نجد فى الأجريتية كلمات تستعمل فى التثنية والجمع بنفس الطريقة مثل :
qlem, gzim, atim, qsim

أقواس ، نساء ، رجال ، مقلوعون (مقاليع)(٣١٧).

ومع ذلك : فلقد بقى المثنى فى لغتنا العربية وفى غيرها من الساميات ، وبقى فى القرآن الكريم وفى الشعر والنثر ، وفى حياتنا العملية وطريقة تفكيرنا، واستعماله يعنى الدقة والتحديد ، فإذا عبر عن معنى الجمع أو انعكس الأمر فإن ذلك يكون خروجاً على قوانين العربية يعوزه التأويل اللغوى أو الدلالى وهو مافعله دارسو القرآن فيما عرضناه .

---

(٣١٦) Hebrew union College annual, vlamelp 31.

(٣١٧) ugaritic uextbook p 55.

خاتمة البحث

سبقت هذه الدراسة للظاهرة دراستان - كماقدمنا - اهتمت إحداهما بالجانب اللغوى ، ورفضت التعرض للجانبين الدلالى والسياقى ، أما الأخرى فهى دراسة بلاغية جمالية - تمثل الظاهرة جزءا صغيراً منها - فلم تتعرض للجوانب اللغوية ، ولم تفد من معطيات البحث اللغوى ، ولما كان الاهتمام بالسياق - اللغوى والمقامى - من وجهة نظر علم اللغة لم تتعرض له إحدى الدراستين مع أهمية ذلك وارتباطه بطبيعة تناول الظاهرة فى القرآن الكريم - كان الهدف من دراستنا هذه كما قدمنا الكشف عن وعى دارسى القرآن بتلك الظاهرة ، وإبراز تحليلاتهم ، والكشف عن أهمية العنصرين الدلالى والسياقى بين هذه التحليلات .

وقد عرضت الدراسة تحليل القدماء لمخالفة المطابقة العددية فى القرآن وحاولت تفسير هذه التحليلات المختلفة ، وإن وضع الباحث نصب عينيه التحليلين الدلالى والسياقى للظاهرة ، وقد عرضنا ذلك أولاً فى العلاقة بين المفرد والمثنى حيث جاء التعبير بالمفرد عن المثنى ، كما جاء التعبير بالمثنى عن المفرد ، ثم تلا ذلك حصرللمجموعات الموضوعية (الدلالية) التى جاءت فيها هذه المخالفات ، والتى سيطر على تحليلها الجانب الدلالى وإن لم يختف الجانبان اللغوى والجمالى من تلك التفسيرات ، ثم تعرضت الدراسة بعد ذلك للعلاقة بين المفرد والجمع ، حيث خوطب المفرد بخطاب الجمع للتعظيم ، وارتبط ذلك بالموقف الكلامى وبظروف المخاطبين ، كما اتضح الربط بين الواقع الخارجى وتحليل الظاهرة ، كذلك بين هذ التحليل وعموم الحكم الشرعى ، كما جاء التعبير بالمفرد عن الجمع وكان لذلك تعليلات لغوية ظهرت فى دراسة المصادر والمشتقات ، ودراسة الألفاظ الدالة على الجنس ، وأسماء الجنس ، وقد تعرضنا لما جاء فى الدراسات السامية منها، ثم اكتساب معنى الجنس من السياق اللغوى ، ثم الألفاظ التى تعامل معاملة المفرد والجمع ، وما جاء من ذلك فى الدراسات السامية أيضاً . ثم المبهمات ؛ كل والأسماء الموصولة واستعمالها ثم تعرضت الدراسة بعد ذلك للعلاقة بين المثنى والجمع ، فقد جاء التعبير عن الجمع بلفظ المثنى ، كما جاء التعبير بلفظ الجمع عن المثنى ، وعرضنا لذلك عدة صور :

أولها : عودة ضمير الجمع على معطوفين كل واحد منهما لفظه مفرد ومعناه جمع .

والثانية : فيما يختص بأعضاء جسم الإنسان والقاعدة النحوية فى ذلك .

أما الثالثة : ففى مايجىء فى اللفظ جمعاً وهو مثنى فى الواقع الخارجى وقد

ارتبطت تحليلاتهم بهذا الواقع وبالحكم الشرعى ، ثم خاتمة عن العلاقة بين المثنى والجمع فى اللغات وبخاصة اللغة العربية واللغات السامية .

وسنحاول الآن عرض أهم نتائج البحث ، وإن كان هذا العرض لايغنى عن قراءته ولايستوعب جوانبه المختلفة .

١- حاول النحاة فى كثير من الأحيان أن ينفوا عن القرآن المخالفة بطرق مختلفة أوضحناها فى مكانها .

٢- جاء تبريرهم الدلالى والسياقى فى المقام الأول ، واهتموا بتوظيف الظروف الخارجية فى تفسير الظاهرة ، وردها إلى المطابقة ، كما ربطوا بين تحليلهم للظاهرة والواقع الخارجي – المرجع – وكذلك بين هذا التحليل وعموم الحكم الشرعى وظروف الخطاب؛ المتكلم والمخاطب والحضور .

٣- جاءت بعد ذلك التبريرات اللغوية ، وأهمها ما جاء من قولهم إن المصدر لايثنى ولا يجمع ، وقد عرضنا للمصدر والمشتقات وعلة هذا القول ، كذلك اعتبار معنى الجنس فى بعض المفردات ، أو دلالتها على مجموع أفراد ، أو ابهامها ودلالتها على العموم ، ومن ذلك تقدير المحذوف ، المضاف ، أو الموصوف ، أو المنادى .

٤- اهتم دارسو القرآن أيضاً بالاستدلال بالاستعمال العربى فى الشعر وفى أقوال العرب وعاداتهم .

٥- جاءت بعد ذلك التبريرات الجمالية قليلة ، وأهمها المحافظة على الفواصل والتوكيد سواء بقصد التكرار ، أو بأداة من أدواته مثل النون .

ولقد جاءت هذه التبريرات مترابطة ، وربما تعددت فى تفسير الآية الواحدة بتعدد النحاة ، وعند النحوى الواحد ، واعتمدت – فى جانبها السياقى – على اجتهادات تفسيرية تعتمد بدورها على ظروف الموقف الكلامى الذى تمثل فى الاعتماد على الواقع الخارجي ، وعلى مراعاة أسباب النزول والحديث الشريف ، واتفق التبرير اللغوى فى كثير من جوانبه مع ما جاء فى بعض اللغات السامية

وأخيراً فأرجو أن أكون قد وفقت فى ما أقدمت عليه فى هذا البحث والله أسأل أن يوفقنا إلى سواء السبيل ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية والمترجمة :

١- إبراهيم أنيس (دكتور) :

- من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو ط٥ ١٩٧٥ .

٢- إبراهيم مصطفى

- إحياء النحو ، لجنة التأليف والترجمة ١٩٣٧م .

٣- أحمد سليمان ياقوت (دكتور) :

- فى علم اللغة التقابلى دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ١٩٨٥م

٤- أحمد محمود صبحى (دكتور) :

- المعتزلة ، مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية ط٤ ١٩٨٢م.

-الأشاعرة ، مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية ط٤ (د. ت)

٥- أحمد مختار عمر (دكتور) ، وعبد العال سالم مكرم (دكتور) :

- معجم القراءات القرآنية ، مطبوعات جامعة الكويت ط١ ٨٢ / ١٩٨٥ ، ٨ أجزاء .

٦- الأخفش (أبو الحسن سعيد بن مسعدة ت ٢١١هـ) :

- معانى القرآن ، تحقيق فائز فارس الحمد الكويت ١٩٧٩ ط١ .

٧- الأنبارى (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ت ٥٧٧)هـ

- البيان فى غريب إعراب القرآن ، تحقيق طه عبد الحميد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م .

٨- ابن الأنبارى (أبو بكر محمد بن القاسم ت ٣٢٨هـ) :

- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، تحقيق عبد السلام هارون دار المعارف ط٤ ١٩٨٠م .

٩- برجشتسراسر (ج):

- التطور النحوى للغة العربية ، نشره ، د. رمضان عبد التواب الخانجى، والرفاعى ١٩٨٢ م .

١٠- بروكلمان :

- فقه اللغات السامية ، ترجمة د. رمضان عبد التواب ، الرياض ١٩٧٧ م.

١١- البغدادى (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى ت ٤٢٩هـ) :

- الفرق بين الفرق ، تحقيق عبد الرءوف سعد ، الحلبى (د.ت) .

١٢- تمام حسان (دكتور) :

- اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

- مقالات فى اللغة والأدب ، منشورات معهد اللغة العربية ، جامعة أم القرى ١٩٨٥م .

- مناهج البحث فى اللغة والأدب ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ١٩٧٩

١٣- الثعالبى (أبو منصور الثعالبى ت ٤٣٠هـ) :

- فقه اللغة وأسرار العربية ، مكتبة الحياة بيروت (د.ت) .

١٤- ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى ت ٢٩١هـ) :

- مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون :

القسم الأول : دار المعارف ١٩٦٩ م

القسم الثانى دار المعارف ١٩٨٠ ط٤ .

١٥- الجرجانى (عبد القاهر بن عبد الرحمن ت ٤٧٤هـ) :

- المقتصد فى شرح الإيضاح تحقيق كاظم بحر المرجان ، وزارة الثقافة العراقية ١٩٨٢ .

١٦- ابن الجزرى (محمد بن محمد بن على بن يوسف ٨٢٣هـ) :

- النشر فى القراءات العشر ، دار الكتب العملية ، بيروت (د،ت) .

١٧- ابن جنى (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢ هـ) :

- االخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، دار الهدى بيروت ط٢ (د.ت).

– المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تحقيق على النجدى ناصف وآخرين المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٩م .

١٨ – حسن طبل (دكتور) :

– أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية ، توزيع مكتبة الزهراء ١٩٩٠م .

١٩– حسين نصار (دكتور) :

– المعجم العربى ، نشأته تطوره ، مكتبة مصر (د.ت) .

٢٠– أبو حيان الغرناطى (أثير الدين محمد بن يوسف ت ٧٤٥هـ) :

– البحر المحيط دار الفكر ١٩٨٣ ط٢ . .

٢١– ابن خالويه (أبو عبدالله الحسين بن أحمد ت ٣٧٠هـ) :

– إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، مؤسسة الإيمان، بيروت ، مصور عن طبعة دار الكتب المصرية (د.ت) .

– الحجة ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ١٩٧١ ط١ .

٢٢– داود عبده (دكتور) :

– أبحاث فى اللغة ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٧٣ م .

٢٣– دى بور (ت،ج) :

– تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، ترجمة محمد عبد الهادى أبى ريدة ، النهضة المصرية ط٥ (د.ت) .

٢٤ – الرضى الاستراباذى (نجم الدين محمد بن الحسن ت ٦٨٦هـ) :

– شرح الكافية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط٣ ١٩٨٢ م .

٢٥– رمضان عبد التواب (دكتور) :

– المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ، الخانجى والرفاعى ط١ ١٩٨٢م .

٢٦– زاكية محمد رشدى (دكتورة) :

– السريانية ، نحوها وصرفها دار الثقافة ط٢ ١٩٧٨م .

٢٧- الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السرى ت٣١١هـ) :

- معانى القرآن وإعرابه ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبى عالم الكتب بيروت ط١ ١٩٨٨م .

٢٨- الزركشى (بدر الدين محمد بن عبد الله ٧٩٤هـ) :

- االبرهان فى علوم القرآن ، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، دار الجيل بيروت ١٩٨٨م .

٢٩- الزمخشرى (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ت٥٣٨هـ) :

- الكشاف ، البابى الحلبى ١٩٧٢م .

٣٠- السكرى :

- ديوان الهذليين ، طبعة دار الكتب ١٩٤٨م .

٣١- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ١٨٠هـ) :

- االكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٧/٦٦ م.

٣٢- السيوطى (عبد الرحمن جلال الدين ت ٩١١هـ) :

- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد جاد المولى وآخرين، المكتبة العصرية بيروت ١٩٨٦م .

- همع الهوامع ، تحقيق عبد العال سالم مكرم (بالاشتراك مع عبد السلام هارون فى الجزء الأول) دار البحوث العلمية ، الكويت ٧٧ / ١٩٨٠م .

٣٣- الشاطبى (أبو إسحاق الشاطبى ٧٩٠هـ):

- الموافقات فى أصول الشريعة المكتبة التجارية (د.ت)

٣٤- طاهر سليمان حمودة (دكتور) :

- ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى ، الدار الجامعية بالإسكندرية ١٩٨٢م .

٣٥- أبو عبيدة (معمر بن المثنى ت ٢١٠هـ) :

- مجاز القرآن ، تحقيق د. محمد فؤاد سزكين ، الخانجى ١٩٥٥- ١٩٦٢م.

٣٦- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل ت ٧٩٦هـ)

– شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار التراث بالقاهرة ط ٢٠، ١٩٨٠م .

٣٧– العكبرى (أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبدالله ت ٦١٦هـ) :

– التبيان فى إعراب القرآن ، تحقيق على محمد البجاوى ، عيسى البابى (د.ت) .

٣٨ – ابن فارس (أبو الحسين بن فارس ت ٣٩٥هـ) :

– الصاحبى فى فقه اللغة ، تحقيق السيد أحمد صقر ، عيسى البابى(د.ت) .

٣٩– الفارسى (أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ت ٣٧٧هـ) :

– الحجة فى علل القراءات السبع ، تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٣م جزءان .

٤٠– الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمى ت ٢٠٧هـ)

– معانى القرآن ،

الجزء الأول تحقيق أحمد يوسف نجاتى ، ومحمد على النجار، هيئة الكتاب ١٩٨٠م

الجزء الثانى تحقيق محمد على النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د.ت) .

الجزء الثالث تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبى الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٢م

٤١– فندريس (ج) :

– اللغة ، تعريب عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص ، الأنجلو ١٩٥٠م .

٤٢ – القاسم بن سعيد المؤدب :

– دقائق التصريف ، تحقيق د. أحمد ناجى القيسى وآخرين ، المجمع العلمى العراقى ١٩٨٧م .

٤٣– ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ) .

– تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨١ ط٣ .

٤٤– القرطبى (شمس الدين عبدالله محمد ت٦٧١هـ) :

– الجامع لأحكام القرآن ، طبعة دار الغد العربى ١٩٨٩م .

٤٥- القيسى (مكى بن أبى طالب القيسى ت ٤٣٧هـ) .

- مشكل إعراب القرآن تحقيق د. حاتم صالح الضامن وزارة الإعلام العراقية ١٩٧٥ .

٤٦- كمال بشر (دكتور) :

- دراسات فى علم اللغة (القسم الثانى) ، دار المعارف ١٩٧١ م ط٢ .

٤٧- ليونز (جون) :

- نظرية تشومسكى اللغوية ، ترجمة د. حلمى خليل ، دار المعرفة الجامعية ط١ ، ١٩٨٥م

٤٨- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ) :

- المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط٢ ١٩٧٩م.

٤٩- ابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس ت ٣٢٤هـ) :

- كتاب السبعة فى القراءات ، تحقيق شوقى ضيف ، دار المعارف ط٢، ١٩٨٠م .

٥٠- محمود فهمى حجازى (دكتور)

- مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة بالقاهرة ، ط١٩٧٨م .

٥١- النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ت ٣٣٨هـ) :

- إعراب القرآن ، تحقيق زهير غازى زاهد ، عالم الكتب والنهضة العربية ط٢، ١٩٨٥م .

- شرح القصائد التسع المشهورات ، تحقيق . د. أحمد خطاب ، وزارة الإعلام العراقية ١٩٧٣م.

٥٢- الواحدى (أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى ت٤٦٨هـ)

- أسباب النزول ، مؤسسة الحلبى ١٩٦٨م .

ب - الرسائل الجامعية :

١- طه محمد عوض الله الجندى (دكتور)

- ظاهرة المطابقة فى ضوء الاستعمال القرآنى ، دكتوراه بكلية دار العلوم ١٩٨٨م.

٢- محمد أحمد محمد خضير

- قضايا المفعول به عند النحاة العرب ، ماجستير ، بكلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٨٧م.

- الجوانب الدلالية للتحليل النحوى فى كتب إعراب القرآن . دكتوراه ، بكلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٩١م .

ثانياً : المراجع الأجنبية :

أ - الكتب :

1- Lecrures on the comparative Grammar of the Semitic Languages, čambridge, University press 1890

2- Blau Joshua, Agrammor of Bibical Heberw, Otto Herrassowritz. Wiesboden, 1976 .

3- gordon, Cyrus. H.

- Ugaritic Textbook (grammar Texts in Transliteration cunei from Selections Glossary indices, romse 2. 1965.

ب - الدوريات :

- Heberw Union college Annual, Volume LI, Cincinnati, 1976 .



الفصل الثالث

دور السياق في تقدير مرجع الضمير في الدراسات اللغوية والقرآنية

الفصل الثالث

دور السياق في تقدير مرجع الضمير في الدراسات اللغوية والقرآنية

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن مرجع الضمير فى القرآن الكريم وعلاقة ذلك بالسياقين اللغوى وغير اللغوى فى الدراسات اللغوية والقرآنية، ولقد سبقت هذا البحث دراسات فى عودة الضمير لكنها لم تبحث هذه العلاقة ولم تتبين ذلك فى أقوال النحاة والمفسرين ، أهمها دراسة للدكتور طه حسين بعنوان (استخدام ضمير الغائب فى القرآن كاسم إشارة) وقد نشرت هذه الدراسة لأول مرة فى باريس سنة ١٩٢٨ ، ثم ترجمت إلى العربية ونشرت سنة ١٩٩٠ ضمن كتاب بعنوان (من الشاطئ الآخر) ، وقد جعل الدكتور طه حسين كل ضمائر الغائب التى تخالف قاعدة الضمير أسماء إشارة منكراً لما ذهب إليه النحاة والمفسرون ، وهو بحث قيم سيفيد منه الباحث على كل حال .

وكذلك كتاب مرجع الضمير فى القرآن تأليف الدكتور / محمد صبرة المنشور فى دار الثقافة العربية، فإنه لايفى بهدفنا من هذا البحث .

لقد وضع النحاة قاعدة ثابتة للضمير لخصها الزركشى حسين قال إن «المضمر لايكون إلا بعد الظاهر لفظاً ومرتبة، إلا فى أبواب ضمير الشأن والقصة، وباب نعم وبئس، كقوله تعالى ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ (البقرة ٢٧١) ، و﴿سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ﴾ (الأعراف ١٧٧) ، والضمير فى «ربه رجلاً» وباب الإعمال ، إذا أعملت الثانى ، والأول يطلب عمدة ، فمذهب سيبويه إنك تضمر فى الأول ، فتقول :«ضربونى وضربت الزيدين»[١] وكذلك قالوا بوجوب مطابقة الضمير للمرجع فى النوع والعدد [٢].

(١) البرهان في علوم القرآن ٤١/٤ ، ٤٢ ، وراجع أيضاً : المقتضب ١٨٦/٣، مغني اللبيب ٥٨٠ وقد حدد المواضع التي يعود الضمير فيها علي ما تأخر لفظاً ورتبة د٦٣٥ وما بعدها ، النحو الوافي ٢٥٥/١ وما بعدها . وراجع في ضمير الشأن، و(ربه رجلاً) المقتضب ٦٧/٣ ، شرح المفصل لابن يعيش ١١٤/٣،١١٨، همع الهوامع ٢٦٦/١ وما بعدها النحو الوافي ٢٥٠/١ .

(٢) راجع : النحو الوافي ٢٦٢/١ وما بعدها ، من الشاطئ الآخر ١٢٩

وقد جاء فى القرآن الكريم ما يخالف تلك القواعد، فانبرى النحاة والمفسرون يبررون ذلك ويفسرونه معتمدين على السياق اللغوى والمقامى فى البحث عن مرجع الضمير، وعن مطابقته له فى النوع والعدد .

ولاشك أن النص القرآنى لاتفسر الجملة منه، أو اللفظة منفردة، وإنما يفسرها ماحولها من ألفاظ وجمل وآيات قد تمتد إلى النص القرآنى كله ، وهو ما نسميه السياق اللغوى ، وقد يفسرها ما هو خارج النص القرآنى من مثل السنة المطهرة أو أسباب النزول وكل ما يعرف به ظروف الخطاب القرآنى من متكلم ومخاطب ومكان وزمان وعموم وخصوص .

فهل أسهمت تلك الظروف فى تفسير مرجع الضمير فى القرآن الكريم ؟ وما مدى تأثيرها؟ وهل تنبه النحاة والمفسرون إلى ذلك وهل استغلوه على أكمل وجه؟ أم أن نظرتهم كانت قاصرة؟ كل هذه تساؤلات يحاول هذا البحث الإجابة أو على بعضها.

لقد ذهب الدكتور طه حسين فى حله لهذه المشكلة إلى جعل كل ضمير للغائب يخالف القاعدة اسم إشارة[٣] وارتاح لهذا الحل وبرهن عليه، لكن اسم الإشارة يبحث له - منطقياً عن مرجع أو عائد أيضاً ، فنحن مضطرون إلى البحث عن عائد لاسم الإشارة .

لقد بحث النحاة والمفسرون عن مرجع للضمير ، ولما لم يجدوا المرجع ظاهراً قدروه مفهوماً من السياق، ومن ذلك تقديرهم للمصدر مرجعاً للضمير فى مثل قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ (الأنعام ١٢١) حيث قدرها الفراء «أكلكم مالم يذكر اسم الله عليه فسق، أى كفر وكنى عن الأكل»[٤] وقال الزمخشرى «(وإنه لفسق) الضمير راجع إلى مصدر الفعل الذى دخل عليه حرف النهى ، يعنى وإن الأكل فيه فسق»[٥] وقال أبو حيان بذلك وعرض أقوالاً أخرى فى عودة هذا الضمير[٦] .

ومثل ذلك عند الفراء أيضاً ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ

(٣) راجع تلك القاعدة في : من الشاطئ الآخر ١٣٢ .
(٤) معاني القرآن ١/٣٥٢ .
(٥) الكشاف ٢/٤٧ .
(٦) البحر المحيط ٤/٢١٣ .

خَيْراً لَّهُم﴾ (آل عمران ١٨٠) ، فمعناه عنده «فلاتحسبن الباخلون البخل هو خيراً لهم» فاكتفى بذكر يبخلون من البخل ، كما تقول فى الكلام : قدم فلان فسررت به، وأنت تريد : بقدومه ، وقال الشاعر :

إذا نهى السفيه جرى إليه   وخالف والسفيه إلى خلاف

يريد إلى السفيه» (٧) ، ومثل ذلك جاء أيضاً عند سيبويه والأخفش والمبرد والزجاج والنحاس(٨) وقد قالوا ذلك فى آيات كثيرة أخرى (٩).

والمصدر يجعلونه مرجعاً للضمير فى تلك الآيات يفهم من الفعل المذكور فى الجملة ويكون من لفظه. وقد يفهم من وصف مذكور أيضاً مثل اسم الفاعل (ملاقو) فى قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة ٤٦) أى إلى اللقاء (١٠).

وقد يعود الضمير على المصدر المفهوم من الفعل أو على المصدر المؤول المذكور فى الجملة أو على المصدر الصريح مثل ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ﴾ (الأنفال ٦٠) فالضمير فى (ترهبون به) راجع إلى (ما استطعتم) عند الزمخشرى أو على (ما) أو الإعداد المفهوم من (أعدوا) ، أو القوة أو رباط الخيل عند أبى حيان(١١) ولاشك أن الضمير يحتمل أن يعود على كل ذلك لأن الإعداد هو نفسه الاستطاعة وهو الذى يستطاع وهو القوة وهو رباط الخيل وإرهاب الأعداء مطلوب بكل ذلك ، ومهما قدر المرجع هنا فالمعنى يحتمله إلا أن عودة الضمير إلى المذكور أولى سواء كان المصدر المؤول (ما استطعتم) أو الاسم الموصول (ما) الذى لايستغنى عنه صلته (استطعتم) ، أو القوة والرباط معاً، ولاداعى لتقدير مصدر (أعدوا) وإن كان المعنى يحتمله .

---

(٧) معاني القرآن ١/٢٤٨ ، ٢٤٩، وراجع ١/٣١٢ ، ٤٣ .

(٨) الكتاب ٢/٣٨٩ ، معاني القرآن للأخفش ١/١٠٣ ، ٢٢٤ ، المقتضب ٤/٥٢، معاني القرآن وإعرابه ١/١٢١، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٤٨ ، ٥/٣٠ ، الحجة للفارسي ٢/٢٨٢، ٢٨٣ .

(٩) راجع : دراسات لأسلوب القرآن القسم الثالث / الجزء الأول ٢٦ وما بعدها ، البرهان في علوم القرآن ٤/٢٦ ، إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٣/٨٤٥ .

(١٠) البحر المحيط ١/١٨٧ ، وراجع التبيان في إعراب القرآن للعكبري ١/٦٠ .

(١١) راجع : الكشاف ٢/١٦٦، البحر المحيط ٤/٥١٢

ومثل ذلك يقال فى قوله تعالى ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ (يوسف ٩) فالضمير فى (بعده) قد يعود إلى يوسف أو مصدر (اقتلوه) أو (اطرحوه)(١٢) ، أى من بعد يوسف أو قتله أو طرحه أرضاً ، وكل ذلك يحتمله المعنى .

وقد يحتمل أن يعود الضمير على المصدر المفهوم من الفعل أو على مرادف للفظة فى الجملة كما يحتمل أن يكون جارياً مجرى اسم الإشارة فى مثل قوله تعالى ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ ﴾ (النساء ٤) ، فالضمير فى (منه) يحتمل أن يكون جارياً مجرى اسم الإشارة أو راجعاً إلى ماهو فى معنى الصدقات وهو الصداق ـ عند الزمخشرى ـ أو على ما تدل عليه الصدقات وهو المال ، أو على مصدر الفعل (آتوا) وهو الإتيان ـ عند أبى حيان (١٣).

وقد يعود الضمير على لفظ فى الجملة أو مفهوما من المعنى العام للآيات وهذا ما نجده عند أبى حيان فى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ (البقرة ٧٢) ، حيث قال : «الضمير فى (فيها) عائد على النفس وهو ظاهر ، وقيل على القتلة ، فيعود على المصدر المفهوم من الفعل، وقيل على التهمة فيعود على ما دل عليه معنى الكلام »(١٤).

وهكذا يتحكم المعنى فى مرجع الضمير ، بل إن الضمير قد يعود على لفظ فى الجملة ، لكنهم يقدرون معناه مرجعاً للضمير ، فيقولون إن الضمير عائد على معنى اللفظ فى مثل قوله تعالى ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ (آل عمران ١٦٥) ، قال أبو حيان «الإضمار فى (هو) راجع إلى المصيبة على المعنى لا على اللفظ» (١٥).

وقد يعود الضمير إلى اللفظ فيقولون إنه عائد إلى ذلك اللفظ دون معناه لأن المعنى المقصود غير هذا اللفظ ، ومن أمثلة الضمير فى (عمره) من قوله تعالى ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ فاطر ١١ قال الفراء «ولاينقص من

(١٢) راجع : الكشاف ٣/٣٠٥، البحر المحيط ٥/٢٨٤ .
(١٣) راجع : الكشاف ١/٤٩٨، البحر المحيط ٣/١٦٦ ، ١٦٧ .
(١٤) البحر المحيط ١/٢٥٩ .
(١٥) البحر المحيط ٣/١٠٧ .

عمره ، يريد آخر غير الأول ، ثم كنى عنه بالهاء كأنه الأول . ومثله في الكلام : عندى درهم ونصف يعنى نصف آخر. فجاز أن يكنى عنه بالهاء؛ لأن لفظ الثانى قد يظهر كلفظ الأول فكن عنه ككناية الأول» (١٦) .

ومثل ذلك ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ البقرة ٢٧١ فالضمير فى (تخفوها) ـ عند ابى حيان ـ عائد على معنى الصدقات وهو التطوع «فيكون الضمير قد عاد على الصدقات لفظاً لامعنى ، فيصير نظير : عندى درهم ونصفه، أى نصف درهم آخر؛ لأن قائل ذلك يريد : أن عنده درهماً ونصف هذا الدرهم الذى عنده» (١٧) .

وإذا كان المعنى فى الآية على أن الصدقات المظهرة غير تلك المضمرة، فإننا لا نسيغ هذا التكلف فى إعادة الضمير ، فالضمير عائد إلى جنس الصدقات سواء أكانت ظاهرة أو خفية ، وهو ما قال به ابن عباس وغيره فى مثل هذه الآية (١٨) .

وقد يذكر اسمان فى السياق اللغوى ويعود الضمير على أحدهما ، وقد جاء ذلك فى القرآن كثيراً ورده النحاة والمفسرون إلى أسباب دلالية أو نحوية من أمثلة ذلك الضمير فى قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ يونس ٥ قال الفراء «ولم يقل : وقدرهما . فإن شئت جعلت تقدير المنازل للقمر خاصة؛ إن به تعلم الشهور ، وإن شئت جعلت التقدير لهما جميعاً ، فاكتفى بذكر أحدهما من صاحبه ، كما قال الشاعر :

رمانى بأمر كنت منه ووالدى بريئاً ومن جول الطوى رمانى

وهو مثل قوله ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ التوبة ٦٢ ولم يقل يرضوهما(١٩)، وقد جعل الزمخشرى الضمير عائداً إلى القمر ، وقال أبو حيان إن الضمير عاد عليه وحده؛ لأنه هو المراعى فى عدد السنين والحساب ، عند العرب، بينما يقول ابن عطية إنه يحتمل أن يريدهما معاً يحسب أنهما مصرفان فى معرفة

(١٦) معاني القران للفراء ٣٦٨/٢ ، راجع البحر المحيط ٣٠٤/٧ .
(١٧) البحر المحيط ٣٢٤/٢ وفي مثل ذلك راجع أيضاً : دراسات لأسلوب القرآن ٥٧/١/٣ .
(١٨) راجع : البحر المحيط ٣٠٤/٧ .
(١٩) معاني القرآن للفراء ٤٥٨/١ .

عدد السنين والحساب ، لكنه اجترئ بذكر أحدهما (٢٠). وخلافهم هنا يترتبط بالسياق الخارجي فمنهم من جعل القمر وحده هو المراعى فى عدد السنين والحساب فعليه يعود الضمير ، ومنهم من جعل الشمس أيضاً كذلك فالضمير يمكن أن يعود إليهما معاً لكنه اجترئ بأحدهما من الآخر .

ومثل ذلك الضمير فى ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (التوبة ٣٤) . قال الفراء «ولم يقل : ينفقونهما فإن شئت وجهت الذهب والفضة إلى الكنوز فكان توحيدها من ذلك . وإن شئت اكتفيت بذكر أحدهما من صاحبه ، كما قال ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ (الجمعة ١١)، فجعله للتجارة وقوله ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ (النساء ١١٢) فجعله وا أعلم ـ للإثم ، وقال الشاعر :

نحـــن بمـــا عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مـــخـــتلف

ولم تقل : راضيان. وقال الآخر :

إنى ضـمنت لمن أتانى مـا جنى وأبى وكـان وكنت غيـر غـدور

ولم يقل : غـدورين ، وذلك لاتفاق المعنى يكتفى بذكر الواحد. وقوله ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ (التوبة ٦٢) ، «إن شئت جعلته من ذلك : مما اكتفى ببعض من بعض ، وإن شئت جعلت تبارك وتعلى فى هذا الموضع ذكر لتعظيمه ، والمعنى للرسول صلى الله عليه وسلم » (٢١).

وإذا كان الفراء فى هذا النص يعتمد المعنى لتفسير عودة الضمير ، فإننا نجد أبا عبيدة يرد ذلك إلى الاعتماد على معرفة السامع بأن الآخر قد شاركه ودخل معه فى الفعل ثم يقول إن العرب تفعل ذلك ويستشهد بأشعارهم (٢٢).

كـذلك قـال الزجـاج «ولم يقل يرضـوهمـا، لأن المعنى يدل عليـه، فـحـذف

---

(٢٠) راجع : الكشاف ٢٢٥/٣ ، البحر المحيط ١٢٥/٥ .

(٢١) معاني القرآن للفراء ٤٣٤/١ ، راجع ٤٤٥/١ ، الكشاف ١٧٨/٢، إعراب القرآن للنحاس ٢١٢/٢، الكتاب ٧٥/١، المقتضب ١١٢/٣ .

(٢٢) مجاز القرآن ٢٧٥/١ ، ٢٥٨، ، ٢٥٨/٢، معاني القرآن وإعرابه ٤٩٢/٢، ٤٩٣ .

استخفافاً»(٢٣). وقال الزمخشري وأبو حيان إن رضى الله عنه ورضى الرسول ﷺ فى حكم مرضى واحد، وقال العكبرى إن أمر الرسول تابع لأمر الله تعالى وخرج أبو حيان آيات أخرى على ذلك (٢٤).

وهم فى كل ذلك يحكمون المعنى فى عودة الضمير ثم يقفون عند أحقية ما يعود عليه الضمير ، هل هو الأول أم الآخر؟ والقياس عند الأخفش ـ أن يعود الضمير على كلا الاسمين إذا كان العطف بالواو فنقول زيد وعمرو ذاهبان ، وليس ذاهب ، أما إذا كان العطف بأو فلك أن تحمله على الأول أو على الآخر، والأقيس حمله على الآخر(٢٥)، وكذلك يقول الفراء إن الأجود فى العربية أن تجعل الراجع من الذكر للآخر من الاسمين ، إلا إذا كان الأول أهم كما فى قوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ (الجمعة ١١) وهو قول أبى عبيدة أيضاً (٢٦).

وكان لسياق الحال دوره تحديد المرجع ، وأول ما يبدو من ذلك الدلالة العامة فى مثل الضمير فى قوله تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ (الأعراف ١٤٨) قال الزجاج «ومعنى من بعده أى من بعد ما جاء الميقات، وخلفه هارون فى قومه» (٢٧). ومثل ذلك الضمير فى قوله تعالى ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ (فصلت ١٤) قال الفراء «أتت الرسل آباءهم ومن كان قبلهم ومن خلفهم ، يقول : وجاءتهم أنفسهم رسل من بعد أولئك الرسل ، فتكون الهاء والميم فى (خلفهم) للرسل ، وتكون لهم تجعل من خلفهم لما معهم» (٢٨).

وفى هاتين الآيتين عودة إلى التفسير العام للآية حتى تفهم ويفهم ما يعود عليه الضمير ، ففى الآية الأولى يعود الزجاج إلى قصة موسى عليه السلام والميقات ليحدد مرجع الضمير، وفى الآية الثانية نجد الضمير فى (خلفهم) قد يعود إلى الرسل فيكون المعنى أتتهم رسل من خلف رسل ، أو يعود على الناس فتكون رسل لهم ولمن بعدهم

---

(٢٣) معاني القرآن وإعرابه ٥٠٧/٢ .

(٢٤) الكشاف ١٩٩/٢ ، التبيان في إعراب القرآن ٦٨٤/٢، البحر المحيط ٦٤/٥، وراجع آيات أخري في دراسات لأسلوب القرآن ٦١/١/٣، ٦٢ .

(٢٥) راجع : معاني القرآن للأخفش ٨١/١ ، ٨٢ .

(٢٦) معانى القرآن للفراء ١٥٧/٣، مجاز القرآن ٣٩/١ .

(٢٧) معاني القرآن وإعرابه ٤١٦/٢ .

(٢٨) معاني القرآن للفراء ١٣/٣ .

وهكذا يعود الفراء إلى التفسير أو المعنى ليحدد المرجع .

وقد حاول النحاة والمفسرون تحديد المرجع إلى أشخاص بعينهم ، وأول ما يلفتنا تلك الضمائر التى تعود إلى شخص النبى (ص) فـ «هو المعنى عندما يورد القرآن الآراء العدائية التى يبديها خصومه بشأنه» والنبى (ص) هو من يتحدث الله عنه ليشجعه أو ليثنى عليه أو يعاتبه أحياناً [٢٩]، وقد جاء ذلك فى آيات كثيرة من مثل قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ (الأنعام ٣٧) ، ﴿ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ (الرعد ٧) و ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ (النحل ١٠٣) و﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ (يس ٦٩) و ﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ (الجن ٢٨) قال الفراء «(ليعلم) يعنى محمداً (ص) »[٣٠] ، و ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾ (الأعراف ١٥٧) ، قال الزجاج «أى بمحمد (ص)»[٣١] ، ﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ (التوبة ٤٠) قال النحاس «الهاء تعود على النبى»[٣٢] (ص) .

وقد جاءت بعض الضمائر تحتمل العودة إلى النبى (ص) أو إلى غيره ، من ذلك الهاء فى ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ (التوبة ٤٠) ، قال الزجاج «يجوز أن تكون الهاء التى فى (عليه) لأبى بكر، وجائز أن تكون ترجع على النبى (ص) ؛ لأن الله ـ جل ثناؤه ـ ألقى فى قلبه ما سكن به ، وعلم أنهم غير واصلين» [٣٣]، أما النحاس فيستعين بسياق الحال حيث يقول «القول عند أكثر أهل التفسير وأهل اللغة إن المعنى : فأنزل الله سكينته على أبى بكر لأن النبى (ص) قد علم أنه معصوم ، والله جل وعز أمره بالخروج، وأنه ينجيه ، والدليل على هذا أنه قال لأبى بكر ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة ٤٠) فسكن أبو بكر رضى الله عنه» [٣٤].

(٢٩) من الشاطئ الآخر ١٣٥ .
(٣٠) معاني القرآن للفراء ١٩٦/٣ .
(٣١) معاني القرآن وإعرابه ٤٢٢/٢ ، ٤٢٣ .
(٣٢) معاني القرآن للنحاس ٢١٦/٣ .
(٣٣) معاني القرآن وإعرابه ٢١٥/٢ .
(٣٤) إعراب القرآن للنحاس ٢١٥/٢ .

وقد جعل الفراء الضمير المستتر فى (أو تحل) فى قوله تعالى ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾ (الرعد ٣١) عائداً على النبى (ص) ، قال (أو تحل أنت يامحمد بعساكرك (قريباً من دارهم)[٣٥] والأولى أن يعود الضمير على القارعة وهى فى السياق اللغوى فيكون التقدير تصيبهم القارعة أو تحل (القارعة) قريباً من دارهم .

وقد اختلف فى مرجع ضمير المخاطب فى قوله تعالى ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾ (ق ٢٢) على ثلاثة أقوال : الأول على أن المخاطبة للنبى (ص) ، وقد اعترض على ذلك ، والثانى : أنها مخاطبة للكفار أو المشتركين ، أما الثالث : فهو أن المخاطبة للبر والفاجر أى أن الخطاب عام، وهو مانميل إليه لأنه لايقطع السياق اللغوى وهو رأى أبى جعفر النحاس الذى عرض الأقوال الثلاثة ثم قال «أما قول زيد بن أسلم (وهو عودة الضمير على النبى) فتأويله على أن الكلام تم عند قوله جل وعز ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (ق ٢١) ثم ابتدأ يامحمد لقد كنت فى غفلة من هذا الدين ، ومما أوحى إليك من قبل أن تبعث إذ كنت فى الجاهلية ... وأولى ما قيل فى الآية أنها على العموم للبر والفاجر يدل على ذلك ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ ق ١٦ فهذا عام لجميع الناس برهم وفاجرهم . فقد علم أن معنى ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ ﴾ ق ١٩ وجاءتك أيها الإنسان سكرة الموت ، ثم جرى الخطاب على هذا فى (لقد كنت فى غفلة من هذا) أى : لقد كنت أيها الإنسان فى غفلة مما عاينت ، فإن كان محسناً ندم إذ لم يزدد ، وإن كان مسيئاً ندم إذ لم يقلع هذا لما كشف عنهما الغطاء»[٣٦] والنحاس فى كل ذلك يحكم السياق اللغوى فى الاستدلال على رأية فسياق الآيات يبدأ بالحديث عن الإنسان عموماً ويستمر فى ذلك فلماذا نقطعه .

واختلف المفسرون فى ضمائر سورة النجم فى الآيات الأولى من ذلك ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ (النجم ٣) ، فالضمير المستتر فى (ينطق) للنبى (ص) ، أو للقرآن

---

(٣٥) معاني القرآن للفراء ٦٤/٢ .

(٣٦) إعراب القرآن للنحاس ٢٢٦/٤ ، ٢٢٧ .

الكريم[٣٧] والضمير فى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ (النجم ٨)يعود إلى جبريل أو إلى الله عز وجل أما الضمير فى (عبده) فى ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ (النجم ١٠) ، فيعود إلى الله عز وجل ، أى فأوحى إلى عبد الله[٣٨] وعلى ذلك يكون الضمير فى (أوحى) عائداً على الله سبحانه وتعالى أيضا ، أى : فأوحى الله إلى عبده ويكون الكلام منفصلاً عما قبله، لأن الحديث قبله عن جبريل عليه السلام ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ (النجم ٨، ٩) والإيحاء يكون من الله سبحانه ، وناقل الوحى هو جبريل عليه السلام .

وقد عرض النحاس قولين هذا أحدهما والآخر أن المعنى فأوحى جبريل إلى محمد عبد الله واختار هذا القول ، قال «وهذا أشبه بسياق الكلام لأن ما قبله وما بعده أخبار عن جبريل عليه السلام ومحمد فلا يخرج عنهما إلى أحد إلا بحجة يجب التسليم بها[٣٩] والنحاس بذلك يحكم السياق اللغوى فى تفسير المرجع ، لكن القول الأول محتمل أيضاً .

وقدر الزمخشرى (إلى عبده) إلى عبد الله ، قال وإن لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لأنه لايلبس[٤٠] أما أبو حيان فقد عرض لنا الأقوال فى عودة هذا الضمير حيث قال «فأوحى : أى إلى عبده أى الرسول (ص) قاله ابن عباس ، وقيل إلى عده جبريل... وقال الحسن فأوحى جبريل إلى عبد الله (ص) ما أوحى ... وقال ابن زيد فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد (ص) ما أوحاه الله تعالى إلى جبريل عليه السلام[٤١] .

ثم يأتى الضمير فى ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ النجم ١٣ ، قال البعض إن الضمير فى (رآه) يعود على الله سبحانه ، وفى ذلك يكون النبى (ص) قد رأى الله سبحانه وتعالى فى الدنيا ، لكن الضمير عند أكثر المفسرين يعود إلى جبريل عليه السلام ، يقول النحاس «أحسن ما قيل فيه وأصحه أن الضمير يعود على شديد القوى» ثم يروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت «من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على

(٣٧) راجع : البحر المحيط ١٥٧/٨ ، إعراب القرآن للنحاس ٢٦٥/٤ ، الكشاف ٢٨/٤ .
(٣٨) معاني القرآن للفراء ٩٥/٣ ، وراجع البحر المحيط ١٥٨/٨ .
(٣٩) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٧/٤ .
(٤٠) الكشاف ٢٩/٤ .
(٤١) البحر المحيط ١٥٨/٨ .

الله جل وعز الفرية والله جل ثناؤه يقول ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ الشورى ٥١ ، والله يقول ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ الأنعام ١٠٣، فيقول لها الراوى : يا أم المؤمنين ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ النجم ١٣ ، ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ التكوير ٢٣ ، قالت : أنا سألت عن ذلك نبى الله (ص) فقال : «رأيت جبريل عليه السلام نزل ساداً الأفق على خلقه وهيئته أو خلقه وصورته» (٤٢).

وعرض أبو حيان القولين ونسبهما حيث قال «ولقد رآه الضمير المنصوب عائد على جبريل عليه السلام قال ابن مسعود وعائشة ومجاهد والربيع نزلة أخرى أى نزل عليه جبريل عليه السلام مرة أخرى فى صورة نفسه فرآه عليها ... وقال ابن عباس وكعب الأحبار الضمير عائد على الله على ما سبق من قولهما إن رسول الله (ص) رأى ربه مرتين»(٤٣) .

وعلى قول عائشة رضى الله عنها تكون الضمائر فى (دنا) إلى (رآه) عائدة على جبريل عليه السلام ، وهو ما يعطى للسياق الحالى مكانته فى تحليل عودة الضمير ، بناء على نفى رؤية النبى (ص) لله فى الدنيا ، لكن هذه الضمائر عند آخرين تعود على الله سبحانه وتعالى .

ومن الضمائر ما يعود على القرآن الكريم بدلالة السياق وقد جاء ذلك فى آيات كثيرة(٤٤) ، ومن أمثلة ذلك ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ ﴾ الأعراف ٥٣ ، قال الفراء : «الهاء فى تأويله للكتاب»(٤٥) ، و ﴿ كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴾ المدثر ٥٤ ، قال الأخفش : «أى : إن القرآن تذكرة»(٤٦) ، ومن ذلك ما يعود على القرآن أو على النبى من مثل ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ الأنعام ٩٢ ، قال الفراء «الهاء تكون لمحمد (ص) وللتنزيل»(٤٧).

ومن ذلك ما عاد إلى عيسى عليه السلام واحتمل العودة إلى شىء آخر مثل :

---

(٤٢) راجع : إعراب القران للنحاس ٤/٢٦٩، ٢٧٠، ٥/١٦٢ .

(٤٣) البحر المحيط ٨/١٥٩ ، وراجع ٨/١٥٨ .

(٤٤) راجع : من الشاطئ الاخر ١٣٥ هامش ١ .

(٤٥) معاني القرآن للفراء ١/٣٨٠ ، ٣/٣٤ .

(٤٦) معاني القرآن للاخفش ٢/٢١٦ ، وراجع أيضاً : محاز القرآن ٢/٢٦٨، ٢٨٦ ، معاني القرآن وإعرابه ٢/٦٦ ، ١٩٧٠،٢٦١،٢٥٧،٣٠٦، إعراب القرآن للنحاس ٤/٩٤ ، ٥/١٨ .

(٤٧) معاني القرآن للفراء ١/٣٤٤ .

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ النساء ١٥٩ . قال الفراء «جاء التفسير بوجهين ؛ أحدهما أن تكون الهاء فى موته لعيسى ، يقول : يؤمنون إذا أنزل قبل موته، وتكون الملة والدين واحداً ، ويقال يؤمن كل يهودى بعيسى عند موته. وتحقيق ذلك فى قراءة أبى (إلا ليؤمن به قبل موتهم)»[٤٨] فيكون الضمير فى (موته) إما أن يعود إلى عيسى عليه السلام أو إلى كل يهودى . ومثل ذلك الهاء فى ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ النساء ١٥٧ قال الفراء الهاء للعلم كما تقول قتلته علماً[٤٩] ومثل ذلك ما يعود إلى موسى أو يوسف عليهما السلام أو السامرى[٥٠] .

ومن ذلك ما يعود على الكفار والمشركين والمنافقين واليهود مما يدل عليه الحديث الشريف أو السيرة المطهرة[٥١] ومن أمثلة ذلك ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ ﴾ الأعراف ٢٠٢ قال الفراء «يعنى المشركين شياطينهم»[٥٢] . ومثل ذلك أيضاً الضمير فى ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ﴾ آل عمران ١٨٨ قال النحاس «يراد بهذا اليهود... وقال ابن زيد : هم المنافقون كانوا يقولون للنبى (ص) : نخرج ونحارب معك ثم يتخلفون ويعتذرون ويفرحون بما فعلوا لأنهم يرون أنهم قد تمت لهم الحيلة»[٥٣]. ويتضح من هذا النص لجوء المفسرين إلى السياق الحالى (الخارجى) المتمثل فى أسباب النزول .

وقد يعود الضمير إلى شىء سبق ذكره فى السياق اللغوى من مثل الضمير فى ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾ الأنفال ١١ ، قال الزجاج «أى يثبت بالماء الذى أنزله على الرمل حتى استوى ، وجائز أن يكون زين به للربط على قلوبهم»[٥٤] واختلفوا فى بعض الضمائر وإن اتفق المعنى الذى يقصدونه فى مثل ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ ﴾ الأنفال

---

(٤٨) نفسه ١/٢٩٤ ، ٢٩٥ .
(٤٩) نفسه ١/٢٩٤ ، وراجع تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٥٢ .
(٥٠) راجع : الحجة في علل القراءات السبع للفارسي ٢/١٤٩ .
(٥١) راجع : من الشاطئ الآخر ١٣٢ – ١٣٤، والآيات ٧٥ ، ١٠٢ ، ١٧٠، ١٨٩، من سورة البقرة ، والإتقان في علوم القرآن ٢/١٦٩ – ١٧٧ .
(٥٢) معاني القرآن ١/٤٠٢ ، وراجع معاني القرآن وإعرابه ٢/٣٩٧ .
(٥٣) إعراب القرآن للنحاس ١/٤٢٥ ، وراجع ٥/٢٩ .
(٥٤) معاني القرآن وإعرابه ٢/٤٠٤، وراجع إعراب القرآن للنحاس ٢/١٧٩ .

١٠ قال الفراء «هذه الهاء للإرداف»[٥٥] ، وقال الزجاج «وما جعل الله المدد إلا بشرى»[٥٦] والمدد والإرداف يفهمان من الآية السابقة لهذه الآية . ومثل ذلك ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ آل عمران ١٠٣ قال النحاس «(فأنقذكم منها) الهاء تعود على النار لأنها المقصود أو على الحفرة» [٥٧].

وقد أثرت القراءات كذلك فى تقدير مرجع الضمير من ذلك القراءات فى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ القلم ٤٢ ، فقد قرئت (يُكشف) و(تَكشف) وضمير الفاعل فى القراءة الثانية هو القيامة أو الساعة ، وكذلك قراءة ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ الانشقاق ١٩ فقد قرئت (لتركبُنَّ) يعنى : الناس عامة ، و(لتركبَنَّ) أى أنت يامحمد سماء بعد سماء ، أو (ليركبَنَّ) ... إلخ[٥٨] ومثل ﴿بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ الطور ٣٤ فالهاء على قراءة الجماعة تعود على القرآن ، وقد قرأها الجحدرى (بحديثِ مثله) وفى هذه القراءة تعود إلى النبى (ص)[٥٩] وهناك ضمائر تعود إلى الذات العلية بدلالة سياق الحال منها الهاء فى قوله تعالى ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ الطارق ٨ ، قال ابن خالويه[٦٠] «الهاء كناية عن الله ، أى : إن الله تعالى قادر على رجع الماء ورده فى الإحليل» .

ومن ذلك أيضاً ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ الفجر ٢٥ ، قال أبو عبيدة «يومئذ لايعذب عذاب الله أحد فى الدنيا» وإن كان بعضهم قدرها لايعذب عذاب الكافر أحد بإضافة المصدر إلى المفعول لا إلى الفاعل وبناء الجملة للمفعول أى يعذب عذابه[٦١] .

---

(٥٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٥٨/٣، إعراب القرآن للنحاس ٢٧٨/٥ ، إعراب ثلاثين سورة ١٥٦ .

(٥٦) معاني القرآن للفراء ٢١/٢ .

(٥٧) إعراب القرآن للنحاس ٣٩٨/١ .

(٥٨) راجع : معاني القرآن للفراء ١٧٧/٣، ٢٥٢، معاني القرآن وإعرابه ٢٣٣/٣ عند الآية ١٦ من سورة الأنعام (من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه) ، إعراب القرآن للنحاس ١٤/٥، ١٥معجم القراءات ٢٠٠/٧، ٢٠١، ١٠٣/٨، ١٠٤ .

(٥٩) المحتسب ٢٩٢/٢ ، وراجع : معجم القراءات ٢٦١/٦ .

(٦٠) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٤٩ .

(٦١) مجاز القرآن ٢٩٨/٢، وراجع: معاني القرآن وإعرابه ٣٢٤/٥، إعراب القرآن للنحاس ٢٢٤/٥، ٢٢٥ .

وقد يعود الضمير على شيء لم يذكر فى السياق اللغوى لكنه يفهم معناه من سياق الحال وأشهر الأمثلة على عود الضمير دون ذكر المرجع قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ ص ٣٢ وقد عرض الفراء الموقف الذى تتحدث عنه الآية فقال : إن سليمان عليه السلام كان قد غنم تلك الخيل فلما صلى الظهر دعا بها ، فلم يزل يعرضها حتى غابت الشمس ولم يصل العصر[٦٢] وعلى ذلك يقدر أبو عبيدة الضمير المستتر فى توارت فيقول إن «المعنى للشمس وهي مضمرة»[٦٣] ويعيب الزجاج على اللغويين قولهم إن الشمس لم يجر لها ذكر ، قال لأن فى الآية دليلاً يدل على الشمس، وهو قوله : إذ عرض عليه بالعشى، والعشى فى معنى بعد زوال الشمس حتى توارت بالحجاب ، وليس يجوز الإضمار إلا أن يجرى ذكر أو دليل بمنزلة الذكر» [٦٤].

لكن أبا حيان يقول «الظاهر أن الضمير فى توارت عائد على الصافنات أى دخلت اصطبلاتها فهى الحجاب ، وقيل حتى توارت فى المسابقة بما يحجبها عن النظر ، وقيل الضمير للشمس وإن لم يجر لها ذكر ذلك لدلالة العشى عليها» [٦٥]، والأولى - فى رأيى - أن الضمير يعود على الصافنات وهى المذكورة فى السياق اللغوى وعودة الضمير على ما ذكر أولى من أن يعود على مالم يجر له ذكر كما يقول النحاس[٦٦].

والأمثلة على مالم يجر له ذكر فى الكلام كثيرة والمرجع دائما شيء مشهور أو معروف، من ذلك مثلاً ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ فاطر ٤٥ ، قال الأخفش «فأضمر (الأرض) من غير أن يكون ذكرها لأن هذا الكلام قد كثر حتى عرف معناه ، تقول : أخبرك ما على ظهرها أحد أحب إلى منك، و: مابها أحد آثر عندى منك» [٦٧].

ومثل ذلك ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ﴾ الحاقة١٧ «أى على أرجاء السماء» و﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴾ المعارج ٦ أى : البعث، ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴾ المدثر٣٥ الهاء كناية عن

(٦٢) معاني القرآن للفراء ٢/٤٠٤ .
(٦٣) مجاز القرآن ٢/١٨٢ .
(٦٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٣١ .
(٦٥) البحر المحيط ٧/٣٩٦ .
(٦٦) إعراب القرآن ٥/٢٩ .
(٦٧) معاني القرآن للأخفش ٢/٤٤٨، إعراب القران للنحاس ٣/٣٧٩ .

جهنم(٦٨)، ومثل ذلك ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴾ الشمس ٣ ، قال الفراء «جلى الظلمة ، فجاز الكناية عن الظلمة ، ولم تذكر لأن معناها معروف، ألا ترى أنك تقول : أصبحت باردة وأمست باردة ، وهبت شمالاً ، فكنى عن مؤنثات لم يجر لهن ذكر ؛ لأن معناها معروف» (٦٩) . ومثل ذلك ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ العاديات ٤ ، قال الفراء «الهاء كناية عن الوادى ولم يتقدم له ذكر؛ لأنه عُرِف المعنى»(٧٠) وكذلك الضمير فى ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ﴾ هود ٧٠ قال الفراء «أى إلى الطعام» (٧١) .

ومثل ذلك الهاء فى قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (القدر١) ، قال ابن خالويه «فإن سأل سائل فقال : المكنى لايكون إلا بعد ظاهر ، وهذه أول سورةٍ ، فلم كنى عن شىء لم يتقدم ذكره ؟ فالجواب فى ذلك أن العرب قد تكنى عن الشىء وإن لم يتقدم ذكره إذا كان المعنى مفهوماً ، كقولهم : ماعليها أعلم من فلان يعنون الأرض»(٧٢) .

ومن ذلك ما كان شيئاً عاماً يعود على النفس من مثل ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ (الشمس ٩ ، ١٠) ، قال الفراء «قد أفلحت نفس زكاها الله، وقد خابت نفس دساها، ويقال: قد أفلح من زكى نفسه بالطاعة والصدقة، وقد خاب من دسى نفسه ، فأحملها بترك الصدقة والطاعة(٧٣) والفراء هنا يعرض رأيين والهاء فيهما تعود على النفس ولايهمنا ما يتفرع على الرأيين .

وقد يعود الضمير على الإنسان ؛ من مثل ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾ (ق ١٨) قال النحاس «الضمير الذى فيه يعود على الإنسان؛ أى : مايلفظ الإنسان من قول فيتكلم به إلا عند لفظ به»(٧٤) .

ومن ذلك أيضاً عودة الضمير على الثقلين الإنس والجن فى قوله تعالى ﴿ فَبِأَيِّ

---

(٦٨) إعراب القرآن للنحاس ٥/٢٢ ، ٧١، معاني القرآن للفراء ٣/١٨٤، ٢٠٥ .

(٦٩) معاني القرآن للفراء ٣/٢٦٦ .

(٧٠) نفسه ١/٤٠٤ ، والاية السابقة هي (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين).

(٧١) معاني القرآن وإعرابه ٢/٤٠٣ .

(٧٢) إعراب ثلاثين سورة ١٤٢ .

(٧٣) معاني القرآن للفراء ٣/٢٦٧ .

(٧٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/٢٢٤ ، ٢٢٥ .

آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الرحمن ٥٥ قال أبو عبيدة «(تكذبان) مجازها مخاطبة الجن والإنس وهما الثقلان»(٧٥) .

من كل ماسبق يتبين لنا أهمية السياقين اللغوى وغير اللغوى فى تقدير مرجع الضمير ، وقد تبين لنا السياق اللغوى فى عودة الضمير إلى المصدر المأخوذ من لفظ الفعل المذكور فى الجملة ، أو اعتبار المرجع لفظة سابقة أو عودة الضمير على مرادفها، كما تبين لنا سياق الحال فى اعتبار المعنى أساساً للمرجع وبرز ذلك فى استخدام المعنى العام للآيات ، وأقوال المفسرين والعودة إلى الحديث الشريف والسيرة العطرة وربط ذلك بأسباب النزول ، وتبين لنا كيف تنبه النحاة إلى ذلك وحاولوا باستخدام سياق الحال إعادة الضمير إلى شخص أو أشخاص أو أشياء محددة .

والحق أن الدكتور طه حسين رغم قوله بأن تلك الضمائر أسماء إشارة إلا أنه قد تنبه إلى أهمية السياقين اللغوى وغير اللغوى، لكنه عرف السياق اللغوى وحده ثم قال إنه لايكفى وحده للكشف عن مرجع الضمير، وينبغى أن تضاف إليه عوامل أخرى مثل الإشارات والإيماءات فى المقاطع الخطابية، والمعارف التى قد تتوافر لدى السامع أو القارئ (٧٦) وهذه الأشياء التى أشار إليها ليست إلا عناصر لسياق الحال أشار إليها ابن جنى فى خصائصه (٧٧) كما اهتم البلاغيون والأصوليون والمفسرون من قبل، كما عرفتها مدرسة السياق عند فيرث (٧٨).

وإذا كنا قد تناولنا فيما سبق البحث عن مرجع الضمير، فلابد أن نشير هنا أيضاً إلى مرجع اسم الإشارة ، وهو ماوجدناه عند النحاة والمفسرين أيضاً وهو ما جعلنا نقول من قبل إن جعل الضمير بمعنى اسم الإشارة لايحل مشكلة المرجع .

ولانبعد إذا قلنا إن النحاة والمفسرين قد فعلوا ما فعلوه فى البحث عن مرجع الضمير ، فوجدنا مثلاً أسماء إشارة مرجعها المصدر المفهوم من السياق ، من مثل ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ هود ١١٩ ، قال الفراء «للاختلاف والرحمة» ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ البقرة ٦١ ، قال الزجاج

---

(٧٥) مجاز القرآن ٢/٢٤٣ .

(٧٦) راجع : من الشاطئ الآخر ١٤١ .

(٧٧) راجع : الخصائص ١/٢٤٥ وما بعدها ، فقه اللغة في الكتب العربية ١٦٧ وما بعدها .

(٧٨) راجع : الدلالة والتركيب ١١٨ وما بعدها .

«معنى ذلك والله أعلم ـ الغضب حل بهم بكفرهم». ومثل ذلك ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ آل عمران ٨٢ قال ذلك إشارة إلى أخذ الميثاق» (٨٠).

وكذلك قال النحاس فى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ آل عمران ٧٥ «أى فعلهم ذلك وأمرهم ذلك» (٨١)، وفى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ ق ٣٧ قال «أى إن فى إهلاكنا القرون التى أهلكناها وقصصنا خبرها» (٨٢) .

ومن ذلك ما جاء إشارة إلى القرآن من مثل ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ هود ٤٩ ، قال الفراء « (من قبل هذا) يعنى القرآن» (٨٣) ومثل ذلك ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ الجاثية ٢٠ ، قال أبو عبيدة «مجازها : هذا القرآن بصائر للناس» (٨٤) .

وهم فى كل ذلك يعتمدون على السياق فى تقدير مرجع اسم الإشارة . كذلك كان للسياقين اللغوى وغير اللغوى دورهما فى حل مشكلة مخالفة المطابقة بين الضمير والمرجع، وقد تكون تلك المخالفة فى مطابقة العدد من حيث التعبير بالمفرد عن المثنى أو العكس، والتعبير بالجمع عن المفرد أو العكس، والتعبير بالمثنى عن الجمع أو العكس ، وكان للسياق أثره فى تفسير كل ذلك عند اللغوين والمفسرين (٨٥).

وقد تكون المخالفة فى مطابقة النوع؛ فقد يكون الضمير عائداً على لفظة فى السياق اللغوى فى مثل ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ البقرة١٤٣ ، قال الأخفش «يعنى القبلة، ولذلك أنث» (٨٦) ، و﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ البقرة ١٣٢ ، قال الزجاج «قوله (بها) هذه الهاء ترجع على الملة؛ لأن إسلامه هو إظهار طريقته وسنته ويدل على قوله ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ البقرة ١٣٠ قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ﴾

---

(٧٩) معاني القرآن للفراء ٢/٣١ .

(٨٠) معاني القرآن وإعرابه ١/١٤٥، ١٠٢، ٣٠٠، ٤٢٦ .

(٨١) إعراب القرآن للنحاس ١/٣٨٨ .

(٨٢) نفسه ٤/٢٣١ .

(٨٣) معاني القرآن للفراء ٢/١٩ .

(٨٤) مجاز القرآن ٢/٢١٠ ، وراجع معاني القرآن وإعراب [illegible]جاج ٢/٣٩٧ .

(٨٥) راجع : العلاقة بين المطابقة العددية والسياق / مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة العدد ٦٠ص٧ وما بعدها .

(٨٦) معاني القرآن للأخفش ١/١٥١ .

البقرة ١٣٢ (٨٧)، ومعنى ذلك أن تقدير رجوع الهاء إلى الملة جاء من وجود ألفاظ فى السياق اللغوى فى الآية ١٣٢ تدل عليها هى (إن الله اصطفى لكم الدين) .

وقد جاءت ضمائر تعود على مرجعين فى السياق اللغوى أحدهما مذكر والآخر مؤنث ، وكذلك عادت مرة بالتأنيث وأخرى بالتذكير ، ومن ذلك (السقاية) و(الصواع) فى سورة يوسف الآيات من ٧٠ إلى ٧٦ ، فقد قال سبحانه وتعالى ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ يوسف ٧٠ ، وقال عز من قائل ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ يوسف ٧٢ ، و﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ يوسف ٧٥ ثم قال سبحانه وتعالى ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ يوسف ٧٦ ، فجاء الضمير مؤنثاً فى الآية الأخيرة وهو يعود على الصواع ، وهنانجد الفراء يقول «ذهب إلى تأنيث السرقة وإن يكن الصواع فى معنى الصاع فلعل هذا التأنيث من ذلك ، وإن شئت جعلته لتأنيث السقاية» (٨٨).

ويمكننا أن نفهم كلام الفراء هذا من أقوال الزمخشرى الذى فسر (السقاية) بأنها مشربة يسقى بها وهى الصواع، ثم تساءل لم ذكّر ضمير الصواع مرات ثم أنثه؟ ثم قال «قالوا : رجع بالتأنيث على السقاية ، أو أنث الصواع لأنه يذكر ويؤنث، ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعاً ، فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية ، وفيما يتصل بهم منه صواعاً» (٨٩) «فهذه الضمائر بعضها يعود للسقاية وبعضها يعود للصواع، أو أن الصواع يذكر ويؤنث ، ويضاف إلى ذلك عند الفراء عودة الضمير إلى (السرقة) المتحدث عنها فى الآيات وإن لم تذكر لفظاً .

وكلام الفراء هذا يأخذنا إلى مافعلوه من جلب كلمة يدل عليها المعنى وإرجاع الضمير إليها ، وهذا ما نجده أيضاً عند الأخفش فى قوله تعالى ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ النحل ٦٧ حيث قال «ولم يقل (منها) لأنه أضمر الشىء ، كأنه قال : ومنها شىء تتخذون منه سكراً» (٩٠) .

---

(٨٧) معاني القرآن وإعرابه ١/٢١١ .

(٨٨) معاني القرآن للفراء ٢/٥٢ .

(٨٩) راجع : الكشاف ٢/٣٣٤ . ٣٣٥ .

(٩٠) معاني القرآن للأخفش ٢/٣٨٣ .

وقد يعود الضمير على لفظة فى السياق اللغوى مما يُذكّر ويؤنث ، ومن ذلك كلمة (الفلك) التى جاءت فى القرآن مذكرة فى ﴿ الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ (الشعراء ، يس٤١، الصافات ١٤٠) ، وجاءت مؤنثة فى آيات مثل ﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ ﴾ البقرة ١٦٤ ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ يونس ٢٢ ، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴾ إبراهيم ٣٢ إلى غير ذلك من الآيات . قال الفراء عند آية يونس «قوله : (وجرين بهم) ، ولم يقل : وجرت وكل صواب ، تقول النساء قد ذهبت ، وذهبن ، والفلك تؤنث وتذكّر، وتكون واحدة وتكون جمعاً . وقال فى (يس) ﴿ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ يس ٤١ فذكّر الفلك ، وقال ها هنا جاءتها ، فأنث فإن شئت جعلتها هاهنا واحدة ، وإن شئت جماعاً »(٩١) . ومن ذلك (النخلَ) فقد قال الفراء عند قول الله تعالى ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ الحشر ٥ إن من قرأ (أصوله) ذهب إلى الجمع فى اللين كله، ومن قال : أصولها ذهب إلى تأنيث النخل ، لأنه يذكر ويؤنث»(٩٢)، وكذلك كلمة (الشجر) فى ﴿ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾ الواقعة ٥٢ ، ٥٣ (٩٣) .

وقد جاء الضمير مؤنثاً فى قراءة ومذكراً فى أخرى ، فلجأ المفسرون إلى المعنى أيضاً فى تفسير ذلك ، ومن أمثلة ذلك **(وهمت كل أمة برسولهم)** غافر ١٥ قال الفراء: إن من قرأ بهذه القراءة «ذهب إلى الرجال وفى حرف عبد الله (برسولها) ، وكل صواب»(٩٤) ، أى أن الضمير فى قراءة التذكير يعود على رجال الأمة وعلى قراءة التأنيث يعود على الأمة .

وقد يعود الضمير على شىء يفهم من سياق الحال لكنه يكون مرة بالتأنيث ومرة بالتذكير، فيقدر المرجع تبعاً لذلك ومن أمثلة ذلك ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ عبس ١١، ١٢ قال الفراء «هذه السورة تذكرة، وإن شئت جعلت الهاء عماداً

---

(٩١) معاني القرآن للفراء ٤٦٠/١ .

(٩٢) نفسه ١٤٤/٣ ، وراجع : معجم القراءات ١١٣/٧ .

(٩١) معاني القرآن للفراء ٤٦٠/١ .

(٩٢) نفسه ١٤٤/٣ ، وراجع : معجم القراءات ١١٣/٧ .

(٩٣) نفسه ١٢٧/٣ .

(٩٤) نفسه ٥/٣ ، وراجع أيضا ٣٧/٣، ٥٥، ٢١٣/١، ٢٤٠/٢، ٥٨، ٥٩، معجم القراءات ٣٦/٦ .

لتأنيث التذكرة فضمير المؤنث عنده إما أن يعود إلى السورة أو أن يكون ضمير فصل يعود على التذكرة . أما الضمير الثانى المذكور فى (ذكره) فيعود عنده على القرآن[٩٥]. وقد قدر الزجاج الضمير المؤنث للموعظة ، والمذكر للوعظ [٩٦]. وقد جاءت الآيتان فى سورة المدثر بالتذكير هكذا ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ المدثر ٥٤ ، ٥٥ وهنا يقول الفراء «يعنى هذا القرآن ، ولو قيل : (إنها تذكرة) لكان صواباً ، كما قال فى عبس ، فمن قال (إنها) أراد السورة ومن قال : (إنه) أراد القرآن»[٩٧] .

وكذلك جاء اسم الإشارة فى مثل هذه الآيات فقُدِّر المرجع من سياق الحال، من مثل ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ الإنسان ٢٩ قال الفراء «يقول : هذه السورة تذكرة وعظة»[٩٨]، وقال النحاس «قيل : أى هذه الأمثال والقصص وقدرها فى آية المزمل ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ المزمل ١٩) فقال «أى هذه الأشياء التى تكون فى القيامة عظة؛ وقال قتادة : يعنى القرآن» [٩٩]ومعنى ذلك أن اسم الإشارة هنا قد يرجع إلى السورة أو إلى الأمثال والقصص والمواعظ وكلها مؤنثة، وقد يرجع إلى القرآن وهو مذكر على قول قتادة.

وقد يعود ضمير العاقل على غير العاقل، وبالتالى يكون مذكراً ، ومما ورد فى القرآن عودة الضمير إلى ما يعبد من دون الله من مثل ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ الزخرف ٤٥ قال الفراء «قال: (يعبدون) للآلهة ، ولم يقل : تعبد ولا يعبدن، وذلك أن الآلهة تكلم ويدعى لها وتعظم ، فأجريت مجرى الملوك والأمراء وما أشبههم»[١٠٠] .

ومثل ذلك الضمير ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ الأنبياء ٦٣ ، قال الأخفش «فذكَّر الأصنام وهى من الموات ، لأنها كانت عندهم ممن يعقل أو ينطق» [١٠١].

---

(٩٥) نفسه ٦/٢٣٦ .

(٩٦) راجع : معاني القرآن وإعرابه ٥/٢٨٤ .

(٩٧) معاني القرآن للفراء ٣/٢٠٦ وراجع : إعراب القرآن للنحاس ٥/٧٤، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ١٦٧،١٦٨ .

(٩٨) نفسه ٣/٢٢٠ .

(٩٩) إعراب القرآن للنحاس ٥/١٠٨ ، ١٠٩ ، ٦٢ .

(١٠٠) معاني القرآن للفراء ٣/٣٤ ، وراجع أيضا ٣/٤٩ .

(١٠١) معاني القرآن للأخفش ٢/٤١١، وراجع : مجاز القرآن ٢/٤٠ .

ومثل ذلك ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ يس ٧٥ ، قال النحاس : « (لايستطيعون نصرهم) يعنى الآلهة ، وجمعوا على جمع الآدميين؛ ولأنه أخبرهم بخبرهم (وهم) يعنى الكفار (لهم) الآلهة» (١٠٢).

ومن ذلك مايعود على الحيوان من مثل ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ النمل ١٨ قال أبو عبيدة «هذا من الحيوان الذى خرج مخرج الآدميين ، والعرب قد تفعل ذلك قال :

شربت إذا ما الديك يدعو صباحه   إذا ما بنو نعش دنوا فتصوّبوا (١٠٣)

ومثل ذلك ما يعود على الأجرام الكونية(١٠٤) .

وقال الخليل بجواز ذلك من حيث صارت الأشياء عندهم تؤمر وتطيع ، وتفهم الكلام وتعبد ، بمنزلة الآدميين» (١٠٥).

---

(١٠٢) إعراب القرآن للنحاس ٤٠٧/٣ .
(١٠٣) مجاز القرآن ٩٣/٢، والبيت للنابغة الجعدي راجع مجاز القرآن هامش، ٢٦٧، الكتاب ٤٧/٢
(١٠٤) نفسه ١٦٢/٢ .
(١٠٥) راجع : الكتاب ٤٧/٢ ، ٤٨ .

خاتمـــــة

اتضح من ثنايا هذا البحث استغلال النحاة والمفسرين للسياقين اللغوى والحالى فى تفسير مرجع الضمير وتحديده ؛ فأسهم السياق اللغوى فى ذلك وتمثل فى عودة الضمير إلى المصدر المفهوم من فعل مذكور فى السياق ، أو من وصف سابق لذلك الضمير ، أو العود إلى كلمة سبق ذكرها فى آية من آيات السورة أو فى موضع اخر من القرآن ، أو على مرادف لكلمة فى السياق أو على لفظ تلك الكلمة دون معناها .

وتحكم المعنى كثيراً فى عودة الضمير حتى إنه قد يعود الضمير إلى كلمة فى السياق ويقدرون المرجع له من المعنى ، لكنهم اختلفوا حول المرجع باختلافهم حول المعنى وتعددت المراجع للضمير الواحد حسب فهم النحاة بل إنهم قد يعددون مرجع الضمير بمراجع تدور حول معنى واحد فى أصله ، من مثل ما قالوه حول آية الأنفال (٦٠) وآية يوسف (٩) .

وقد يذكر اسمان فى السياق اللغوى ويعود الضمير إلى أحدهما وهنا يلجأ النحاة والمفسرون إلى تفسيرات نحوية وأخرى دلالية فى تحديد مرجع الضمير ، وقد تجرهم تلك التفسيرات الدلالية إلى اللجوء إلى ظروف خارج النص القرآنى هى سياق الحال فيحكمونها فى المرجع .

وأول ما بدا من لجوئهم إلى سياق الحال اهتمامهم بالتفسير العام أو الدلالة العامة لتحديد المرجع ، ثم محاولة إعادة الضمير إلى شخص أو شىء بعينه ، أو مجموعة من الأشخاص أو الأشياء ، واختلفوا فى تحديد تلك المراجع الخارجية وتعددت أقوالهم ، وربما لجئوا إلى المرجع الخارجى والمرجع ظاهر فى لفظ الآيات . وربما كان ما يعود عليه الضمير شيئاً عاماً لانحتاج إلى تقديره .

وإذا كان الدكتور طه حسين قد ذهب إلى جعل تلك الضمائر أسماء إشارة، فإننا نجد اسم الإشارة يحتاج إلى مرجع أيضاً بحث عنه النحاة واستعانوا فى ذلك بالسياقين اللغوى والحالى .

وكان للسياقين اللغوى والحالى دورهما فى حل مشكلة مخالفة مطابقة الضمير لما يعود عليه فى العدد والنوع ، وكذلك عودة ضمير العاقل إلى غير العاقل وقد أوضح البحث أقوال المفسرين فى ذلك وخلافاتهم .

وكان للقراءات أيضاً دورها فى تفسير مرجع الضمير ، ومطابقته وقد بين البحث ذلك فى موضعه .

ومما سبق يتبين أن هذه الدراسة قد وصلت إلى هدفها وأجابت عن الأسئلة التى بدأت بها فكشفت عن دور السياقين اللغوى والحالى فى تقدير مرجع الضمير .

المصادر والمراجع

١- أحمد مختار عمر (دكتور)، وعبد العال سالم مكرم (دكتور) .

- معجم القراءات القرآنية ، مطبوعات جامعة الكويت ط١ ٨٢/١٩٨٥م .

٢- الأخفش (أبو الحسن سعيد بن مسعدة ٢١١ هـ) .

- معانى القرآن ، تحقيق فائز فارس الحمد ، الكويت ١٩٧٩م ط١ .

٣- ابن جنى (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢ هـ) .

- الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، دار الهدى ، بيروت ط٢ (د،ت) .

- المحتسب فى تبيين وجود شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٩ م .

٤- حسن طبل (دكتور) .

- أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية ، توزيع مكتبة الزهراء ١٩٩٠م .

٥- أبو حيان الغرناطى (أثير الدين محمد بن يوسف ت ٧٤٥ هـ) .

- البحر المحيط ، دار الفكر ١٩٨٣م ط٢ .

٦- ابن خالويه (أبو عبد الله الحسين بن أحمد ت ٣٧٠ هـ) .

- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، مؤسسة الإيمان ، بيروت ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية (د.ت) .

٧- الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السرى ت ٣١١ هـ) .

- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، دار الكتاب المصرى اللبنانى ١٩٨٢م ط٢ .

- معانى القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبى، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٨م ط١ .

٨- الزركشى (بدر الدين محمد بن عبد الله ٧٩٤ هـ) .
- البرهان فى علوم القرآن ، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ١٩٨٨ م.
٩- الزمخشرى (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ) .
- الكشاف عن حقائق التنزيل ، البابى الحلبى ١٩٧٢م .
١٠- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ١٨٠ هـ) .
- الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية للكتاب ٦٦ / ١٩٧٧م .
١١- السيوطى (عبد الرحمن جلال الدين ت ٩١١هـ) .
- الإتقان فى علوم القرآن ، البابى الحلبى (د.ت) .
- همع الهوامع، تحقيق عبد العالم سالم مكرم وعبد السلام هارون ، دار البحوث العلمية ، الكويت ٧٧ / ١٩٨٠م .
١٢- طه حسين (دكتور) .
- من الشاطئ الآخر ، ترجمة عبد الرشيد الصادق محمودى ، بيروت ١٩٩٠م ط١.
١٣- عباس حسن .
- النحو الوافى ، دار المعارف بمصر الطبعة الخامسة .
١٤- عبده الراجحى (دكتور) .
- فقه اللغة فى الكتب العربية ، توزيع دار المعرفة الجامعية ١٩٧٢ م .
١٥- أبو عبيدة (معمر بن المثنى ت ٢١٠ هـ) .
- مجاز القرآن ، تحقيق د.محمد فؤاد شركين ، الخانجى ١٩٥٥ - ١٩٦٢ .
١٩- العكبرى (أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله ت ٦١٦ هـ) .
- التبيان فى إعراب القرآن ، تحقيق على محمد البجاوى ، عيسى البابى (د.ت) .
١٧- الفارسى (أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفارت ٣٧٧ هـ) .
- الحجة فى علل القراءات السبع، تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٣ جزءان .

١٨- الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمى ت ٢٠٧ هـ) .

- معانى القرآن .

- الجزء الأول تحقيق أحمد [illegible]سف نجاتى ومحمد على النجار ، هيئة الكتاب ١٩٨٠م .

- الجزء الثانى تحقيق محمد على النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د.ت) .

- الجزء الثالث تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٢م.

١٩- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ٢٧٦هـ) .

- تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨١م ط٣ .

٢٠- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ) .

- المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٩ م ط٢ .

٢١- محمد أحمد خضير (دكتور) .

- الدلالة والتركيب ، دار الزهراء للنشر ١٩٩٣ م .

- العلاقة بين المطابقة العددية والسياق ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، ديسمبر ١٩٩٣ م العدد ٦٠ .

٢٢- محمد عبد الخالق عضيمة .

- دراسات لأسلوب القرآن ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (د.ت) .

٢٣- محمد حسنين صبرة (دكتور) .

- مرجع الضمير فى القرآن الكريم ، دار الثقافة العربية - القاهرة ١٩٩٢م .

٢٤- النحاس (أبو جعفر أحمد بن إسماعيل ت ٣٣٨ هـ) .

- إعراب القرآن ، تحقيق زهير غازى زاهد ، عالم الكتب والنهضة العربية ١٩٨٥م ط٢ .

٢٥- ابن هشام .

- مغنى اللبيب ، تحقيق د. مازن المبارك ، ومحمد على الحمد، دار الفكر، بيروت ١٩٨٠م ط٦ .

٢٦- ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن على بن يعيش ت ٦٤٣هـ) .

- شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت، مكتبة المتنبى بالقاهرة (د.ت) .

الفصل الرابع

السياق وتقدير المحذوف في روايات نجيب محفوظ

الفصل الرابع

السياق وتقدير المحذوف في روايات نجيب محفوظ

تهدف هذه الدراسة إلى تبين إمكانية تقدير المحذوف فى الرواية عند نجيب محفوظ ، والتعرف على طبيعة تلك المحذوفات . ووسائل تقدير المحذوف ، لقد قدر النحاة المحذوف فاتهموا بجريهم وراء تفسير العلامة الإعرابية، وقدر البلاغيون المحذوف وجعلوا من الحذف ميزة بلاغية لايتوصل بغيره إليها. من هنا كان تساؤلنا الذى نحاول أن نجيب عنه فى هذه الدراسة، هل يمكن تقدير المحذوفات فى نص روائى حديث دون الاعتماد على العلامة الإعرابية؟ وما وسائلنا فى تقدير المحذوف؟ وماذا وراء هذا التقدير ؟؟

واخترنا لهذه الدراسة مادة لغوية هى بعض روايات نجيب محفوظ حيث اقتصرنا على عينة من تلك الروايات تمثل – فى رأينا– مراحل إنتاجه المتعاقبة ، كما تمثل – من إنتاجه – فيما نعتقد اتجاهات متغيرة ، وهى الروايات : رادوبيس ١٩٤٣، وخان الخليلى ١٩٤٦، واللص والكلاب ١٩٦١، والكرنك ١٩٧٤، وأمام العرش ١٩٨٣ .

ولعله من الضرورى أن ننبه إلى ندرة الدراسات اللغوية لإنتاج نجيب محفوظ فى الرواية والقصة على السواء ، وإن وجدنا من ذلك نظرات متناثرة لم تكن مقصودة فى حد ذاتها.

لقد عرف القدماء للمعنى أهميته – كما عرفوا ذلك للفظ – وأنه هو المقصود من الكلام فـ– «كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد لفظه» (١). ومن هنا كان مدحهم للإيجاز إذ إن الهدف هو التعبير عن المعنى المقصود ، فإذا حدث ذلك بأقل الألفاظ فهذه هى البلاغة ، والتعبير عن المعنى المقصود فى البيت الواحد أفضل منه فى أكثر من بيت (٢). «ومن طلب أبواب الحذف والاختصار والانتقال من كلام

---

(١) مقدمة في أصول التفسير / ابن تيمية ص ٤٦

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق هاشم الشاذلي ، دار تحقيق التراث (د.ت) ، ١٧٦، ١٧٧.

انظر أيضاً : البلاغة للمبرد ، تحقيق د.رمضان عبد التواب ، دار الثقافة الدينية بالقاهرة ، ١٩٨٥، ص ٨٢ ، ٨٣ .

إلى كلام والانصراف عن الخطاب قبل استتمامه اجتزأ بظهور الغاية واستبانة المراد»[٣]، ذلك لأن النظر فى الإيجاز إنما هو إلى المعانى لا إلى الألفاظ[٤]، ، وقالوا «رب إشارة أبلغ من عبارة» [٥]، وكذلك «خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل» [٦]، وقالوا إن الإعجاز فى الإيجاز نهاية الإعجاز[٧]، ووصفوا البلاغة بأنها لمحة دالة [٨]، بل إن البلاغة عند ابن المقفع إنما هى «اسم لمعان تجرى فى وجوه كثيرة، منها ما يكون فى السكوت ومنها مايكون شعراً ومنها مايكون سجعاً فعامة مايكون من هذه الأبواب فالوحى فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ ، والإيجاز هو البلاغة»[٩].

لكن أكان الإيجاز كل البلاغة أو كانت البلاغة كلها إيجازاً ؟ لقد قيل لأحدهم[١٠] «أكانت العرب تطيل ؟ فقال نعم لتبلغ ، وقيل أفكانت توجز ؟ قال نعم ليحفظ عنها»[١١] فالبلاغة إذن لم تكن فى الإيجاز وحده ، بل كانت فى الإطالة أيضاً، ولقد ارتبط مصطلح الإيجاز عند البلاغيين بمصطلحين آخرين هما الإطناب والمساواة، وارتبطت المصطلحات الثلاثة بمقتضى الحال أو المقام ، فلكل من هذه الأساليب مقامه الذى يستعمل فيه[١٢]، هذا المقام يرتبط بالمتكلم والمخاطبين والموقف

---

(٣) الوساطة ٤٠٣ .

(٤) المثل السائر لابن الأثير ، تحقيق د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانة ، نهضة مصر ط٢، (د.ت) ، القسم الثاني ص ٢٥٥ .

(٥) الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدي ، بيروت ط٢، عن طبعة دار الكتب ٨٠/١ .

(٦) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، تحقيق د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٢، ١٩٨٤ ، ص ٨٣ .

(٧) فن البلاغة : د. عبد القار حسين ، مكتبة الآداب (د.ت) ، ص ١٩٢ ، انظر أيضاً : من قضايا اللغة والنحو : علي النجدي ناصف ، نهضة مصر (د.ت) ، ص ٨٣، ومابعدها .

(٨) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، تحقيق د. عبد المنعم خفاجي ، الكليات الأزهرية ، ط١، ١٩٨٠، ص١٥٤، ١٥٥، إعجاز القرآن الباقلاني علي هامش الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، طبعة الحلبي (د.ت) ١٥٦/١ ، ١٥٧ .

(٩) كتاب الصناعتين ٢٣، وانظر أيضاً صفحات ٤٨، ٥٠، ٥٨ .

(١٠) ذكره ابن جني باسم أبي عمرو ، وأشار المحقق في فهرس الأعلام إلي أنه أبو عمرو بن العلاء، انظر : الخصائص ٣٧٠/٣ .

(١١) الخصائص ٨٣/١ .

(١٢) نقد النثر (المنسوب لقدامة بن جعفر) ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٢، ص ٩٦،٩٧،١٠٣ (وقد نشر هذا الكتاب مرة أخري باسم «البرهان في وجوه البيان» ، تحقيق د.حفني محمد شرف ، ونسبه إلي ابن وهب الكاتب ، مكتبة الشباب) ، وانظر : الصناعتين ، ص ٢١١ ومابعدها.

والظروف ، ففنون الكلام تتنوع بحسب الموقف والمستمعين وهذا ما نجده عند ابن قتيبة في قوله : «فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلاماً فى نكاح أو حمالة[١٣] أو تحضيض أو صلح أو ماأشبه ذلك – لم يأت به من واد واحد ، بل يفتن : فيختصر تارة إرادة التخفيف ، ويطيل تارة إرادة الإفهام ، ويكرر تارة إرادة التوكيد ، ويخفى بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين ، ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعجمين، ويشير إلى الشيء ، ويكنى عن الشيء ، وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال، وقدر الحفل ، وكثرة الحشد ، وجلالة المقام»[١٤].

وما أشار إليه البلاغيون بمقتضى الحال أو المقام وأوضح جوانبه ابن قتيبة فى هذا النص، إنما هو السياق الخارجى أو سياق الحال أو سياق المقام وهو ماعرفه مالينوفسكى وفيرث بمصطلح Context of Situation ويتضمن عند فيرث مايلىَ:

١– شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما (الثقافى) وشخصيات من يشهد الكلام غيرهما ودورهم .

٢– العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوى لمن يشارك فى الموقف الكلامى كحالة الجو إن كان لها دخل وكالوضع السياسى وكمكان الكلام وزمانه .

٣– أثر الكلام فى المشتركين ، كالاقتناع أو الرفض أو الألم أو الإغراء أو الضحك الخ[١٥].

وقد عرف النحاة والبلاغيون قبل ذلك سياقاً آخر هو السياق اللغوى وهو يختص – عند المحدثين – بالعلاقات التى تنعقد بين العناصر اللغوية نفسها سواء أكانت كلمات أو جملاً ، فهو معنى بالعلاقات الواقعة داخل اللغة inrta Liguistics[١٦].

لقد قسم علماء اللغة المحدثون السياق إلى أنواع وصلت عند أحدهم إلى أربعة هى السياق اللغوى ، والسياق العاطفى ، وسياق الموقف ، والسياق الثقافى[١٧]. لكننى

---

(١٣) الحمالة (بالفتح) : ما يحتمله الإنسان عن غيره دية أو غرامة مثل أن تقع حرب بين فريقين تسفك فيها الدماء ، فيدخل بينهم رجل يتحمل الديات ليصل ذات البين ، انظر اللسان (حمل) .

(١٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، تحقيق السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، بيروت ط ٣، ١٩٨١، ص١٣ .

(١٥) علم اللغة للسعران ٣٣٩ ، ٣٤٠، دراسات في علم اللغة : د.كمال بشر ، ١٧٣/٢ ، وانظر أيضا Semantics, Lyons Vol.2 pp. 607 - 610.

(١٦) بالمر : علم الدلالة٥٢ .

(١٧) علم الدلالة : د. أحمد مختار ٦٩ .

أفضل التقسيم الثنائى للسياق إلى سياق لغوى وهو ماعرفناه فيما سبق، والسياق غير اللغوى ويشمل الأنواع الثلاثة الأخرى وهى كلها تندرج تحت ماسماه فيرث سياق الحال وقد عرفناه أيضاً .

وقد كان للسياق بنوعيه أثر بالغ على التركيب وعلاقته بالمعنى ، وظهر ذلك فى عدة ظواهر تركيبة من بينها الإيجاز ، والإيجاز عند البلاغيين هو التعبير عن المعانى الكثيرة بالألفاظ القليلة دون الإخلال بالمعنى المراد [١٨]، وينقسم إلى نوعين :أحدهما إيجاز القصر أو الإيجاز بغير حذف ، والآخر إيجاز الحذف [١٩]، وإلتنبه إلى النوع الأول من الإيجاز يحتاج إلى جهد كبير – كما يقول ابن الأثير – إذ إنه لم ترسم حدوده كما فى النوع الثانى [٢٠]، وقد مثلوا له بقوله تعالى : (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب) البقرة ١٧٩ . وقالوا إنها ألفاظ قليلة لكنها تعبر عن معان كبيرة[٢١] .، وحاول ابن الأثير التفصيل فى هذا النوع من الإيجاز ، ومثل بأمثلة كثيرة كلها تقع تحت ما يطلق عليه «جوامع الكلم» ، يقول : (فغشيهم من اليم ماغشيهم) طه ٧٨ من جوامع الكلم التى يستدل على قلتها بالمعانى الكثيرة ، أى : غشيهم من الأمور الهائلة والخطوب الفادحة مالايعلم كنهه إلا الله ، ولايحيط به غيره»[٢٢] ، ولقد عرف النحاة ومعربو القرآن هذا النوع من الإيجاز ، لكنهم حاولوا تقدير المحذوف [٢٣].

أما النوع الثانى من الإيجاز فهو الإيجاز بالحذف ، وقد كان محور اهتمام النحويين والبلاغيين معاً ، ذلك أن الإيجاز بالحذف إنما يتطلب تقدير جملة محذوفة أو جزءاً من جملة لابد من تقديره ليتم المعنى المقصود ، وهذا مايهم النحويين والبلاغيين معاً ، أما الإيجاز بغير حذف فإنه يهم البلاغيين فى المقام الأول الذين امتدحوا أسلوب الإيماء والإشارة، كما سبق أن أوضحنا ، وليسوا مسئولين عن تقدير جمل محذوفة بعينها ، إنما هم يقدرون معانى كثيرة قد عبر عنها بألفاظ يسيرة . وقد النحاة – حتى فى تناولهم لأمثلة الإيجاز بالقصر – أو بدون حذف – البحث عن

---

(١٨) الإيضاح للقزويني ، ص ١٠٥ . إعجاز القرآن للباقلاني ٢/٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(١٩) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ٧٦، إعجاز القرآن للباقلاني ٢/٢٠٢،٢٠٣، المثل السائر ٢/٢٦٤، كتاب الصناعتين ١٩٥ ، وقد قسمه ابن الأثير إلي قسمين ، أحدهما : ماساوي لفظه معناه ويسمي (التقدير) ، والآخر مازاد معناه علي لفظه ، ويسمي القصر ، والحق أن القسم الأول (التقدير) لايفترق عن المساواة التي قال بها البلاغيون الآخرون .

(٢٠) المثل السائر ٢/٢٦٥ .

(٢١) الإيضاح ١٠٥ .

(٢٢) المثل السائر ٢/٣٣٦ .

(٢٣) انظر علي سبيل المثال : إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٢/١٩٢، عند قوله تعالي : (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم علي سواء) الأنفال ٥٨ .

المحذوف لأنهم يبحثون العلاقة بين النظر والتطبيق أو اللغة والكلام – كما يقول دى سوسير – أو المستوى السطحى والمستوى العميق – كما هو عند التحويليين ، حيث يقدرون فى المستوى العميق – الذى يرتبط بدوره بالدلالة – محذوفات لاتظهر فى المستوى السطحى (٢٤).

لقد تعدى طموح البلاغيين والنقاد النظر إلى الجملة المفردة ووصل بهم إلى اعتبار النص ككل موحد يربطه المعنى أو الغرض أو الأغراض المتشابكة فى النص ، لذا فقد أهمهم الإيجاز سواء كان بحذف أو بغير حذف أو كان إيماء أو إشارة أو إيحاء ، فإذا استطاعوا أن يقدروا المحذوف فبها ونعمت ، وإن لم يتيسر لهم ذلك ، ذهبوا إلى شرح معانى النص الكثيرة التى عبر عنها بألفاظ قليلة ، أما النحاة فكانت وحدة البحث عندهم هى الجملة بأركانها ومكملاتها وتوابعها ، فإذا غاب ركن من أركانها أو مكمل من مكملات أو تابع من توابعها قدروه محذوفاً ، ومن النحاة من بلغ به طموحه إلى تقدير الجملة محذوفة اعتماداً على المعنى والسياق ، ومنهم من قدر أكثر من جملة وحاول تفسير إيجاز القصر (أو الإيجاز بغير حذف) عن طريق تقدير محذوفات .

إذن فالحذف عند النحاة ينقسم إلى حذف الجملة ، وحذف جزء الجملة سواء أكان اسماً أو فعلاً أو حرفاً ، وحذف الجملة، وقد جاءت إشاراتهم إلى حذف الجمل قليلة بينما يفصل البلاغيون فى ذلك(٢٥).

نتناول فى هذا البحث حذف الجملة وحذف المفردات فى الروايات المذكورة على النحوالتالى :

أولاً : حذف الجملة :

جاء حذف الجملة فى اللص والكلاب فى حوالى عشرين موضعاً (٢٦)، يمكن أن نربط بين أمثلتها وبين النوع الأول من الإيجاز (وهو الإيجاز بغير حذف) حيث لايتيسر تقدير الجملة أو الجمل المحذوفة ، ومن أمثلة ذلك ما جاء فى لغة الحوار من مثل : «وقال المخبر فى لهجة لم تخل من سخرية : ابحث أولاً عن طريق مستقيم تأكل منه لقمتك ... » (٢٧).

---

(٢٤) انظر : النحو العربي والدرس اللغوي الحديث : عبده الراجحي ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٢٥) المثل السائر ٢/٢٦٩ .

(٢٦) انظر هذه المواضع في اللص والكلاب ، صفحات : ٢١ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٨، ٤٨، ٥٧، ٦٧، ٧٣، ٨٦، ٨٨ ، ٩١، ٩٥، ١٠٨، ١١٢، ١١٣، ١٢٠، ١٤٦، ١٦٧، ١٦٩ .

(٢٧) اللص والكلاب ٢١ .

فيمكننا هنا التفكير فى محذوف بعد لفظة «لقمتك» ، والدليل على ذلك أن معنى الكلام لم يتم ، وهناك دليل لفظى على المحذوف أيضاً وهو كلمة «أولاً» ، فهذه «أولاً» فأين «ثانياً» ، ؟ وكل هذا يتعلق بالسياق اللغوى ، أما السياق غير اللغوى أو السياق المقامى فنعرفه من ظروف الحوار وما يحيط به ، فسعيد مهران بطل الرواية قد ذهب ليأخذ ابنته للعيش معه وهو لايجد المأوى الذى يأوى إليه ، كما أنه لاعمل له الآن ، وقد كان عمله قبل دخول السجن هو اللصوصية فإلى أين يأخذ ابنته؟ وماذا يقدم لها ؟ هذا السياق المقامى قد يجعلنا نستطيع تقدير المحذوف وإتمام الكلام هكذا : «ابحث أولاً عن طريق مستقيم تأكل منه لقمتك ثم عد إلينا نعطيك ابنتك» .

لكن الكاتب تركنا نفكر نحن فى هذا المحذوف ونقدره فى أنفسنا بعد أن أحاط المحذوف بالظروف الدالة عليه سواء كانت من السياق اللغوى أو غير اللغوى .

ومثل ذلك – فى الكرنك – لايجوز لأحد أن يشك فى ذلك .

ومع ذلك ..؟ ومع ذلك .. ؟! [٢٨].

ومن الصعب تقدير المحذوف بعد (ومع ذلك ..؟) وهو المستفهم عنه إلا باسترجاع الموقف الكلامى كاملاً الذى يعود بنا صفحات قبل هذا الكلام .

ومن ذلك أيضاً ما جاء فى الحوار الداخلى (المونولوج) . فسعيد مهران يتحدث إلى نفسه قائلاً (حتى حبك لاتدرى عن صدقه شيئاً، كأنه رصاصة طائشة وكذلك...) [٢٩]، ومن الصعوبة أن نقدر المحذوف هنا .

على أننا نجد لغة الحوار تكاد تنفرد بحذف الجملة . وربما كان ذلك لأن الحوار فى الموقف الواحد كأنه جملة واحدة متتامة ، فإذا حذف منها شىء أتمه الجزء الظاهر، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما نجده من تكامل فى هذا الجزء من الحوار البوليس لايعجبه العجب! فتمتم سعيد :

– ولاالصيام فى رجب ...[٣٠] فالجملة الأولى هى حديث أحد المتحاورين ، ثم تممها سعيد بما يقتضيها من تمام وكأن الكلام كله لشخص واحد، وقد نفكر فى تقدير جمله أخرى يتم المعنى بعد لفظة (رجب) ، ولكنها حذفت أو استغنى عنها هرباً من التكرار ، أى : ولا الصيام فى رجب يعجبه .

---

(٢٨) الكرنك ٢٨ .

(٢٩) اللص والكلاب ١٠٨ .

(٣٠) نفسه ١٢٠ و ١٤٦ .

مثل ذلك يتكرر فى الكرنك مثل :

– الاعتقال فعل مخيف حقاً .

– وما يقال عما يقع للمعتقلين أفظع .

– شائعات يقشعر منها البدن .

– لاتحقيق ولادفاع .

– لايوجد قانون أصلاً [٣١] .

يمكننا بعد ذلك أن نقسم مواضع حذف الجملة إلى مايأتى :

١– حذف الجملة (المعمول) وبقاء العامل يدل على المحذوف ، وهو مما يلزم النحوى النظر فيه – كما يقول ابن هشام – لأنه تقتضيه الصناعة (أى : صناعة النحو)[٣٢]، ومن أمثلته فى (اللص والكلاب) : (ولكن..) [٣٣]، حيث حذفت الجملة بعد (لكن) ، نستطيع أن ندخل هذا المثال أيضاً فى مواضع الحذف مع العطف ، ومثل ذلك (ليكن ..) [٣٤]، حيث حذف اسم كان وخبرها إذا جعلناها ناقصة ، أو حذف الفاعل إذا كانت تامة بمعنى (ليحدث) .

ومثل ذلك فى الكرنك نجده فى :

(قلت معزياً :

– ولكن .

فقاطعتنى :

– إياك أن تدافع عنى)[٣٥] .

ويتضح من النص أن المقاطعة هى سبب حذف ما بعد (ولكن) . وتمام المعنى فى هذه الأمثلة مفهوم من السياق اللغوى ، وفى الوقت ذاته فإن هذا السياق هو الدليل على المحذوف ، فهو يرتبط بالمعنى مما يجعلنا نخالف ابن هشام فى قوله بارتباط الحذف بالصناعة وحدها .

(٣١) الكرنك ٢١، ولم ننقل الحوار كاملاً حتي لانطيل ، وإن كان يتم بعضه بعضاً ، وراجع أيضاً ص ٤٢،٣٥ .

(٣٢) مغني اللبيب ٦٤٩/٢ ، ٦٥٠ .

(٣٣) اللص والكلاب ٢٧ .

(٣٤) نفسه ١٦٧ .

(٣٥) الكرنك ٩٤ .

٢- ومثل ذلك حذف الجملة الفعلية (الفعل والفاعل) ، وقد علل ابن جنى هذا الحذف بشدة ارتباط الفعل بالفاعل ، فقال : «إنما تحذف الجملة من الفعل والفاعل لمشابهتها المفرد لكون الفاعل فى كثير من الأمر بمنزلة الجزء من الفعل ، نحو : شربت ويضربان ، وقامت هند، و﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ ﴾ آل عمران ١٨٦ . وحبذا زيد، وما أشبه ذلك مما يدل على شدة اتصال الفعل بالفاعل ، وكونه معه كالجزء الواحد ، وليس كذلك المبتدأ والخبر » (٣٦).

ومما جاء من هذا النوع فى (اللص والكلاب) :

- سعيد كيف حالك يارجل ، ومتى خرجت ؟

- أمس ....) (٣٧)، أى : خرجت أمس ، ودليل الحذف هنا هو وجود مادة الجملة المحذوفة نفسها فى السياق اللغوى (خرجت) ، وهو يحدث كثيراً فى سياق الاستفهام .

٣- كذلك حذفت الجملة الفعلية فى سياق التوكيد مع التكرار ، وذلك فى مثل (- قرأت كل جملة مرت بعقلك ، كل جملة)(٣٨) فتمام الكلام هو تكرار جملة (قرأت) ، لكنها حذفت هرباً من التكرار .

وهذا النوع من الحذف يشبه أمثلة التنازع عند النحاة ومن أمثلته القرآنية قوله تعالى : ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ الأحزاب ٣٥ .

ومن أمثلته الشعرية قول الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأى مختلف (٣٩)

٤- كذلك حذفت الجملة الشرطية فى سياق التعجب ، ومما جاء على ذلك :

(- إذا صح الافتقار إلى الله صح الغنى بالله..

---

(٣٦) الخصائص ٢/٣٦١ .

(٣٧) اللص والكلاب ٣٨ ، وانظر أيضا ٧٤ ، ٧٥ .

(٣٨) نفسه ٥٧ .

(٣٩) انظر : كتاب سيبويه ١/٧٤ ، ٧٥ .

- إذا) (٤٠).

وقد تحذف جملة الشرط بعد الأداة فى غير التعجب ، ومن أمثلة ذلك (-بيدك الأمر يارشدى ، فإذا توثبت للشفاء حقاً أمكن أن يظل السر سراً، أما .....) (٤١)، ومن الواضح أن السياق اللغوى يفسر المحذوف .

وقد يحذف جواب الشرط وحده ، ويدل عليه السياق اللغوى أيضاً فى مثل (المرآه القديمة لاتساوى مليماً ، أما السجادة ...) (٤٢)، وقد جاء هذا النوع من الحذف فى القرآن الكريم فى مثل ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ آل عمران ١٠٦ ، وقد قدرها معربو القرآن : فأما الذين اسودت وجوههم فيقال : أكفرتم(٤٣) مستدلين على ذلك بالمعنى وبعلم المخاطب .

٥- ومما تحذف فيه الجملة سياق الاستفهام والجواب ، وقد يكون الرد جواباً من مثل (فقال سعيد برقة : أنا واثق من أننى أخذت من وقتك أكثر مما يجوز ... قال رءوف بصراحة شمس يوليو : نعم ، فأنا مرهق بالعمل)(٤٤) أى نعم أخذت .

وقد تكرر ذلك كثيرا فى الروايات موضوع الدراسة سواء أكانت الإجابة بـ (نعم) أو (أجل)، أو (لا) أو (بلى) ، أو (كلا) (٤٥)، وكذلك إذ ظهر جزء من الإجابة فى مثل :

(- ماذا أنت فاعل ؟ إلى المصرف)(٤٦) و(.... أين تودعها؟ - على قلبى)(٤٧)، حيث يدل الجار والمجرور على المحذوف أو الظروف فى (- ومتى تتلقى نبأ الفوز ؟ حين الأصيل) (٤٨)، و(أبداً)(٤٩) ، أو اسم الفاعل (هيهات)(٥٠) ،

---

(٤٠) اللص والكلاب ٨٨ .
(٤١) خان الخليلي ١٩٥ ، وانظر أيضاً ص ٣١ .
(٤٢) نفسه ١٨٣ وقبل هذا الكلام يقول إن السجادة كلما مر بها الزمن غلا ثمنها.
(٤٣) معاني القرآن للفراء ٢٢٨/١ ، مجاز القرآن ١/١٠٠ ، ١٠١ ، معاني القران للأخفش /٢١١، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٦٥/١ .
(٤٤) اللص والكلاب ٤٨ وانظر ص ٩١ .
(٤٥) انظر علي سبيل المثال : رادوبيس ١٦٥،٢٦،٧١، خان الخليلي ١١٨،٨٥،٥٤، الكرنك ٧٠،٦٤، ٨٩،٨٨،٨٤،٧٦، أمام العرش ٥١ ، ١٦١،٩٤،٥٧ .
(٤٦) خان الخليلي ١٦٨ .
(٤٧) رادوبيس ١٦٦ .
(٤٨) نفسه ٢٠٣ ، وخان الخليلي ٢٥٠ .
(٤٩) الكرنك ١١٢ .
(٥٠) رادوبيس ١١٠،٧٦ .

أو المصدر (حقاً)[٥١].

وقد يكون الرد استفهاماً جديداً من مثل : (أرأيت أنك لاتفكر فى ؟ – لم ؟)[٥٢]، أى لم لم أفكر فيك؟ ومثل ذلك (– ولم لا ؟ [٥٣]، و (– له ؟)[٥٤]، و(– ووالدنا؟)[٥٥]، و(كيف ؟) [٥٦]، و(– إلى أين ؟) [٥٧].

وقد تقدر فى هذا الحذف الجملة الاسمية ، من مثل :

(ألا ترى أننى نافعة دائما؟

– دائما ، وكنت رائعة)[٥٨] ، أى : أنت نافعة دائماً .

أو الجملة الفعلية من مثل :

(متى يجيئون يامولاى ؟

– مع المغرب)[٥٩] أى يجيئون مع المغرب

وفى الحالتين يؤخذ دليل الحذف من السياق اللغوى ، حيث تدل (أنى نافعة) على المحذوف (أنت نافعة) فى المثال الأول ، وكذلك جملة (يجيئون) على المحذوف (يجيئون) فى المثال الثانى .

كذلك حذفت الجملة الاسمية التى كان المبتدأ فيها نكرة سوغ الوصف الابتداء بها فحذف المبتدأ والخبر وبقيت الصفة دليلاً على المحذوف فى المثال التالى (– نعم ، ولكن لم لايكون لى مأوى آخر؟

فقال وهو يطرق :– لو كان آخر ماجئتنى!) أى لو كان لك مأوى آخر فحذفت الجملة الاسمية ولم يبق إلا صفة المبتدأ (آخر) لتدل على المحذوف .

---

(٥١) الكرنك ٩٨ ، ١٠٣ .
(٥٢) اللص والكلاب ٦٧ .
(٥٣) خان الخليلي ٥٥ .
(٥٤) رادوبيس ٥٥ .
(٥٥) خان الخليلي ١٩٥ .
(٥٦) رادوبيس ٧١ .
(٥٧) نفسه ٢٣٦، خان الخليلي ١٨٤ .
(٥٨) اللص والكلاب ٧٣، وانظر رادوبيس ١٧٩ ، خان الخليلي ١٥٧ ، ١٥٨، ١٩٤ .
(٥٩) نفسه ٨٦ ، وانظر أيضاً صفحات ١١٣،١١٢،٩٥ رادوبيس ١٦٥،١٢٦، خان الخليلي ٥٥، ٨٥، ١١٨، ١٣٤ ، الكرنك ٩٤،٧٩،٧٦،٧٣، أمام العرش ١٦٢،٩٢،٥٧ .

وقد يسكت المخاطب عن الإجابة لأنها لا أهمية لها فى الموقف الكلامى ومن أمثلة ذلك :

(الملكة :- أغاضب أيضاً يامولاى ؟

فرعون :- كما ترين يانيتوقريس) (٦١)، أو لأن مايشغل المخاطب أهم من الإجابة ، فيرفض الإجابة المطلوبة ، ويجيب عليها بكلام آخر من مثل (وأجرى الدكتور الفحص ، فساد الصمت برهة غير قصيرة ، ثم قال بعد الانتهاء :- كلمة واحدة لأزيد عليها المصحة ! .

- ماذا به ؟

- المصحة !) (٦٢).

لقد أشار النحاة والبلاغيون إلى مثل هذه الحالات(٦٣) ، لكنهم لم يشيروا إليها كلها ولم يحددوها تحديداً قاطعاً ، لأنها تختلف باختلاف السياقين اللغوى والمقامى ، وهو ما اتضح تفصيلاً فيما سبق كما أن السياقين أيضا كانا هما الدليل على المحذوف دائماً وارتبطا بالمعنى واللفظ ، مما يشير إلى أهميتها فى القول بالحذف وبتقدير المحذوف على السواء .

ثانياً : حذف المفردات :

لقد تصور النحاة العرب أن «أصول الكلام جملتان ، فعل وفاعل ، ومبتدأ وخبر»(٦٤)، وتلك أركان الجملة الأساسية التى أطلق عليها سيبويه - قبل البلاغيين - المسند والمسند إليه، حيث يقول: «هذا باب المسند والمسند إليه ، وهما مالايغنى واحد منهما عن الآخر ، ولايجد المتكلم منه بداً ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنى عليه وهو قولك : عبد الله أخوك» (٦٥)، فهو هنا يشير إلى ركنين للجملة هما المسند والمسند إليه، وهذان الركنان يربط بينهما رابط هو معنى الإسناد(٦٦) .

---

(٦٠) اللص والكلاب ٩١ .

(٦١) رادوبيس ٢٤ .

(٦٢) خان الخليلي ٢٠٧ .

(٦٣) انظر مغني اللبيب ٢/٦٤٥ وما بعدها ، المثل السائر ٢/٢٦٩ وما بعدها، الإيضاح للقزويني ١٠٩ .

(٦٤) الأصول لابن السراج ٢/٢٨٧ ، وانظر كتاب سيبويه ١/٢٣ وهذا ما تدور حوله أقوال النحاة .

(٦٥) كتاب سيبويه ١/٧ .

(٦٦) النحو العربي ، نقد وتوجيه ٣١ .

والعنصران الأولان يعبران عن عدد من المعانى التى تمثل أفكاراً ، أما العنصر الثالث فهو يمثل العلاقة بين تلك الأفكار ، فإذا قلت : (الحصان يجرى) ففى ذهنى فكرة (الحصان) وفكرة (الجرى) ، وقد جمعت بينهما بالإثبات الذى هو (الحصان يجرى) [٦٧]، أى أن الجملة كما تتكون من ألفاظ فإنها تعبر عن أفكار أو معان ، فإذا غاب عنصر من عناصر اللفظ ، فإنه يقدر لإتمام المعنى ، و«فى كل جملة ينطقها الإنسان فائض Redundacy بمعنى أنه من الممكن حذف بعض أجزاء الكلمات أو بعض الكلمات الكاملة من الجملة دون أن يعطل ذلك مقدرة المستمع على فهم الرسالة التى تحملها الجملة»[٦٨] والاستغناء عن جزء من الكلام موكول بفهم المستمع للرسالة، فهو يستطيع أن يستكمل أركان رسالته من الألفاظ الظاهرة على السطح ، لأن الحدث اللغوى – كما يقول أولمان – «بالنسبة للمتكلم هو تعبير أو وسيلة لتوصيل أفكاره أو شعوره أو رغباته»[٦٩] ، والجملة لاتنتهى عند المسند والمسند إليه ، بل هناك المتعلقات أو المكملات أو الفضلات – مع اعتراضنا على مصطلح الفضلة – وهذه المتعلقات قد تكون المنصوبات أو المجرورات أو التوابع .

١– حذف المبتدأ :

حدد النحاة حالات حذف المبتدأ وجوباً وجوازاً ، واشترطوا لذلك الدليل على المحذوف ، وينقسم الدليل عند ابن هشام إلى نوعين : أحدهما صناعى – أى نحوى – والآخر غير صناعى وينقسم إلى مقالى : وهو مايعرف من تتابع ألفاظ الجمل ، والآخر مقامى (حالى) وهو يرتبط بالموقف الكلامى [٧٠]، ويرتبط الدليلان الصناعى والمقالى (اللفظى) بالسياق اللغوى ، بينما يرتبط الدليل المقامى (الحالى) بالسياق غير اللغوى .

ويندرج ما جاء من حذف المبتدأ فى الروايات موضع البحث تحت الحالات التالية :

(أ) حذف المبتدأ بعد القول أو ما يشبه القول ، ومن أمثلة ذلك : (وقال المخبر بضجر ودون اكتراث : أبوك ياشاطرة !) [٧١]، أى هذا أبوك ، و(قال رءوف : حكاية

---

(٦٧) اللغة لفندريس ١٠٤ .

(٦٨) أضواء علي الدراسات اللغوية ٢٨ .

(٦٩) دور الكلمة ١٩ .

(٧٠) مغني اللبيب ٦٠٣/٢ ، ٦٠٥ ، الكتاب ١٣٠/٢ ، همع الهوامع ٣٩/٢، ابن عقيل ٢٤٤/١ .

(٧١) اللص والكلاب ١٨ .

مؤسفة(٧٢) أي : هذه حكاية .

ومن أمثلة ذلك أيضاً (فأشار رشدى إلى مقبرة خشبية ذات فناء صغير .. وقال:- مقبرتنا !)(٧٣) أي : هذه مقبرتنا . مثل ذلك فى (الكرنك) (فنهض خالد قائلاً: - عظيم) أي: هذا عظيم)(٧٤) . وقد كثر هذا الحذف فى (أمام العرش) بعد فعل القول من مثل (فقال الملك مينا :- عمل مجيد)(٧٥) أي : هذا عمل مجيد . وكذلك بعد مايشبه القول من أفعال مثل : صاح ، ونادى ، وهتف، وقرأ (٧٦).

ويدل على المحذوف فى الأمثلة أنه أحد ركنى الجملة ولا يتم الكلام إلا به ، وقد جعل النحاة ما بعد القول جملة تامة تؤول بالمفرد ولها موقعها الإعرابى فإذا غاب أحد ركنيها قدروه محذوفاً ، يقول سيبويه : «وإنما يحكى بعد القول ما كان كلاماً لاقولاً»(٧٧) ، وقد اعتمدوا فى تقدير المحذوف بعد فعل القول على العلامة الإعرابية والمعنى معاً ، فإذا كان المذكور مرفوعاً فالمقدر إما مبتدأ أو خبر ، وإذا كان منصوباً فلابد أن يقدر الفعل والفاعل معاً(٧٨) وقد اعتمدنا فى تقدير المحذوف فى الأمثلة السابقة على العلامة والمعنى معاً ، وإذا كان النحاة قد لاحظوا مرادفات لفعل القول تستعمل نفس الاستعمال مثل (أوصى) ، و(أوحى)(٧٩) ، فإننا وجدنا أفعالاً أخرى فيما سبق تشبه فعل القول وإن لم ترد عند القدماء .

(ب) حذف المبتدأ فى جواب الاستفهام ، وقد كثر ذلك فى الروايات موضوع الدراسة، فقد يحذف حرف الاستفهام أو أداته التى هى فى موقع المبتدأ ، وقد يحذف الاسم - المبتدأ - فى جواب الاستفهام أيضاً ، وكل ذلك نجده فى النص التالى :

(- تسكنين وحدك ؟

- شارع نجم الدين وراء قرافة باب النصر

---

(٧٢) نفسه ٤١ .

(٧٣) خان الخليلي ١٥٦ ، وانظر ١٠ .

(٧٤) الكرنك ١١٠ .

(٧٥) أمام العرش ١٧ ، ١٣٦ .

(٧٦) نفسه ٦، ١١٧ ، ١٢٤ وانظر : رادوبيس ١٥ ، وخان الخليلي ٢٥ .

(٧٧) الكتاب ١٢٢/١ .

(٧٨) انظر معاني القرآن للفراء ٣٦٢/٢ ، ٢٩٦/١ .

(٧٩) معاني القرآن للفراء ١١٠/١ ، إعراب القرآن للنحاس ٢٦٤/١ ، ٨٣/٣ .

– رقمه ؟

– البيت الوحيد فى الشارع .) [٨٠].

فقد حذف حرف الاستفهام من الجملة الأولى (تسكنين) وحذف اسم الاستفهام (ما) من الجملة الثالثة (رقمه؟) ، وحذف الاسم (المبتدأ) من الجملة الأخيرة (هو البيت) ، وقبل أن يعجب المرء لهذه «التلغرافية فى الحوار التى تبلغ ذروة الاختصار فى سؤاله (رقمه؟) ، لابد أن يستنتج من ذلك مدى قرب البطل (سعيد مهران) من (نور) الشخصية الأخرى ، هذا القرب جعله يستغنى عن حرف الاستفهام ، كما استغنى عن غيره ، وقد فعل ذلك أيضاً فى لقائه الانفعالى مع (بياظة) حيث ظن أنه يعرف مكان (عليش) ، وهذا ما يتضح فى الحوار التالى : (– لاأعرف ، ولاأحد يعرف ، انتقل من شقته عقب زيارتك لهم خوفاً من بطشك ، انتقل إلى روض الفرج... – عنوانه ؟)[٨١] .

ومثل ذلك ما جاء من حذف المبتدأ فى مثل :

(– لاتؤاخذينى ، فما اسمك إذاً . – نوال)[٨٢] ، ومثل ذلك

(– كم عمرك ياغلام ؟ .... اثنتا عشرة كأساً)[٨٣] .

وقد حذف المبتدأ مع حرف الاستفهام فى مثل (– ما هى إلا مصادفة يامولاى – مصادفة ؟)[٨٤] ، أى : أهذه مصادفة ؟.

وقد يحتمل النص أن يكون المحذوف المبتدأ أو الخبر فى مثل (– من ؟)[٨٥] أى : من الطارق ؟ .

(جـ) حذف المبتدأ فى الاستئناف ، وهو من المواضع التى يطرد فيها حذف المبتدأ – كما يقول عبد القاهر – حيث «يبدأون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره ، ثم يدعون الكلام الأول ويستأنفون كلاماً آخر ، وإذا فعلوا ذلك أتوا فى أكثر الأمر بخبرمن غير المبتدأ » [٨٦].

(٨٠) اللص والكلاب ٧٥ ، وانظر في ذلك أيضاً ٦٠،٦٤،٦٦،٩٤،١٢١،١٢٢،١٣٦،١٦٢ .
(٨١) نفسه ١٣٧ .
(٨٢) خان الخليلي ١٥٧،١٥٨، وانظر ١١٩ .
(٨٣) رادوبيس ١٦ ، وانظر أيضاً ٨٤،١٠٢،٢٤٠ .
(٨٤) نفسه ٣٥،٧٣ .
(٨٥) نفسه ٦٨ ، ١٠٠ .
(٨٦) دلائل الإعجاز ١٤٧ .

وقد جاء حذف المبتدأ فى الاستئناف كثيراً ، فقد حذف فى الحوار القصير ، من مثل (- رأسى دائر منذ خرجت من السجن، - كذاب)(٨٧) أى : أنت كذاب ومثل ذلك:

(- نحن شعب من الشحاذين

- شعب من الشحاذين) (٨٨)، وكما حُذف فى الحوار الطويل من مثل : (-بنتك فى الحفظ والصون ، وشرعاً يجب أن تبقى معَ أمها ، بنت ستة أعوام ، ومثله فى نفس الصحيفة (لم أتركها فى حاجة ، كانت لديها أموالى ، أموال طائلة) أى : هى أموال طائلة .(٨٩)

ومثل ذلك (- هذا رجل كما علمت .

- سعادة عجماوات ، سعادة الجهل والإيمان الأعمى ، السعادة التى يعيش الطغاة بفضل تملكها رقاب البلهاء)(٩٠) .

كما حذف أيضاً فى الحوار الداخلى (المونولوج) ، ومن أمثلة ذلك (- ولم يكن فيما مضى إلا محرراً بمجلة النذير ، مجلة منزوية بشارع محمد على) (٩١).

وكذلك حذف فى السرد فى مثل (ومضى إلى حجرة الجلوس فاستلقى على كنبة ، وحيد بكل معنى الكلمة)(٩٢) .

بل إن هذا النوع من الحذف قد كثر فى السرد بشكل ملحوظ . ومن أمثلته (لايخلو من لذة ، لذة دفينة (٩٣)، وكان الصباح ندياً رطيباً .... منظر تطمئن النفوس إليه(٩٤) .

وهذا يجعلنا نفترض أنه يرتبط بطول الكلام ، فهو يتدرج فى تصاعد كمى من الحوار القصير إلى الحوار الطويل ، الذى يقاس بطول الكلام للمتحدث الواحد ، إلى السرد وهو مايناسب الاستئناف .

---

(٨٧) اللص والكلاب ٥٦ ، وانظر أيضاً ١١،٥٩،٦١،٦٥،٨٦،٩٢،٩٦،١٢١،١٣٥،١٣٧ .

(٨٨) خان الخليلي ٨١ .

(٨٩) اللص والكلاب ١٥ ، وانظر أيضاً : ص ٨٧ ، ٩٩، ١٥٤ .

(٩٠) خان الخليلي ٦٨ .

(٩١) اللص والكلاب ٣٦ ، وانظر أيضاً ٣٤،٣٥،٤٢،٤٩،٨٢،١٠٧،١١٤،١٤٢،١٥٣ .

(٩٢) نفسه ١٠١ وانظر ٢٣ ، ٢٤ ، ١٠٠ ، ١١٩ ، ١٥١ .

(٩٣) خان الخليلي ١٤٢ .

(٩٤) نفسه ١٥٢ ، وانظر أيضاً : رادوبيس ٤٠ ، أمام العرش ١٢ ، الكرنك ٣ .

وقد حذف المبتدأ فى غير ذلك ، ولاضابط لحذفه إلا فهمه من السياقين اللغوى والمقامى ، وتلافى التكرار الذى لافائدة فيه (٩٥).

٢- حذف الخبر :

يحذف الخبر وجوباً فى حالات حددها النحاة فى كتبهم ، ويحذف جوازاً إذا دل عليه دليل من السياقين اللغوى والمقامى ، وهو مايهمنا فى هده الدراسة .

وقد جاء حذف الخبر جوازاً استغناء بدلالة السياق ووضوح المعنى المقصود فى الحوار ، من مثل : «سمعت أن الجنود يملأون مخارج القاهرة ، كأنك أول قائل ... الجرائد ... الحرب الخفية! »(٩٦) أى : الجرائد تكتب ، الحرب شنت .

كما جاء فى الحوار الداخلى (المونولوج) أيضاً فى مثل : «وكان الزمان ممن يستمعون لك ، الشعب السرقة ... النار المقدسة ... الثروة ... الجوع ... العدالة المذهلة» (٩٧).

وقد حذف الخبر فى السرد كذلك فى مثل (وصار دأبه بعد ذلك ذم النساء ورميهن بكل نقيصة ، فهن حيوانات ماكرة ... إنهن أجساد بلا روح ، وهن ... ، وهن ...)(٩٨) .

وفى هذه الأمثلة يتضح لنا أنه قد أمكن الاستغناء بكلمة واحدة وهى «المبتدأ» عن ذكر الخبر وهو المتم الفائدة كما يقول النحاة ، لأن تلك الفائدة يمكن استنتاجها عقلاً فلا حاجة لذكرها ، ونحن نتكلف كثيراً فى تقدير المحذوف .

أما الظاهرة الملفتة للنظر فى حذف الخبر عنده فهى وجود الجملة التى تبدأ باسم إشارة يتبعه اسم معرفة ، وفى بعض تلك الجمل نقطع بحذف الخبر ، من مثل :«هذه الطرقات المثقلة بالشمس، وهذه السيارات المجنونة، والعابرون والجالسون والبيوت والدكاكين ، ولاشقة تفتر عن ابتسامة» (٩٩)، وقد جاء ذلك فى المونولوج كما فى المثال ، وجاء أيضا فى الحوار (١٠٠)، ونستطيع فى مواضع أخرى أن نعد مابعد

---

(٩٥) انظر رادوبيس ١٣،٥٩،٦٨،١٠٥، خان الخليلي ١٠ ، ١٥٩،٢١٨، الكرنك ١٦،١٨،٤٠ .

(٩٦) اللص والكلاب ١٣٤ ، وانظر أيضاً ١٢٢،١٣٦،١٧١،١٧٩ .

(٩٧) نفسه ١٢٥ وانظر ص ٣٨ .

(٩٨) خان الخليلي ٣٨ .

(٩٩) اللص والكلاب ١٢٨ .

(١٠٠) نفسه ٧ ، ٨ .

اسم الإشارة الخبر ، من مثل : «وهذه الدكاكين التى تشرئب منها الرءوس كالفيران المتوجسة»[١٠١] ، فالاسم بعد اسم الإشارة «الدكاكين» يمكن أن نعده الخبر ويمكن أن نعده بدلا من اسم الإشارة والخبر محذوف ، وتظهر هنا أهمية ضمير الفصل الذى يستعمل لتمحيص هذا الاسم للخبرية ، ولو قال «وهذه هى الدكاكين .. إلخ» لكانت «الدكاكين» هى الخبر .

وقد جاء كذلك حذف المبتدأ أوالخبر مع النواسخ ، فمن ذلك حذف اسم (ليس) فى جواب الاستفهام ، ... من مثل :

(– من ياترى تستقر ؟

– ليس على سطح هذه الأرض) [١٠٢]، أى ليس استقرارى على هذه الأرض ويشبه ذلك إلى حد كبير ويكاد أن يكون جواباً للاستفهام أيضاً :

(– أنت تريد بيتاً ليس إلا ..

– ليس بيتاً فحسب)[١٠٣] ،أى : ليس ما أريده بيتاً فحسب .

ومثل ذلك حذف اسم (كان) فى (– كم كان عزيزاً لدى[١٠٤] . والمقدر هنا يفسره السياق اللغوى السابق.

وقد حذفت (كان) واسمها أيضاً فى مثل (– أين كنتم ياجماعة ؟ ... – فى نزهة ..)[١٠٥] أى : كنا فى نزهة .

كذلك جاء حذف خبر (لكن) فى مثل (بخير ، وأنت ؟ صحتك عال لكن عينيك ؟)[١٠٦] ، أى ليست كذلك .

وقد حذف خبرها أيضاً ، وعوض عنه بجملة طلبية ، فى (ولكن نور ، هل عادت ؟) [١٠٧].

---

(١٠١) نفسه ، انظر ٣٥ ، ٤٤ .
(١٠٢) نفسه ١٠ ، وانظر ٢٤ .
(١٠٣) نفسه ١٦٧ .
(١٠٤) رادوبيس ٤٧ ، ويفهم من السياق اللغوي أنه (صندلها) الضائع .
(١٠٥) الكرنك ٢٣ .
(١٠٦) اللص والكلاب ٢٨ ، وانظر : خان الخليلي ٦٤ .
(١٠٧) نفسه ٦٦ .

كما حُذف خبر (لعل) هرباً من التكرار فى (– لعلها الأحداث قد هزتها – لعلها..)(١٠٨) .

كما حُذف خبر (لا) النافية للجنس ، فى مثل : «لافائدة» و«لاشئ»(١٠٩) .

٣- حذف الفاعل أو نائبه :

لايحذف الفاعل ولانائبه ولامشبهه – عند ابن هشام – لأن هذه الاسماء كالجزء من الفعل (١١٠)، وقد ذهب الكسائى إلى جواز ذلك ورجحه السهيلى وابن مضاء ، ولم يأت حذف للفاعل ، ولكن جاء الاستتار مع الاعتماد على السياق فى فهم ذلك الفاعل المستتر ، ونجد أفعالاً فاعلها ضمير مستتر لايعود على اسم سابق له، فى مثل : (مرة أخرى يتنفس الحرية) وهى أول جملة فى (اللص والكلاب) ، كذلك «سواها لم يجد فى انتظاره أحداً»(١١٢) .

وقد يظهر الضمير المتصل (الفاعل) لكنه لايعود على مذكور قبله ، فى مثل : (وقبل ذلك بعام خرجت من العطفة تحمل دقيق العيد)(١١٣) ، وقد يأتى الضمير المجرور أو المنصوب أيضاً دون أن يعود على مذكور قبله من مثل : «وفى انتظاره بدلته الزرقاء»(١١٤)، كل هذه الضمائر لاتعود على مذكور من قبل ، لكن القارئ يعرف من أول وهلة أن هذه الضمائر كلها إنما تعود على بطل الرواية الذى لم يذكر اسمه إلا حين يناديه أحد الناس بعد ذلك «بياظة»(١١٥) ، أما إذا كان فى الأمر لبس ويصعب تحديد الفاعل ، فإنه يظهر ليرفع ذلك اللبس ، وقد حدث ذلك عند لقاء سعيد مهران بالشيخ :«وأغمض الشيخ عينيه فكأنه نام»(١١٦) ، ولو لم يظهر الضمير «هو» لظن أن فاعل «ألف» الشيخ، وإذا كان قد أخر ذكر الفاعل (البطل) فإنه يفعل ذلك أيضاً مع غيره ، فهو لا يذكر اسم الشخصية بل يتحدث عنها ثم يذكر الاسم على لسان

---

(١٠٨) الكرنك ٧٣ .

(١٠٩) اللص والكلاب ١٦٠ ، وانظر : رادوبيس ٢٣٢ .

(١١٠) مغني اللبيب ٦٠٨/٢ .

(١١١) همع الهوامع ١٦٠/١ (السعادة) عن ظاهرة الحذف : طاهر سليمان حمودة ، ص ١٢١ .

(١١٢) اللص والكلاب ٧ ، وانظر ٢٣ ، ٣٤ ، ٦٩ ، ٩٦ .

(١١٣) نفسه ٩ .

(١١٤) نفسه ٧ ، ونجد ذلك دأبه ومنه ما جاء في ص ٢٤ (حدجه بعين .. إلخ) ، انظر علي التوالي نفس المصدر ٥٦، ٦٩ .

(١١٥) نفسه ١٠ .

(١١٦) نفسه ٢٩ ، وانظر أيضاً ٤٣ .

الآخر بالطبع [١١٧]، وقد يبنى الفعل للمجهول ، فيحذف الفاعل لينوب عنه المفعول [١١٨].

وهذه الوسائل كلها من إضمار الفاعل أو تأخيره أو عود الضمير على متأخر فى الذكر ، إنما هى وسائل تشويق استخدمها الأديب ببراعة فائقة .

٤- حذف الفعل :

قد يحذف الفعل وحده أو مع الفاعل وجوباً أو جوازاً ، وحذف الفعل مع فاعله وإن كان حذف جملة ، إلا أننا سندرسه هنا لأنه يبقى من الجملة المنصوب دليلاً عليه فلم تحذف الجملة كلها [١١٩].

ومن حذف الفعل وجوباً حذف عامل المفعول المطلق ، أو المصدر النائب عن فعله ، ومن أمثلته (– حمداً لله على سلامتك)[١٢٠] ، وقد كثر هذا الحذف ووضح فى ألفاظ كثيرة الاستعمال مثل (حقاً ، طبعاً ، سمعاً وطاعةً ، أهلاً وسهلاً ، شكراً) وغير ذلك كثير[١٢١] ، وهى ألفاظ محفوظة تقال كما هى ، يدخل فيها ألفاظ للأمر أو التحية، أو الموافقة ، أو الوعيد ، ويعربها النحاة مفعولات مطلقة لأفعال محذوفة وجوباً، أو كما يقولون : مصادر نائبة عن أفعالها ، ولايظهر الفعل قبل هذه الألفاظ ، وقد ظهر قليلاً فى هذه الروايات من مثل (فشربوا جميعاً هنيئاً) ، (وأكلوا هنيئا وشربوا مريئاً) ، و(أقدم المعذرةَ والأسفَ) [١٢٢].

أما عن حذف الفعل جوازاً فهو كثير ، وقد جاء بعد فعل القول وما فى معناه، ومن أمثلة ذلك (قال بهدوء :– سيجارة من فضلك) [١٢٣]، وعندما اعترض شخصان طريق سعيد مهران (قال أحدهما بلهجة ريفية ممدنة : قف .... ، وهتف الآخر : بطاقة الشخصية) [١٢٤]، أى : أخرج بطاقة الشخصية .

---

(١١٧) نفسه ٢٥،١٠ .

(١١٨) نفسه ١٣ ، ١٤ ، ٧٧ .

(١١٩) انظر : ظاهرة الحذف ٢٢٥ .

(١٢٠) اللص والكلاب ١٣ ، وانظر ١٥٧،١١١،٨٥،٦٦،٩٨،١٥ .

(١٢١) راجع رادوبيس ٤٤،٣٨،٢٨، خان الخليلي ٤١،٥ ، الكرنك ٩٨،٩٣،٨٩، أمام العرش ١٩٤،٩٧،٧٥ .

(١٢٢) رادوبيس ٤٨ ، خان الخليلي ١١٦ ، أمام العرش ٢٦ .

(١٢٣) خان الخليلي ١٣٨ .

(١٢٤) اللص والكلاب ١٦٠ ، وانظر ١٤٦،٧٠،٤٨ .

وقد حُذف فعل القول أيضاً ، فى مثل (ثم وهو يحدجه بنظرة باسمة :- لاحرب الآن !)[١٢٥] ، أى : ثم قال وفعل القول يحذف للتكرار ولكثرة الاستعمال ويفهم من السياق .

وللهرب من التكرار أيضاً يُحذَف الفعل فى العطف ، وقد قال النحاة بتقدير الفعل وهو مفهوم من السياق ، ومن أمثلة ذلك (آن للغضب أن ينفجر وأن يحرق ، وللخونة أن ييأسوا من الموت) [١٢٦]، أى : وآن للخونة ، ومثل ذلك (أما تسمع شيئاً ؟ فأجاب أحمد : بلى أزيز طيارات ..) [١٢٧]، أى : أسمع أزيز طيارات .

وقد حذف الفعل فى الاستفهام فى مثل (فقال المخبر بضجر : ادخلوا فى الموضوع واعفونا من اللف ... فتساءل سعيد بسخرية خفية : من أى ناحية ؟)[١٢٨] أى: ندخل من أى ناحية ؟ .

وكذلك حذف الفعل فى جواب الاستفهام ، من مثل (ياخبر ! متى خرجت من السجن ؟ – أول أمس)[١٢٩] ، أى : خرجت أول أمس .

ويسهم سياق الحال فى توصيل المعنى المراد بعد الحذف ، وهو يقوم دليلاً على المحذوف ، فى مثل (– تعال إلى الدكان لنشرب الشربات ! فقال بهدوء : فيما بعد ، عند العودة)[١٣٠] ، أى نشرب فيما بعد .

وقد يكون الموقف سبباً للحذف كأن يحدث ما يقطع الكلام مثل (ورجاؤه فى الأقراص الألمانية ، ولن ... ولم يتم أحمد راشد كلامه ، فقد قطعه دوى طلقة شديدة)[١٣١]، ومثل ذلك الحذف فى أسلوب التحذير للانفعال من مثل (– الهدوء ... ياهوه ! .. للغرزة آدابها)[١٣٢] ، ويرسم الكاتب الموقف الكلامى رسماً جيداً يجعلنا نستعيض به عن المحذوف .

---

(١٢٥) نفسه ٤٣، وانظر ٧٤،١١٥،٨٨ .

(١٢٦) نفسه ٨ ، وانظر ٢٤ ، ١٤٩ .

(١٢٧) خان الخليلي ٢٧ وانظر : الكرنك ٤٥، أمام العرش ٨ .

(١٢٨) اللص والكلاب ١٤ ، وانظر أيضا ٦ ، ١٠١،٦٦، الكرنك ١١٨،١٨ .

(١٢٩) نفسه ٧٣ ، وانظر ٧٦ خان الخليلي ١٩١ ، أمام العرش ١٤٥ .

(١٣٠) نفسه ١١ .

(١٣١) خان الخليلي ٧٠ .

(١٣٢) نفسه ١٧٨ ، أمام العرش ١٩٣ .

وتنفرد رواية (أمام العرش) – نظراً لاختلاف شكلها الروائى – بظاهرة فريدة هى تكرار حذف الفعل أو المبتدأ تكراراً نمطياً فى أول كل فصل بعد فعل من الأفعال المرادفة لفعل القول وهى الأفعال : نادى ، وهتف ، وصاح[133]، ومثل ذلك أيضاً حذف الفعل بعد القول قبل الجار والمجرور المتعلق به فى نهايات كثير من الفصول مثل (إلى مجلسك بين الخالدين)[134] ، وقد ظهر الفعل مرات من مثل (اذهب إلى مجلسك بين الخالدين) ، (اذهبوا إلى مقام التافهين) [135]، وهو دليل من السياق اللغوى على الفعل المحذوف .

٥- حذف المفعول :

أركان الجملة الأساسية عند النحاة هى المسند والمسند إليه ، أو الفعل والفاعل فى الجملة الفعلية ، والمبتدأ والخبر فى الجملة الاسمية ، أما ما يأتى بعد ذلك فهو فضله يمكن الاستغناء عنه ، ومن هنا لم يشترط النحاة الدليل لحذف تلك الفضلات إلا ابن جنى ، وقد عرف البلاغيون العلاقة بين الفعل والمفعول به لذا فالفعل هو الدليل على المحذوف ، ولم يجز النحاة حذف المفعول به إذا أخل ذلك بالمعنى المراد ، وقد قسم النحاة المفعول المحذوف إلى نوعين :

أحدهما : أن يحذف المفعول لفظاً ويراد معنى وتقديراً وهو ماسمى «الحذف اختصاراً» ، حيث يراد المحذوف لأن فى الكلام دليلاً عليه .

والآخر : أن يُجعَل بعد الحذف نسياً منسياً ، كأن فعله من جنس الأفعال اللازمة ، فهو لايراد ولا دليل عليه [136].

ولم يأت من النوع الأول «الحذف اختصاراً» مما حدده النحاة إلا الحذف بعد فعل المشيئة ، وجاء ذلك فى مواضع منها :

(– امكث طول العمر إن شئت)[137] ، أى إن شئت المكوث ، وقد دل السياق اللغوى على المحذوف ، ولم يذكر هرباً من التكرار .

---

(١٣٣) انظر : أمام العرش ١٥، ١٩، ٢٣، ٣٠ وغيرها .

(١٣٤) نفسه ٨٢ وانظر ٦٤، ٦٦، ٩٧ وغيرها .

(١٣٥) نفسه ١٠٤ ، ١٠٦ .

(١٣٦) انظر رسالتنا للماجستير بعنوان «قضايا المفعول عند النحاة العرب» ص ٣١٤، ومابعدها .

(١٣٧) اللص والكلاب ٩٦ ، ١٦٩ .

ومن أمثلة ذلك أيضاً (– مولاى ، إن الناس كالسفينة الضالة بلاسكان ، تحملها الرياح كيفما تشاء)(١٣٨) .

وقد حذف مفعول فعل الإرادة فى مثل (وقالت أريد....)(١٣٩) ، أى أريد قبلة ، وقد حذف المفعول هنا لتشويق المخاطب إلى معرفة المحذوف وهو مفهوم من السياق اللغوى فقد ذكرت حروف الكلمة مقطعة قبل هذا الكلام ، ومثل ذلك (فكيف إذاً أريد ، ولا أستطيع نيل ما أريد ؟)(١٤٠) ، فقد حذف المفعول بعد (أريد) الأولى للتنازع وهرباً من التكرار ، والتقدير (فكيف إذاً أريد نيل ما أريد ، ولا أستطيع نيل ما أريد) ، ولو قيل هكذا لكان كلاماً مملاً لافائدة وراءه ، وحذف بعد (ما أريد) الثانية عائد الصلة وهذا الحذف كثير لطول جملة الصلة .

ومثل ذلك حذف مفعول الاستطاعة من مثل (حسبك أن تتصور إن استطعت...) (١٤١) .

ومثل هذا النوع الثانى وهو «الحذف اقتصاراً» فقد كثر فى الرواية ، وفيه يقتصر المتكلم على إثبات معنى الفعل للفاعل من غير أن يتعرض لذكر المفعول ، فيكون الفعل المتعدى كاللازم ، ومن أمثلة عبد القاهر على ذلك قول الله سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ الزمر ٩ ، فالمعنى : هل يستوى من له علم ومن لاعلم له ؟ من غير أن يقصد النص على معلوم (١٤٢) .

وقد جاء من ذلك الحذف بعد فعل العلم أو المعرفة ، من مثل : «إنه وحيد حيال الجميع ولكنهم لايعلمون»(١٤٣) ، ومثل ذلك الحذف بعد الأفعال (رأى) البصرية ، و(نظر) وقد تكرر كثيراً (١٤٤) ، وكذلك الأفعال (سمع) و (استمع) و (تعى)(١٤٥) ، والأفعال (درى) ، و(أحب) ، و(خاف) ، و(أبان)(١٤٦) ، وكلها ، أفعال ترتبط بالحواس

---

(١٣٨) رادوبيس ١٨١ .

(١٣٩) خان الخليلي ٣٥ .

(١٤٠) رادوبيس ٢٤ .

(١٤١) الكرنك ٣٦ ، ٧٧ ، ، رادوبيس ١٧٧ .

(١٤٢) دلائل الإعجاز ١٥٤ .

(١٤٣) اللص والكلاب ١١٠، ١٣٦، ١٣٧ .

(١٤٤) انظر :رادوبيس ٤٠، ٦٣، ١٢٧، خان الخليلي ٥٦ ، ٢٥٨ .

(١٤٥) انظر : رادوبيس ٤٠، ١٢٦، ١٧٧ .

(١٤٦) نفسه ٧٤ ، ٩٠ ، ١٥٩ ، خان الخليلي ٣٤ ، ١٤٦ .

مثل العلم والمعرفة ، وتتعدى إلى مفعول واحد هو المحذوف فى الأمثلة المشار إليها .

وقد جاء هذا الحذف أيضاً بعد الأفعال التى تدل على العموم مثل (فعلت) ، و(عملت) ، من مثل (استدعانى الملك وأمرنى أن أضع كتاباً أجمع فيه مختارات من وصاياى ففعلت ...)(١٤٧) أى : فعلت ما أمرنى به ، وقد دل السياق اللغوى على المحذوف، ومثل ذلك (علينا أن نعمل ...)(١٤٨) ، وقد جمع بين الحذف بعد فعل المشيئة وبعد أفعال كثيرة تدل على العموم فى المثال التالى (متى يدين له عرش النفوذ اللانهائى ، فيأخذ ما يشاء ويدع ما يشاء ويبعث بمن يشاء ، فيرفع ويخفض ويغنى ويفقر ويحيى ويميت ؟) (١٤٩) .

كما جاءت أمثلة كثيرة حُذف منها المفعول ولا دليل عليه إلا تعدى الفعل ، إلا أن الفعل لو تعدى فإنه لايتعدى إلا إلى ذلك المفعول المقدر الذى لايفهم غيره فى التقدير ، وهذا النوع هو ما أشار إليه عبد القاهر فى القسم الثانى عنده حيث يكون للفعل مفعول مقصود إلا أنه يحذف من اللفظ لدليل الحال عليه، حين يقول : «وهو أن يكون معك مفعول معلوم مقصود قصده قد علم أنه ليس للفعل الذى ذكرت مفعول سواه ، بدليل الحال أو ما سبق من الكلام ، إلا أنك تطرحه وتتناساه وتدعه يلزم ضمير النفس » (١٥٠)، وعبد القاهر هنا يشير إلى السياقين : اللغوى وغير اللغوى (الحالى) .

والأمثلة على هذا النوع كثيرة منها ما كان الفعل – وحده – فيها دليلاً على المحذوف ، مثل : «علم أنكم تترقبون» ، «– أركب .. » ، «– كل .. »(١٥١) ، ومنها ما كان الفعل وسياق الحال فيها دليلاً على المحذوف ، ففى موضع من (اللص والكلاب) تتكرر الأفعال «خذ مصحفاً واقرأ » ، «توضأ واقرأ» أكثر من مرة(١٥٢) ، ثم يذكر المفعول بعد ذلك «توضأ واقرأ (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله)(١٥٣) » ، وقد يدل سياق الحال – أو الموقف – وحده على المحذوف فى مثل وأخذ نفساً قصيراً كالخائف ونونو يهتف به : (شد .. شد) (١٥٤)، حيث يدور الكلام فى القهوة مع من يدخن لأول مرة .

---

(١٤٧) أمام العرش ٢٠ ، الكرنك ٨٩ ، ٩٢ .
(١٤٨) الكرنك ٧٤ .
(١٤٩) خان الخليلي ٢٠ .
(١٥٠) دلائل الإعجاز ١٥٦ .
(١٥١) اللص والكلاب صفحات ١١ ، ٣٨ ، ٤٥ ، على التوالي ، وانظر أيضاً ٤٥،٥٤،٧٠،٧٨،٧٩ وغيرها كثير .
(١٥٢) نفسه ، صفحات ٣٠ ،٣٢ .
(١٥٣) نفسه ٣٢ ، وهي الآية ٣١ من سورة آل عمران .
(١٥٤) خان الخليلي ١٧٦ .

وكما يحذف المفعول الواحد فقد حُذِف المفعولان أيضاً فحذف مفعولا ظن فى قوله :

«- هل تدرى زوجتك أين أنت ؟

- لا أظن .. !

- هل أنت ذاهب إلى بيتك ؟

- لا أظن ..»[١٥٥] .

وأكثر النحويين على جواز حذف مفعولى ظن معاً ، سواء أكان اختصاراً أم اقتصاراً[١٥٦] ، كما هو فى المثال ، وحذف أحد المفعولين فى المثال التالى :

«وسألوا رءوف علوان فأجاب أن سعيد ..»[١٥٧] ، فقد حُذف المفعول الثانى لسأل (وهو الجار والمجرور - عن كذا) كما حذف المفعول الأول لأجاب ، أى فأجابهم، وقد دل على هذا المفعول المذكور فى «سألوا» ، مما قد يدرجها فى مسائل التنازع الذى يأتى فيه الحذف هرباً من التكرار .

وقد حذف المضاف المنصوب فى قوله : «ولا تنسى الجرائد»[١٥٨] ، أى : إحضار الجرائد ، كما حذف المجرور كذلك فى «استقطرها من جو الذكريات والأب والأمل والسماء»[١٥٩] ، ومثل ذلك (- لذلك لم تتعرض لك مجلة بسوء - حتى (المطرقة)[١٦٠] أى حتى مجلة المطرقة .

وقد دل على ذلك سياق الحال فى المثال الأول ، وجوز العطف الحذف فى المثال الثانى هرباً من التكرار .

٦- بقية المنصوبات :

- المفعول المطلق :

هناك مواضع يمكن تقدير المفعول المطلق فيها ، وإن كان الغرض من المفعول

---

(١٥٥) اللص والكلاب ٧٤ ، وانظر : الكرنك ٨٠ .

(١٥٦) قضايا المفعول به ٣٢٣ .

(١٥٧) اللص والكلاب ١٥٠ .

(١٥٨) نفسه ١٠١

(١٥٩) نفسه ٢٥ .

(١٦٠) الكرنك ٨ ، وذلك إذا جعلنا (حتي) حرف جر ، أما إذا جعلناها حرف عطف فالمضاف المحذوف مرفوع .

المطلق التأكيد ، وهو يليق بمواقف الإطناب والإسهاب[١٦١] ، ومن هذه المواضع :

«– أمس زرت عطفة الصيرفى فوجدت مخبراً فى انتظارى كما توقعت ، وأنكرتنى ابنتى وصرخت فى وجهى»[١٦٢] ، فيمكن تقدير صرخة .

المثال الثانى : « – كذاب لاتحاول خداعى ، أنت تتوهم أنى صرت واحداً من الأغنياء الذين كنت أحمل عليهم ، وعلى هذا الأساس أردت أن تعاملنى »[١٦٣]، أى معاملتهم .

وقد يحذف المفعول المطلق وتنوب عنه صفته فى مثل (لم يكن يحتمل الجمود طويلاً)[١٦٤] ، أى : احتمالاً طويلاً .

– التمييز :

كذلك حذف التمييز اعتماداً على السياق ، فى قوله : «هى – مثله – فى الثلاثين ولكنها تكذب علنا لتبدو أصغر أى : أصغر[١٦٥] سناً أو أصغر منه ، فيكون المحذوف الجار والمجرور .

٧– حذف المجرورات :

وكما حذفت المنصوبات فقد حذفت المجرورات أيضاً ، فحذف المضاف إليه ، فقد جاء الظرف وحذف ما يضاف إليه فى مثل : «وجاء صوت من وراء يقول...»[١٦٦] ، أى : من ورائه ومثل ذلك حذفه بعد غير فى (– هذا غير ..)[١٦٧] ، كما حذف الجار والمجرور معاً فى كثير من المواضع ، قد يدل الفعل على المحذوف ، فى مثل «دعه يدخل ، تفضلوا ...»[١٦٨] ، أى : بالدخول ، أو اسم الفاعل «أنا ذاهب»[١٦٩]، أى : إلى كذا ، أو المصدر «لم أتركها فى حاجة »[١٧٠]، أى : إلى شىء

---

(١٦١) الخصائص ١٢٦/١ ، مغني اللبيب ٦٠٨/٢ .
(١٦٢) اللص والكلاب ٤٠ .
(١٦٣) نفسه ٥٦ .
(١٦٤) خان الخليلي ٦ .
(١٦٥) اللص والكلاب ١٠١ ، وقد حذف المجرور أيضاً ، انظر ص ١٦،١٢ .
(١٦٦) نفسه ١٠ ، وانظر ١٠٨ .
(١٦٧) الكرنك ٦٧ .
(١٦٨) اللص والكلاب ١٣ وانظر ص ١٥٩،١٣٨،١١٣، ومثله (ـ تفضلا) خان الخليلي ٨٩ .
(١٦٩) نفسه ١١٨ .
(١٧٠) نفسه ١٥ .

والدليل هنا هو المصدر «حاجة» ، الذى يتضمن معنى الفعل «يحتاج» ، وهو بدوره يتعدى بحرف الجر «إلى» وقد حذف المجرور وحده فى مثل ، «وتساءل عن .. »[١٧١]، و(– إذاً ستعود إلى ..)[١٧٢] ، (– الحق أنى لاأتصور أنك مستمرة فى ..) [١٧٣]، يفهم المحذوف فى الأمثلة من السياقين اللغوى والمقامى .

٨– حذف التوابع :

كذلك حذفت التوابع ، فقد حذف المعطوف عليه ، فى مثل :

« – هل تذكرنى ؟ فغمغم الشيخ دون مبالاة : – ولك الساعة التى أنت فيها»[١٧٤] ، وما أجاز الحذف هنا ، هو أن الشيخ لم يرد عليه رداً مباشراً ، ولم يقل له «لم أتذكرك» ، ولكنه رد معناه «إنى لا أتذكرك كما لا أتذكر الماضى» .

ومن ذلك أيضاً : «قلت لنفسى إذا كان الله قد مد له العمر فسأجد الباب مفتوحاً..

قال الشيخ بهدوء : وباب السماء ، كيف وجدته ؟ »[١٧٥] ، أى : ها أنت قد وجدت بابى مفتوحاً فكيف وجدت باب السماء .

وقد حُذفت الصفة (النعت) فى قول رءوف علوان له :«يخيل إلىّ أن النساء أكثر عدداً من الرجال ، فلا تكترث لخيانة امرأة ، أما ابنتك فستعرفك يوماً وتحبك ، المهم الآن أن تبحث لك عن عمل»[١٧٦]، فإشارة رءوف إلى العمل تعنى أنه يقصد عملاً شريفاً وهذا نفهمه من سياق الحال والظروف التى لايعرفها إلا من عرف ما فعله سعيد مهران من قبل ، وقد دل على المحذوف التصريح به فى موضع آخر ، وذلك يتضح فى :

« – إذن علىَّ أن أختار عملاً حقيراً ؟

– لاعمل حقير على الإطلاق مادام شريفاً» [١٧٧].

---

(١٧١) نفسه ١٨٠ .

(١٧٢) خان الخليلي ١١٠ .

(١٧٣) الكرنك ١٠٢ .

(١٧٤) اللص والكلاب ٢٦ .

(١٧٥) نفسه ٢٧ .

(١٧٦) نفسه ٤٥، وانظر في حذف الصفة أيضاً ٥٧، ٩١، ١٤٤ .

(١٧٧) نفسه ٤٧ ، وانظر : رادوبيس ١٠ ، ١١ .

وكما حذفت الصفة فقد حذف الموصوف أيضاً مرفوعاً ومنصوباً ودل عليه سياق الحال فى مثل (ووضعت قدمها فى إحدى زوجى صندلها ، ولكنها لم تجد الأخرى ، وبحثت عنها طويلاً ، ثم سألت : – أين الأخرى ؟ (١٧٨)، والموصوفات المحذوفة على التوالى تتضح فى التقديرات التالية (لم تجد الفردة الأخرى) ، و(بحثت عنها زمناً طويلاً) ، و(أين الفردة الأخرى ؟) ويدل سياق الحال على المحذوف .

وقد عدل عن استخدام التوكيد فحذف المفعول المطلق كما أوضحنا ، ونجده يعدل عن التوكيد أيضاً فى قوله : (ولما لم يعد بينه وبين بدء الطريق إلا متر ، اندفع سعيد ..)(١٧٩) (، وكان من الممكن أن يؤكد فيقول :«إلا متر واحد» ، لكنه يلجأ إلى الإيجاز دائما ، والإيجاز يتنافى مع التوكيد كما قلنا آنفاً .

وقد حذف البدل أيضاً للاستغناء عن ذكره ولأنه مفهوم من الكلام من مثل (ولكن اذهب توّاً إلى الدكتور (...)(١٨٠) ومثل ذلك (– حدثنى عن موقفك من سياسة الملك ..)(١٨١) ، ومثل ذلك (– سترى أنه قريب الشبه بجده محتمساوف الأول – ما أجمل هذا)(١٨٢) .

أى : ما أجمل هذا الأمر وفى ذلك يفهم المحذوف من السياق اللغوى والمقامى .

٩- حذف الأدوات :

يبقى بعد ذلك حذف الأدوات ، وقد حذف حرف الجر فى سياق العطف ، فى مثل : «كتبت الجريدة فى إسهاب مثير عن تاريخه فى اللصوصية، وسلسلة المغامرات التى كشفت عنها محاكمته ، وقصور الأغنياء التى سطا عليها ، وعن شخصيته ، وجنونه الخفى وجرأته الإجرامية التى انتهت إلى سفك الدماء »(١٨٣) ، وما أجاز ذلك هوالعطف ووضوح المعنى المراد .

كما حذفت أدوات النداء لقرب المنادى فلا حاجة عندئذ لاستخدام الأدوات التى لاتستخدم إلا لتنبيه المخاطب ، وقد جاء ذلك كثيراً فى (رادوبيس) ، وتكرر فى (–

---

(١٧٨) رادوبيس ٤٣ ، وانظر ٥٢ .
(١٧٩) اللص والكلاب ١٣٥ .
(١٨٠) خان الخليلي ١٩٠ .
(١٨١) أمام العرش ١٣ .
(١٨٢) رادوبيس ٨ .
(١٨٣) اللص والكلاب ١٠٩ ، وانظر : ١١٠ .

مولاى ، – مولاتى ، – معبودتى ، – رادوبيس)(١٨٤) ، فحذف لقرب المخاطب ، ومثله (– نوال) ، (– أخى)(١٨٥) ، ومثل ذلك (وثالث قال بنبرة مسالمة : – سعيد ، أنت قادم من السجن والعاقل من اتعظ» (١٨٦) .

وحذفت أدوات الاستفهام ، وقد مثلنا لحذف الاسم فيما سبق ، ومن أمثلته أيضاً:

– حذف «أين» : «وسأل بصوته غليظ النبرات : الأستاذ رءوف علوان ؟ »(١٨٧) ، أى : أين .

– حذف « كيف » : « – وبقية الجدعان ؟

– بخير »(١٨٨) ، أى : كيف ، ودل على المحذوف الجار والمجرور (بخير) الذى هو الحال فى المعنى ، ومثل ذلك :

(– وكيف وجدتم المقام الجديد ؟ ...

– انتظر حتى تراه بنفسك .

– والجيران ؟!) (١٨٩) .

– حذف «ما» : وقد مثلنا لذلك فيما سبق (١٩٠) .

وقد حُذف حرف الاستفهام أيضاً ، ومن أمثلته :

« – تعالى إلى بيتى ..

– تسكنين وحدك ؟» (١٩١) .

ودليل الحذف هنا هو سياق الحال ، وقد وضعت فى الكتابة علامة الاستفهام لتدل على أن الكلام استفهام ، ولو كان الكلام منطوقاً لدل التنغيم على ذلك ، وقد حذِف حرف العطف كثيراً ، وإن قل حذفه فى الحوار ، فى مثل : «– أبى كان

---

(١٨٤) رادوبيس ١٦، ٢٨، ٦٤، وغيرها ، أمام العرش ٣٤ .

(١٨٥) خان الخليلي ٢٢٧ ، ١٦٨ ، وانظر الكرنك ٩٧ .

(١٨٦) اللص والكلاب ١٢ ، وانظر أيضاً ٣٨، ٤٦، ٦٤، ٨٨، ١٤٣، ١٦٦ .

(١٨٧) نفسه ٣٥ .

(١٨٨) نفسه ٦٠ .

(١٨٩) خان الخليلي ١١١ وانظر ١٠٨ .

(١٩٠) اللص والكلاب ٧٥ والمثال هو : «– شارع نجم الدين وراء قرافة باب النصر ... رقمه ؟ » أي : مارقمه .

(١٩١) نفسه ٧٤، وانظر أيضاً ٦٤، ٦٥، وخان خليلي ٧٠، ٩١، ١٠٩ .

يفهمك، كم أعرضت عني حتى خلتك تطردني طرداً »[١٩٢] ، وكثر في السرد والمونولوج ، حيث نجد جملاً كثيرة تتابع بغير عاطف ، ومن أمثلة ذلك في السرد، حذف حرف العطف فيما يلي : «دفع باب مسكن الشيخ فأطاع دون مقاومة ، دخل ورده وراءه ، وجد نفسه في الحوش غير المسقوف» [١٩٣].

ومن أمثلة ذلك في المونولوج : «الصوت الذي سمعه لم يكن صوت عليش سدرة ، الصوت الذي سمعه لم يكن صوت نبوية ، الجسم الذي سقط كان جسم شعبان حسين العامل بمحل الخردوات بشارع محمد علي ، سعيد مهران جاء ليقتل زوجته وصاحبه القديم فقتل الساكن الجديد شعبان حسين» [١٩٤].

وعلى حين قد حذف حرف العطف في هذه المواضع ، نجده يزيده في قوله : «وأن القيم الزائفة حقاً فهي التي تقدر حياتك بالملاليم» [١٩٥]، وهذه مسألة تحتاج إلى بحث آخر لا أظن أن هذا موضعه .

وأخيراً ، فإننا نستطيع أن نخلص من هذا البحث بالنتائج التالي :

١ـ أن تقدير المحذوف في كثير من حالاته لم يكن تعسفاً من النحاة ، بخاصة تلك الحالات التي لايرتبط فيها تقدير المحذوف بتبرير العلامة الإعرابية ، وأكثر ما قدرناه من هذا النوع .

٢ـ أن السياقين اللغوي وغير اللغوي قد أسهما في تقدير تلك المحذوفات وهما يرتبطان باللفظ والمعنى معاً ، وقد عرف النحاة أهميتها وعدوها أدلة على المحذوف أو قرائن تدل عليه ، وكان للسياقين أهميتهما في تحديد المحذوف ، وقد رسم الكاتب الموقف الكلامي ببراعة حيث كان تعويضاً عن المحذوف ، وكان من عناصره المقاطعات التي كانت تقطع الحديث فتحذف أجزاء منه [١٩٦]، ، وكذلك الهتافات وصيحات الانفعال [١٩٧]، ثم ما كان من حذف الأشياء المستهجنة أو

---

(١٩٢) نفسه ٣٧ .

(١٩٣) نفسه ٨٢، وانظر أيضاً ٢٣،٢٤،٢٦،٢٨،٣٦،٦٩،٧٠ .

(١٩٤) نفسه ٩٠ ، وانظر أيضاً ٣٣،٣٤،٧٨،٨٠،٩١،٩٢،١٢٨ .

(١٩٥) نفسه ١٥٣ .

(١٩٦) ومن أمثلة ذلك إلي جانب ما قدمنا (ومازالت تدور بالحجرات ، وتطوف بالحديقة حتي فقاطعها بحدة : ـ أين سيدتك ؟) رادوبيس ٢٣٠ .

(١٩٧) ومن أمثلته (واحدة سادة .. شاي أخضر .. تعميره علي الجوزة) ، خان الخليلي ٢٦ .

مايمكن أن نطلق عليها (التابو)من مثل (الشتم) فى (الله يخرب بيتك ويحرق قلبك ياابن ...)(١٩٨) ، والجنس(١٩٩)، والمرض (٢٠٠).

٣- يمكننا بعد ذلك وضع فرض علمى لايحققه إلا دراسة إحصائية لكل روايات نجيب محفوظ وهو أن الحذف تناسب كمياً وبترتيب تصاعدى من السرد إلى المونولوج إلى الحوار فالحوار الاستفهامى فارتبط فى ذلك كله بطول الجملة والوقت الذى يستغرقه الكلام ، فمن المعروف أن السرد يكتب على مهل يليه فى ذلك المونولوج الذى هو حوار داخلى بين المرء ونفسه ، ثم الحوار الاستفهامى الذى لا يقصد منه إلا الإجابة عن المطلوب بأقل الكلمات وطرح الأسئلة أيضاً شفوية بغير استفاضة ، وكان الكاتب طبيعياً فى محاوراته بحيث ارتبط الحذف بمعرفة المخاطبين بالجزء المحذوف وهو ما يعنى زيادة المحذوف بزيادة المعرفة بين المخاطبين(٢٠١).

---

(١٩٨) خان الخليلي ١٢ .

(١٩٩) ومن أمثلة ذلك (ـ ألم تسمع عنها بعد ؟ إنها امرأة هائلة وظيفتها الرسمية (زوج عباس شفة) أما تذكره ؟ أما بيتها فيستقبل كل مساء جمهرة أرباب البيوت بهذا الحي، فسماها المعلم رفته القهوجي (معشوقة الأزواج) ... ـ أتعني ...؟ ـ نعم ـ وعباس شفة؟ ـ زوج رسمي) خان الخليلي٩٦ .

(٢٠٠) ومن أمثلة ذلك (ولم يكف عني .. ولم يتم جملته ، فأدرك أخوه أنه أمسك حذراً عن ذكر «السعال» خان الخليلي ٢١٣ .

(٢٠١) ومن أمثلة ذلك ما كان من حذف في حوار سعيد مهران بطل اللص والكلاب وعشيقته (نور) ، وكذلك حواره مع صديقه (بياظة) وقد تقدمت تلك الأمثلة .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :(روايات نجيب محفوظ) .

١- رادوبيس ، مكتبة مصر (١٩٤٣م) .

٢- خان الخليلى ، مكتبة مصر (١٩٤٦م) .

٣- اللص والكلاب ، مكتبة مصر (١٩٦١م) .

٤- الكرنك ، مكتبة مصر (١٩٧٤م) .

٥- أمام العرش ، مكتبة مصر (١٩٨٣م) .

ثانياً : المراجع العربية والمترجمة :

١- ابن الأثير ، المثل السائر ، تحقيق أحمد الحوفى ، وبدوى طبانة ، نهضة مصر ، ط٢، (د.ت) .

٢- أحمد مختار عمر (دكتور) :

- علم الدلالة ، دار العروبة ، الكويت ١٩٨٢ م .

٣- الأخفش (أبو الحسن سعيد بن مسعدة ت٢١١ هـ) :

- معانى القرآن ، تحقيق د. فائز فارس الحمد ، الكويت ١٩٧٩ ط١ .

٤- أولمان (ستيفن) :

- دور الكلمة فى اللغة ، ترجمة د. كمال بشر، مكتبة الشباب ١٩٨٨ .

٥- الباقلانى ، إعجاز القرآن ، على هامش الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى طبعة البابى الحلبى (د.ت) .

٦- بالمر (ف . ر) :

- علم الدلالة (إطار جديد) ، ترجمة د. صبرى إبراهيم السيد، قطرى بن الفجاءة ، الدوحة، قطر ١٩٨٦م .

٧- ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير ، تحقيق محمود محمد نصار ، مكتبة التراث الإسلامى (د.ت) .

٨- الجرجانى (عبد القاهر بن عبد الرحمن ٤٧٤ هـ) :

- دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، الخانجى ١٩٨٤م .

٩- الجرجانى (على بن عبد العزيز) :

- الوساطة بين المتنبى وخصومه ، تحقيق هاشم الشاذلى، دار تحقيق التراث (د.ت) .

١٠- ابن جنى (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢ هـ) :

- الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، دار الهدى ، بيروت (د.ت) .

١١- الرمانى والخطابى وعبد القاهر الجرجانى :

- ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله أحمد ، ود. محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ١٩٧٦، م ط٣ .

١٢- الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم ابن السرى ت ٣١١ هـ) :

- معانى القرآن وإعرابه ، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبى ، عالم الكتب ١٩٨٨) .

١٣- ابن السراج (ابو بكر محمد بن السرى ت ٣١٦ هـ) :

- الأصول فى النحو تحقيق عبد الحسين الفتلى ، الرسالة ١٩٨٥ م ط١ .

١٤- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ١٨٠ هـ) :

- الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة العامة للكتاب ٦٦ - ١٩٧٧ م .

١٥- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١هـ) :

- همع الهوامع ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، وعبد السلام هارون ، دار البحوث العلمية ، الكويت ٧٧ - ١٩٨٠ م .

١٦- طاهر سليمان حمودة (دكتور) :

- ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى ، الدار الجامعية ١٩٨٢م .

١٧- عبد القادر حسين (دكتور)

- فن البلاغة مكتبة الآداب (د.ت) .

١٨- عبده الراجحى (دكتور) :

- النحو العربى والدرس الحديث ، النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩ م .

١٩- أبوعبيدة (معمر بن المثنى ت ٢١٠ هـ) :

- مجاز القرآن ، تحقيق د. محمد فؤدا سركين ، الخانجى ١٩٥٥ - ١٩٦٢ .

٢٠- العسكرى (أبو هلال) :

- كتاب الصناعتين ، تحقيق د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٤ م ط٢ .

٢١- ابن عقيل (بهاء الدين عبدالله بن عقيل ت ٧٦٩ هـ) :

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، دار التراث ١٩٨٠م ط ٢٠ .

٢٢- على النجدى ناصف ، من قضايا اللغة والنحو ، نهضة مصر (د.ت) .

٢٣- الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد ت ٢٠٧ هـ) :

- معانى القرآن تحقيق أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م) .

٢٤- فندريس (ج) :

- اللغة ، تعريب عبد الحميد الدواخلى ، ومحمد القصاص ، الأنجلو ١٩٥٠م .

٢٥- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى ت ٢٧٦ هـ) :

- تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، بيروت ط٣ / ١٩٨١ .

٢٦- قدامة بن جعفر :

- نقد الشعر تحقيق د. عبد المنعم خفاجى، الكليات الأزهرية ١٩٨٠م .

٢٧- القزوينى (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن) :

- الإيضاح ، مطبعة محمد على صبيح ١٩٨٢م .

٢٨- كمال محمد بشر (دكتور) :

- دراسات فى علم اللغة ، دار المعارف ، ١٩٧١م . ط٢ .

٢٩- المبرد

- البلاغة ، تحقيق د. رمضان عبد التواب ، دار الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٨٥ .

٣٠- محمد أحمد خضير :

- قضايا المفعول به عند النحاة العرب ، ماجستير بآداب القاهرة ١٩٨٧م .

٣١- محمود السعران (دكتور) :

- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربى) ، دار المعارف ١٩٦١م .

٣٢- مهدى المخزومى (دكتور) :

- النحو العربى ، نقد وتوجيه ، دار الرائد العربى ، بيروت ط٢، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م .

٣٣- نايف خرما (دكتور) :

- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت سبتمبر ١٩٧٨م رقم ٩ .

٣٤- النحاس (أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ت ٣٣٨ هـ) :

- إعراب القرآن ، تحقيق زهير غازى زاهد ، عالم الكتب والنهضة العربية ١٩٨٥م ط٢ .

٣٥- ابن هشام (جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصارى ت ٧٦١ هـ) :

- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة محمد على صبيح (د.ت) .

٣٦- ابن وهب الكاتب (أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان) :

- البرهان فى وجوه البيان ، تحقيق حفنى محمد شرف ، مكتبة الشباب ١٩٦٩م .

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

Lyons, John :

- Semantics, Cambridge University Press , 1977 .

الفصل الخامس

التقديم والتأخير في "حديث الأربعاء"

الفصل الخامس

التقديم والتأخير في «حديث الأربعاء»

تمهيد

التقديم والتأخير من المباحث المطروقة فى القديم والحديث ؛ وقد تناوله النحاة فى أبواب متفرقة من كتبهم عند دراستهم للمبتدأ والخبر والنواسخ والفاعل كما تناول البلاغيون أهمية التقديم وأغراضه التى فصلها عبد القاهر فى «دلائل الإعجاز» ، معتمداً فى البداية على قول سيبويه ، «كأنهم إنما يقدرون الذى بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم »(١) ، ثم زادها السكاكى والقزوينى وغيرهما تفصيلاً من بعده (٢)

ولقد حرص ابن السراج (ت٣١٦هـ) على إفراد باب من كتابه (الأصول فى النحو) للتقديم والتأخير(٣) ، وكذلك فعل ابن جنى فى (الخصائص) (٤).

أما المحدثون فقد اهتمو بالتقديم والتأخير أيضاً من الوجهة النحوية فيما عُرف عند التحويليين بقواعد إعادة الترتيب، «فلكل لغة ترتيبها الخاص ولكن المهم هو أن نعرف الترتيب فى البنية العميقة أولاً، ثم نبحث عن القوانين التى تحكم تحول هذا الترتيب إلى أنماط مختلفة فى الكلام الفعلى على السطح»(٥). واهتم به كذلك نقاد الأدب فيما عُرِف بعلم الأسلوب، وجاء ذلك فى أبواب من كتبهم أو فى أبحاث مستقلة(٦).

---

(١) الكتاب : ٣٤/١ .

(٢) راجع دلائل الإعجاز ١٠٧ ومابعدها ، مفتاح العلوم ١١١ ، الإيضاح للقزويني ١٦٦، المثل السائر ٢١١/٢ .

(٣) راجع : الأصول في النحو ٢٢٢/٢ وما بعدها .

(٤) الخصائص ٣٨٢/٢ وما بعدها .

(٥) النحو العربي والدرس الحديث ١٥٤ .

(٦) من ذلك : من أسرار اللغة / د. إبراهيم أنيس ، واللغة العربية معناها ومبناها . / د. تمام حسان ، ونظرية اللغة في النقد العربي / د. عبد الحكيم راضي ، والبلاغة والأسلوبية / د. محمد عبد المطلب ، ومقالة بعنوان (الترتيب في الجملة الاسمية) د. علي عبد العزيز سفر/ مجلة رسالة المشرق .

كما تناولت بعض الدراسات أسلوب طه حسين ، ومن أهمها دراسة للدكتور البدراوى زهران ، ودراسة الماجستير التى تقدم بها إسماعيل يونج إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة ، بإشراف الدكتور محمود فهمى حجازى ، ويفيد بحثنا هذا من هذه الدراسات إفادة مباشرة أو غير مباشرة .

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أنماط الجملة من حيث التقديم والتأخير فى الكتابة العلمية عند طه حسين متخذاً من حديث الأربعاء ، نموذجاً ، محاولاً تأصيل تلك الأنماط ، ومعرفة مافيها من تجديد إسهاماً فى الوصول إلى إبراز التمايز الأسلوبى لطه حسين فى كتابته العلمية .

وسيتبين البحث ذلك فى الجملة الفعلية أولاً ، ثم فى الجملة الاسمية ، فالجملة الشرطية ، ثم يتعرض للاعتراض والفصل فى الجملتين على اعتبار أنهما من أنماط التقديم والتأخير .

أولاً : *التقديم والتأخير في الجملة الفعلية* :

حدد النحاة ترتيباً أصلياً للجملة الفعلية ، حيث تبدأ بالفعل فالفاعل فالمفعول به ، كما حددوا الحالات التى يجب فيها المحافظة على الترتيب والحالات التى يجب فيها مخالفته ، والحالات التى يجوز فيها الأمران ، كما حددوا ترتيباً للمنصوبات الأخرى[٧] .

وقد جاءت أنماط مختلفة للجملة الفعلية فى «حديث الأربعاء»[٨] نعرضها فيما يلى :

١- أنماط المحافظة على الرتبة (الترتيب الأصلى) :

قد تتكون الجملة فى هذا الترتيب من الفعل والفاعل والمفعول به ، ويكون الفاعل ضميراً متصلاً أو اسماً ظاهراً من مثل : (تضيعون وقتكم ووقتنا - ١/١٠) ، و(فحاور امرؤ القيس عشيقاته، وحاور ابن أبى ربيعة أخدانه ، وحاور جميل بثينة ، وحاور كثير عزة، وحاور ابن ذريح لبنى - ١/٢٣٣) ، و(جمعت هذين الشاعرين ٢/٢٢٦) ، (فصلنا القول ٢/١٢٨) .

---

(٧) راجع : الكتاب ١/٥٨٠ المتقضب ١٠٢/٤ ، الجمل ١٠، شرح الكافية للرضي ٧١/١ ومابعده ، شرح ابن عقيل ٩٦/٢ ، همع الهوامع ٢٥٩/٢ ، شرح الأشموني ٣١٣/١ وما بعدها .

(٨) سنضع الأمثلة المأخوذة من «حديث الأربعاء» بين قوسين ونشير إلي الجزء والصفحة داخل الأقواس حتي لاتتضخم الهوامش بغير فائدة .

وقد يكون الفاعل ضميراً مستتراً من مثل (لايطيق حديثاً – ١/١٢) ، و(كما يفرض نفسه عليك ١/٥٥)، و(يحب الحرية ٣/٩٨) .

وقد تتكون الجملة من فعل وفاعل ومفعول به ومنصوب آخر ، ومن ذلك :

– فعل + فاعل + مفعول به + مفعول مطلق مثل (أحب قصيدة طرفة حباً –١/٥٦) (لعقرت هذه الناقة عقراً – ١/٥٨) ، و(اغتصبوها اغتصاباً – ٢/١٣٩) ، و(يمثل نفسه تمثيلاً – ٢/١٤٤) ، و(ثقفوا عقولهم تثقيفاً ٣/٩٧) ، ودرست الآداب العربية القديمة درساً ٣/٤١) .

– فعل + فاعل + مفعول به + مفعول له مثل (وإنما ترك البصرة قراراً من أميرها ٢/١٩٢) .

– فعل + فاعل + مفعول به + (مفعول فيه (ظرف) مثل فقدت استقلالها ألفى عام ٣/٩٨) ، و(لم تنس استقلالها يوماً – ٣/٩٨) .

– فعل + فاعل + مفعول به + تمييز مثل (ملأ نفسه إعجابا وملأ نفوس قومه إعجاباً – ١/٦١) .

وقد تبدأ الجملة بفعل يتعدى إلى مفعولين ، فيحافظ الكاتب على ترتيبهما سواء كان المفعولان مما أصلهما المبتدأ والخبر مثل :

(فجعلتها يسيرة –٢/١٤)، و(تجعلنى رجلاً ١/٥٦)، و(يتخذ الغزل صنيعة – ٢/١٧) ،و(يتخذ الشعر وسيلة – ٢/١٤٤) ، و(يروننى شاقاً –١/٥٦) ،و(وقد رآهم يتملقون –٢/١٤٤)، و(يراهم خطرا – ٣/٤١) ، و(هبه قد وجد حقاً – ١/٢٣٥) ، و(هبها ماتت حقاً –٣/٩٩) ، و(أظنه تكرر مائة مرة – ٣/٤٢) ، (نجده مستأثراً – ١/٢٣٢) ، و(يصور ناقته قائمة ١/٥٩) ، و(يصورها متحركة –١/٥٩) و (اصطنعوا الفرنسية لغة ٣/٣٣)، والفعلان (صور) ، و(اصطنع يدخلان فى أفعال التحويل وإن كان استعمالهما فى القديم قد يكون نادراً .

أو كان المفعولان مما ليس أصلهما المبتدأ والخبر من مثل (اخترت موضوعاً – ١/٥٥) ، و(لم أمنحه قصيدة لبيد ١/٦٥) ، و(ويمنحه مثل –١/٥٦)، و(يلقبونه وضاح اليمن ١/٢٣٣) ، و(تكلفوننا ضروباً من الجهد –١/١٠) .

وما نلحظه من الجمل السابقة هو أن الفاعل إما أن يكون ضميراً متصلاً أو مستتراً ، وقد يكون ذلك للتخفف من طول الجملة بعد إضافة هذه المنصوبات إليها وقد ساعده على ذلك السياق حيث يعرف الفاعل منه .

٢- الأنماط المخالفة للترتيب الأصلى :

أ - تقديم المفعول به على الفاعل :

قال ابن جنى إن «الأمر فى كثرة تقديم المفعول على الفاعل فى القرآن وفصيح الكلام متعالم غير مستنكره فلما كثر وشاع تقديم المفعول على الفاعل كان الموضع له، حتى إنه إذا أخر فموضعه التقديم » (٩)، وقال أيضاً إن «المفعول قد شاع عنهم واطرد من مذاهبهم كثرة تقدمه على الفاعل ، حتى دعا ذلك أبا على إلى أن قال : إن تقدم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه ، كما أن تقدم الفاعل قسم أيضاً قائم برأسه ، وإن كان تقديم الفاعل أكثر ، وقد جاء به الاستعمال مجيئاً واسعاً (١٠).

فتقديم المفعول به على الفاعل إذن شائع كثير حتى إنه يكاد يكون تقديمه وتأخيره سواء ، فلا يسأل عن سبب تقدمه على الفاعل ، ولكن الشرط الوحيد عند النحاة هو أمن اللبس ، أو بمعنى آخر أن يعرف الفاعل من المفعول به (١١). وهى قاعدة عامة فى ترتيب كلمات الجملة ، مما جعل الفراء يقول إن «العرب تضع الحرف (الكلمة) فى غير موضعه إذا كان المعنى معروفاً» (١٢).

وقد جاء فى «حديث الأربعاء» نمطان لتقدم المفعول به على الفاعل ، تكرر أحدهما كثيراً وهو : فعل + مفعول به (ضمير متصل) + فاعل (اسم ظاهر) من مثل (يصيبها المطر - ١/ ٢٠) ، و(يتعهدها البستانى ١/ ١٥) ، و(غطاه العشب - ١/ ٢٤) و(الجاهليون - ٢/ ١٥) ، و(فأغضبه هذا النقد -٣/ ١٢٥) ، و(لاتمنعه فلسفته ١٢٦/٣).

أما النمط الآخر ففيه يكون المفعول به اسماً ظاهراً والفاعل مصدراً مؤولاً ، وهو قليل من مثل (وبلغ الوليد أنها مغضبة - ٢/ ١٤٦) ، ومثله - وإن كان الفعل متعدياً إلى مفعولين (وزاده حرصاً على الزلة وتأثراً بالغيرة ما يرى من تمنع صاحبته وتجنيها -١/ ٢٤) ، إذا جعلنا (ما) مصدرية لاموصولة .

---

(٩) الخصائص : ١/ ٢٩٧ .

(١٠) نفسه : ١/ ٢٩٥ .

(١١) راجع : شرح ابن عقيل ٢/ ٩٩، وراجع أيضاً : المقتضب ٣/ ٩٥، شرح المفصل لابن يعيش ١/ ٧٢، شرح الأشموني ١/ ٣١٣ .

(١٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

ب – تقديم المفعول به على الفعل والفاعل :

مما قال النحاة بوجوب تقديمه فى ذلك الاسماء التى لها الصدارة مثل اسماء الاستفهام ، والشرط ، فإذا كان المفعول به من هذه الاسماء فإنه يجب أن يتقدم على الفعل والفاعل معاً [١٣] .

وقد جاء هذا النمط فى «حديث الأربعاء» ، وإن كان قليلاً ، حيث تقدم اسم الاستفهام على الفعل والفاعل فى مثل (وأى أثر تريد أن تتركه ١/٥٧) و(ماذا تفكرون من أمر عنترة – ١/١٤٥) .

جـ – تقدم المنصوبات الأخرى :

من ذلك تقدم ما له الصدارة سواء كان حالاً تقدمت على الفعل والفاعل مثل (فكيف تريدوننا على أن نجد فى هذا الشعر القديم – ١/١٠) ، و(وكيف تستطيع أن تفهم – ١/٥٨) ، و(فكيف يستقيم للشاعر أن يكون – ١/٥٨) ، و(كيف تقف الشاعر أمامك ١/٦٠) و(فاسمع له كيف يقول – ١/٦٣) أو كان المقدم ظرفاً من مثل (ومتى ماتت هذه الأمة ؟ –٢/١٤٢) .

ومن ذلك تقدم الحال من غير ما له الصدارة على المفعول به ، من مثل (وكان أبو عمرو بن العلاء يروى كارهاً جرير – ٢/٦) ، و(فلا بأس بأن نقبل ياسمين مايروى –١/١٤٥) .

ولقد اختلف النحاة حول تقدم الحال على عاملها ، أو على صاحبها [١٤]، وجعل ابن جنى تقدم الحال على عاملها وعلى صاحبها قياسياً ، ومثل لذلك بـ «جاء ضاحكاً زيد ، وضاحكاً جاء زيد [١٥]، لكن النحاة لم يمنعوا تقدم الحال على المفعول به كما جاء فى هذا النمط .

ثانياً : التقديم والتأخير في الجملة الاسمية :

مما نلحظه فى أسلوب طه حسين ميله إلى استعمال الجملة الاسمية ، حتى تبدو بعضها وكأنها متحولة عن الجملة الفعلية ، ولو وقفنا عند جمل مثل (فألفاظ ضخمة تنبو عنها أذنه –١/١١) لقلنا : لماذا لم تكن (تنبو أذنه عن ألفاظ ضخمة) ، ومثل

---

(١٣) راجع : المقتصد ١/٢٣٥، والإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٦٢٧ شرح ابن عقيل ٢/٢٩٧ شرح الأشموني ١/٣١٣ .

(١٤) راجع : شرح الكافية للرضي ١/٢٠٤ وما بعدها ، وشرح ابن عقيل ٢/٢٧٠ .

(١٥) الخصائص ٢/٢٨٣ .

ذلك (وهم يتخذون هذا وسيلة -١/٥٩) ، لماذا لم تكن (ويتخذون هذا وسيلة) ، وقد يكون هذا هو المستوى العميق الذى تحول عنه النمط ، ولكن ليس من حقنا أن نجعل الجملة الفعلية هى المستوى العميق لكل أنماط الجمل العربية ، ونبحث مثل هذه الجمل على أنها جمل فعلية فى عمقها تحولت إلى أنماط الجملة الاسمية عن طريق قواعد إعادة الترتيب التى قال بها التحويليون ، بل الجملة الاسمية قسم قائم برأسه ، وهو ماسنطرح أنماط التقديم والتأخير فيه فيما يلى :

١- أنماط الجملة الاسمية الابتدائية :

الأصل أن يتقدم المبتدأ على الخبر ، ويجب المحافظة على هذا الترتيب فى حالات ، كما يجب مخالفته فى حالات ، ويجوز الأمران فى غير ذلك ، وهو مفصل عند النحاة (١٦).

وقد جاء من ذلك أنماط فى «حديث الأربعاء» نعرضها فيما يلى :

أ - تقدم الخبر (الجار والمجرور) على المبتدأ النكرة حيث لامسوغ للابتداء بالنكرة ولا تقديم الخبر شبه الجملة ، وفى ذلك يقول ابن عقيل إن النحاة العرب قد أجمعوا على منع تقديم المبتدأ فى هذه الحالة(١٧).

مما جاء فى «حديث الأربعاء» من ذلك (له بالشعر علم - ١/٥٦) ، و(فله عشيقتان - ١/٢٣٤) ، و(ثم للوليد جد ١/١٤٦) ، و(فللويد شخصيتان ٢/١٤٧) ، و(التى لها حظ - ٢/٦) ، و(له حظ من الفن ١/٦٢) و(ما فيه جلال ومهابة - ٢/١٤٥) .

ب - فإذا وجد مسوغ آخر يجوز تقديم الخبر شبه الجملة ، ويجوز تأخيره (١٨)، وهو ماينطبق على النمط الثانى ، ومن أمثلته (وإنما هناك شعر قديم -١/١٨) ، و(فهناك قوم آخرون -١/٦٣) ، و(لهم قينة جميلة -١/٦٢) ، و(وفى تصوير هذه القينة ... جمال بدوى -١/٦٣) . فقد تقدم الخبر وهو ظرف أو جار ومجرور على المبتدأ الموصوف والوصف مسوغ للابتداء بالنكرة ، فيجوز حينئذ تقديم الخبر وتأخيره .

---

(١٦) راجع : الكتاب ٢/١٢٧ ، المقتضب ٤/١٢٧ ، الخصائص ٢/٣٨٢ ، الإنصاف ١/٦٥ ، المسألة التاسعة ، شرح ابن عقيل ١/٢٢٧ ، وما بعدها ، شرح الكافية للرضى ١/٨٨ وما بعدها ، همع الهوامع ٢/٣٢ وما بعدها .

(١٧) شرح ابن عقيل ١/٢٤٠ .

(١٨) نفس المرجع والصفحة .

جـ – تقدم الخبر (شبه الجملة) على المبتدأ المعرفة سواء كانت تلك المعرفة اسماً صريحاً مثل : (ومن هؤلاء الشعراء كثيِّر – ١٧/٢) ، و(وفيه مع ذلك الشعر ٢٢/١) و(فمن ذلك حياة قيس بن الملوح وليلاه ، ومن ذلك هذه الأخبار – ١٧/٢) ، (وفيه مع ذلك الشعر ٢٢/١) ، و(عليها الخيام –٢٢/١) ، و(لكل هذا نفعه – ٢٧٢/١) ، و(لهم شخصياتهم – ٢٣٢/١) ، و(على رأسهم أبو نواس ٨/٢) ، و(منها السياسى ، ومنها العصبى ، ومنها المبالغات العامية ٢٣٧/١) ، ومثل ذلك (وكذلك شأن الانتقام – ١٤٢/٢) إذا اعتبرنا الكاف حرف جر ، فإذا كانت اسماً بمعنى (مثل) فإنها تكون هى واسم الإشارة بعدها خبراً مقدماً أيضاً ؛ لأنها أقل تعريفاً مما بعدها .

أو كان المبتدأ مصدراً مؤولاً من مثل (فمن أيسر الأشياء أن نقف عند هذا الجزء – ٦١/١) ، (من الخير أن نهتم بهذه الحضارة الإسلامية ٢٣٣/١) .

على أن طه حسين أحب وأغرم بتقديم الجار والمجرور ، وجاء المبتدأ مصدراً مؤولاً مكوناً من (أن) و(اسمها) ، و(خبرها) كثيراً مثل (ومن الظاهر أن الجاهليين لم يعرفوا – ١٦/٢) و(وفى الحق أن هذا الفن الجديد كان مختلفاً – ١٦/٢) و(ومن آية ذلك أنك تستطيع – ٥٩/١) .

وقد يكون المبتدأ والخبر معرفتين فيؤخر المصدر المؤول ، كما فى قوله (وأكبر ظنى ياسيدى أنه لم يحفل بالناقة – ٥٨/١ ، ٥٩) ، وفى هذا النمط يمكن أن نعد الجملة على ترتيبها الأصلى ، حيث المبتدأ والخبر معرفتان ، أو أن نعد المصدر المؤول من (أنه لم يحفل) هو المبتدأ، والأولى المحافظة على الترتيب حيث لاضرورة للقول بالتقديم والتأخير .

وقد يكون المبتدأ المؤخر على الجار المجرور (الخبر) اسماً موصولاً من مثل (فمنا من يؤثر هذا الشعور (– ٤/٢) ، ولك من الوقت ماتشاء –٥٧/١) ، و(فمنهم من يزعم ... ومنهم من يزعم ... ومنهم من يحاول –٢٣٣/١) .

د – تقديم الخبر إذا كان لفظة (سواء) على المبتدأ إذا كان مصدراً متصيداً ، وأوضح الأمثلة على ذلك الآيتان الكريمتان ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة البقرة : الآية ٦) ، ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ (سورة الشعراء : الآية ١٣٦) وغيرها .

وقد جاء من ذلك فى «حديث الأربعاء»(سواء أوجهت إليه أم إلى غيره – ٦١/١)

على أن الجديد عند طه حسين هو مجيء المبتدأ المؤخر اسماً صريحاً من مثل (سواء منهم أبناء الجيل الواحد والذين اختلفوا جيلاً وعصراً –٢/٧) ، و(سواء فى ذلك منهم البادون والحاضرون –١/٢٣٤) ، وقد يعد المبتدأ المؤخر فى الجملتين مكوناً من جملة اسمية مكونة من جار ومجرور (منهم) خبر مقدم واسم صريح مبتدأ مؤخر ، ومع ذلك فطه حسين فى هذا النمط متأثر بالقرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ ﴾ (سورة الرعد : الآية ١٠) وإن كان المبتدأ فى الآية اسماً موصولاً .

هـ – تقدم الخبر (الوصف) على المبتدأ (الضمير المنفصل) فى مثل (أواثق أنت – ١٢٨/٣) ، وقد أجاز البصريون ذلك ما لم يحدث ضرر ، ونقل عن الكوفيين أنهم منعوا ذلك ، وقال ابن عقيل إنه لامانع من هذا التقديم (١٩) .

٢– الجملة الاسمية المنسوخة :

أ – المنسوخة بكان أو إحدى أخواتها :

– تقدم الخبر على الاسم :

أجاز النحاة تقدم الخبر على الاسم (٢٠)، واختلفوا فى تقدم خبر (ليس) و (مادام) على اسمها ، والصحيح – كما يقول ابن عقيل – جواز تقدم الخبر (٢١)، وقد جاءت أنماط فى «حديث الأربعاء نعرضها فيما يلى :

تقدم الخبر شبه الجملة على الاسم ؛ وقد يكون ذلك وجوباً أو جوازاً فتقدم خبر (كان) على اسمها وجوباً فى مثل (كان لها نصيب من الأدب ٣/٢) ، و(أن يكون لليمانية شعراء ٢٣٥/١) و (يكون لهم بالشعر علم ٥٦/١) ، و(لايكون له من الهجر به – ٢٢/١) ،و (كانت بينهما دعابة ٢٣٨/١) ، و(وكان بين هذين الرجلين المتناقضين شعراء ١٧/٢) ، و(وكانت حول الغلام خصومة ٢٣٤/١) ، و(أن تكون هناك ضحايا ١٣٩/٢) ، و(فكانت بينه وبين عمه ضغائن ١٤٠/٢) .

---

(١٩) راجع الكتاب ١٢٧/٢ ، المقتضب ١٢٧/٤ ، شرح ابن عقيل ٢٢٨/١ ، ٢٢٩ .
(٢٠) راجع : الكتاب ٤٥/١ وما بعدها ، المقتضب ٨٧/٤ ، ٨٩ .
(٢١) راجع الكتاب : ٦٤/١ ، ٦٥ ، المقتضب ١٩٤/٤ ، ١٩٥ . الخصائص ٣٨٢/٢، ٣٨٣ ، الإنصاف ٦٩/١ شرح ابن عقيل ٢٧٢/١، وما بعدها، همع الهوامع ٨٧/٢ ، ٨٨ .

وتقدم خبر (ليس) فى مثل (ليس لها حل ، وليس منها مخلص ٢/٧) و (ليس إلى وصالهما سبيل ٢/١٨) ،و(ليس فى هذا الموقف شىء ٢/١٨) و (ليس فى شفائها أمل ، ولا إلى إنقاذه منها سبيل ١/١٢) ، و(ليس فى هذا شك ٢/٥) وغير ذلك :

وتقدم خبر (أصبح) من مثل (فلم يصبح لنا فيه أرب ١/١٧) .

وتقدم خبر كان ، جوازاً فى مثل (وكان هناك شعراء آخرون ٢/١٦) (ولم يكن أمام الشعراء مثال أدبى ٢/١٢) ، و(كان هناك دين جديد ٢/١٥) ، و(لقد يكون من العسير تعليل هذا ٢/١٨) ، و(قد يكون فيه الشكوى ، وقد يكون فيه الوداع ١/٢٢) ، ولم يكن من العسير جداً تفسير هاتين الظاهرتين ٢/١٠) .

ومثل ذلك تقدم الخبر شبه الجملة على الاسم المصدر المؤول ، وجاء ذلك مع (كان) من مثل (ولقد يكون من الخير أن نعرف العلة ٢/٨) ، و(فكان من المعقول أن يتحقق التناسب ٢/٩) ، و(فلم يكن من اليسير على اليمانية أن تحتمل هذا ١/٢٣٧) ، و(كان من الخير أن نلاحظ ٢/١٨) و(كان من الحق أن نحتاط ٣/١٣٩) و(فما كان له أن يتكلف ٢/١٤٤) .

كما جاء مع (ليس) مثل : (فليس عسير أن ننكر - ١/٢٣٣) [٢٢]، و(ليس من اليسير (إذن أن نعطى ١/١٤٣) ، و(ليس عليك إلا أن تنظر فى كتب الأدب ٢/٧) .

كما جاء ذلك مع (أصبح) من مثل : (حتى أصبح من العسير عليك وعلى أمثالك أن تجدوا - ١/١٥) .

على أن طه حسين جاء بنمط لم نعهده فى النصوص العربية ؛ وفيه يتقدم خبر (كان) أو (ليس) ، وهو جملة فعلية فاعله اسم ظاهر ، على اسمها ، ومن أمثلة ذلك (لم يكن يذهب إليه الشعراء الأولون ١/٢٣٥) ، و(التى كان يتغنى بها الجنود - ١/٣٦) و (نوعان من الشعر لم يكن قد ألفهما الجاهليون - ٢/١٥) و (ربما كان يأتى هو ، وبما كان يأتى آباؤه - ٢/١٤١) و (ليست تستقيم لهم جميعاً هذه الخلال ١/٥٥) .

لقد قال النحاة بوجوب تقديم المبتدأ على الخبر ، إذا كان الخبر جملة فعلية فاعلها ضمير مستتر من مثل (زيد قام) ؛ لأن عكس ذلك يحول الجملة الاسمية إلى

---

(٢٢) هكذا في طبعة الكتاب والصحيح أنها : فليس عسيراً أن ننكر ، ولعله خطأ في الطباعة ، لأن (عسيراً) نكرة فهي الخبر ، أما المصدر الأول (إنكارنا) فهو الاسم .

فعلية ، وأجازوا تقدم الخبر إذا كان الفاعل اسماً ظاهراً فى مثل (زيدٌ قام أبوه) (٢٣).

لكن النمط الذى جاء به طه حسين يختلف عن ذلك ولانستطيع قياسه على إحدى الجملتين ، على أنا نرى أنه قد هرب بهذا النمط من تعقيد الجملة إذ قال مثلاً (نوعان من الشعر لم يكن الجاهليون قد ألفاهما) ، ولاعمل لـ (كان) فى هذه الجملة غير أنها تفيد معنى المضى ، ولاعمل لـ (ليس) غير أنها تفيد معنى النفى .

توسط (كان) أو إحدى إخواتها بين اسمها وخبرها :

تقدم اسم (كان) عليها وجاء بعدها الخبر ، وقد جاء ذلك مع (كان) (ليس) ، (مازال) ، وجاءت الجملة الكبرى التى تضمنت هذا النمط – غالباً – مبدوءة بـ (إن) أو إحدى أخواتها ، ومن أمثلة ما جاء مع (كان) ؛ إن هذا الشىء الجديد كان أقل ٩/٢) ، ولأن هذا المولد كان مجيداً – ٦/٢) ، و(إنه كان رجلاً ٢/١٤٣) ،(أن هذا التحرج كان دينياً ١/١٤٣)، و(ولكنها كانت تطيع ٢/١٤٦) ، و(وكأنها كانت تحب – ١٤٦/٢) .

ومثل ذلك مع (ليس) (لأن حملها ليس ممكناً –١/٢٠) ، و (على أن شاعرنا – كما قلت آنفاً ليس ضعيفاً – ٢٢/١) ، و(على أن تأثرة بهذه العواطف ليس مقصوراً عليه ١٩/١) و(ولكن حلها ليس مستحيلاً ٢٢٣/١) .

ومن الجمل التى لم تبدأ بـ (إن) ، أو إحدى أخواتها ، مع (كان) (يوشك أن يكون كاملاً – ٩/٢) ، و(وبين ما كان ينتظر له من التجدد –١٣/٢) ، و(ومن كان يقتصر لهم –٧/٢) ، (ما يمكن أن يكون صحيحاً ، – ٢٣٨/١) ، ومع (ليس) : (وهو على خطره ليس بالشىء الكثير – ٧/٢) ، و(فالفرق بينه وبين أبى نواس ليس بالقليل – ١٤/٢) و (فهو ليس صاحب لذة – ٦٣/١) ، و(شره ليس مقصوراً عليه – ١٤/١) ومع (مازال) قوله (وإذا هو مازال ينظر – ٥٧/١) .

وتقدم خبر (كان) عليها فى مثل (عقلية كانت أو شعورية ... سياسية كانت أو اجتماعية –٤/٢) .

كما تقدم الخبر الذى له الصدارة على(كان) وجوباً فى مثل (فيم كان الاختلاف ؟ –٧/٢) فـ– (فيم) جار ومجرور استعمل للاستفهام فكان له الصدارة.

---

(٢٣) شرح ابن عقيل ٢٣٤/١ ، وراجع : المقتضب ١٢٨/٤ ، والترتيب في الجملة الاسمية ، مجلة رسالة المشرق ٢٤٣ وما بعدها .

ب - المنسوخة بـ (إن) أو إحدى أخواتها :

لايجيز سيبويه - فى الأمثلة التى طرحها فى كتابه - تقديم خبر (إن) على اسمها إلا إذا كان شبه جملة ، وقال المبرد بذلك أيضاً (٢٤)، وكذلك الرضى الذى فصل فى ذلك ، فقال : إن الخبر شبه الجملة يجوز تقديمه إن كان الاسم معرفة ، ويجب تقديمه إن كان الاسم نكرة (٢٥)، وأضاف ابن عقيل أنه يجب تقديم الخبر شبه الجملة إذا كان فى الاسم ضمير يعود على بعض الخبر من مثل (ليت فى الدار صاحبتها) (٢٦).

وقد جاءت أنماط فى «حديث الأربعاء» تقدم فيها خبر (إن) أو إحدى أخواتها شبه الجملة على اسمها وجوباً حيث جاء الاسم نكرة من مثل (لأن فيها كنوزاً ١٣/١) ،و(أن له عليها حقاً - ٢٤/١) ، و(فإن للشاعر قصيدة - ٥٨/١) ، و(لولا أن لك ديناً ينبئك بأن للحياة غاية ٦٤/١) ، و(فعرف أن لزوجته أختاً ١٤٤/٢) ، و(ولكنّ هناك شيئاً - ٢٣٤/١) ، و(ويظهر أن بينه وبين الشعر ثأراً ١١/١) .

ومثل ذلك (لعل فى صرير هذه الخيام اشتكاء - ٢٢/١) ، (ولكن هناك سبباً ١٢/٢).

كما تقدم الخبر شبه الجملة جوازاً ، والاسم معرفة لكنه اسم موصول من مثل (وما من شك فى أن بين المحدثين المعاصرين من يحب طرفة - ٥٦/١) ، و(لأن له من الرشد والحلم وحسن البلاء ما يمكنه من ذلك - ٦١/١) .

وقد دخلت لام الابتداء على الاسم فى هذه الأنماط (وإن بين أدباء الأوروبيين الآن لقوماً - ١٤/١) و(إن له لناقة - ٢٣/١) ، و(إن فى الحياة لما يشغل عن اليأس، وإن فيها لما يصرف عن الجزع ٢٢/١) .

جـ - المنسوخة بـ (لا) النافية للجنس :

لايجوز عند النحاة أن يتقدم خبر (لا) على اسمها ، فتقول : لافيها رجل ؛ بل إن المحافظة على الترتيب شرط لعملها عمل (إن)(٢٧) وذلك ما جاء فى «حديث الأربعاء» ، من مثل : (لانبوّ فيها - ٥٦/١) ، (لا لذة فيها -٦٤/١) ، و(لاحظ له من قوة ٢٣٧/١) ، و(لاحتياط فيه - ٣/٢) ، و(لاسبيل إلى جحوده -١٠/٢) ، و(لابأس به - ٣٤٧/٢) ، وغير ذلك كثير .

---

(٢٤) راجع : الكتاب ١٣٢/٢ ، ١٤٢، ١٤٣، المقتضب ١٠٩/٤ ، ١٥٩ .

(٢٥) راجع : شرح الكافية للرضي ١١٠/١ ، ١١١ .

(٢٦) راجع : شرح ابن عقيل ٣٤٨/١، ٣٤٩ .

(٢٧) راجع مثلاً : الكتاب ٢٧٦/٢، المقتضب ٣٦١/٤ ، ٣٦٢ ، شرح ابن عقيل ٦/٢ .

د - المنسوخة بأفعال المقاربة :

حافظ طه حسين فى «حديث الأربعاء» كثيراً على ترتيب جملة أفعال المقاربة ، إلا أن الاسم كان ضميراً مستتراً يفهم من السياق ، ومن أمثلة ذلك :(تطوراً يوشك أن يكون كاملاً - ٢/٩) ، و(أو جهلاً يوشك أن يكون تاماً - ٢/١٢) ، و(وبأنك لم تكد تنتهى -١/٥٦) و(وقد عرض فيها للناقة فلم يكد يطيل ١/٨٥) ، و(لا أكاد أعرفها - ١/١٤٥) ، و(كان لايكاد يقول شعراً ٢/١٤٤) ، و(وأخذ يحدق -٢/٥٩) ، و(ثم أخذ يصفها ١/٦٠) .

وقد تقدم خبر (كاد) على اسمها فى قوله (لم يكد يمعن المسلمون فى الفتح - ٢/١٤)، ولقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ (سورة التوبة : الآية ١١٧) فخرجه الرضى على أن فى (كاد) ضمير الشأن هو اسم (كاد) أو أن ذلك جاء على التنازع وقد أعمل الأول ، أى أن التقدير (من بعد ما كاد قلوب فريق منهم يزيغ) فتقدير اسم كاد على التقديم [٢٨]، وما يهمنا هنا هو إثبات الرضى للتقديم والتأخير .

ثالثاً : تقدم جواب الشرط على الفعل والأداة :

يفهم من كلام سيبويه والمبرد أنه يجوز التقديم والتأخير ما لم يجزم فعل الشرط[٢٩] ، وقال ابن جنى إنه «لايجوز تقديم الجواب على المجاب ، شرطاً كان أو قسماً أو غيرهما ؛ ألا تراك لاتقول : أقم إن تقم ، فأما قولك أقوم إن قمت ، فإن قولك ، أقوم ليس جواباً للشرط ، ولكنه دال على الجواب ، أى : إن قمت قمت ، ودلت (أقوم) على (قمت) ، ومثله : أنت ظالم إن فعلت ؛ أى إن فعلت ظلمت ، فحذف (ظلمت) وذلك قولك : (أنت ظالم) عليه» [٣٠].

ويتفق ابن جنى مع من سبقه ، ويضيف إلى ذلك أن المقدم ليس جواباً للشرط وإنما يدل على الجواب ، وهو رأى البصريين كما عرضه الرضى فى شرح الكافية ، أما الكوفيون فقالوا إن أصل جواب الشرط التقديم ، وإنه عندما تأخر نجزم على الجوار، ويقوم الرضى ، «واعلم أنه إذا تقدم على أداة الشرط ما هو جواب من حيث المعنى ، فليس عند البصريين بجواب له لفظاً ؛ لأن للشرط صدر الكلام ، بل هو دال عليه

---

(٢٨) راجع : شرح الكافية للرضي ٢/٣٠٣ ، وقد قاس عليه أيضاً (كاد يقوم زيد) وقد عرضنا ما قاله مشروحاً .

(٢٩) راجع : الكتاب ٣/٧٠ . المقتضب ٢/٦٦ .

(٣٠) الخصائص ٢/٣٨٧ ـ ٣٨٨ .

وكالعوض منه ، وقال الكوفيون : بل هو جواب من اللفظ أيضاً لم ينجزم ولم يصدر بالفاء لتقدمه ، فهو عندهم جواب واقع في موقعه كما ذكرنا ، إنما ينجزم على الجوار إذا تأخر عن الشرط» (٣١).

والخلاف بين البصريين والكوفيين في هذه المسألة مرجعه أن البصريين حكموا نظرية العامل ، فالمقدم ليس جواباً لأنه لم ينجزم ولايصح أن يتقدم المجزوم على عامله (الأداة) ، أما الكوفيون فيحكمون المعنى فما دام المتقدم هو الجواب في المعنى فهو جواب الشرط .

وقد جاءت في «حديث الأربعاء» أنماط تقدم فيها جواب الشرط على الأداة والفعل سواء كانت الأداة جازمة أو غير جازمة .

فمع حرف الشرط (إن) تقدم الجواب في أنماط عدة ، والملاحظ في تلك الأنماط أن بعد حرف الشرط (إن) يأتي الفعل الماضي، واختلفت الأنماط فيما قبلها ، فقد يكون فعلاً ماضياً أيضاً مثل (توعد الشعراء إن تغزلوا بالملكة ٢٣٨/١) ، وقد يكون فعلاً مضارعاً مرفوعاً من مثل : (يتحدثون ويتشاورون إن عرض لهم من الأمر ما يدعو إلى التشاور -٦١/١) ، وقد يكون فعل أمر مثل (تحدث أنت عن عنترة إن شئت -١٤٥/١) ، وقد يكون المقدم اسماً مشتقاً مثل (هاجراً لها إن هجرته معرضاً عنها إن أعرضت عنه - ٢٦/١) . وقد يكون المقدم جملة اسمية ابتدائية مثل : (هو شعر مخنث إن أذنت لي باستعمال هذا اللفظ -٢٣٥/١) ، و(وهو يدلك على الأماكن التي تستطيع أن تجده فيها إن احتجت إليه -٦١/١) ، وقد تسبق الأداة حينئذ بالواو من مثل (هو يحييهم إذا دعوا ، وإن لم يوجهوا الدعوة إليه ٦١/١) ، و(فهو يشارك قومه في جدهم كله، وإن كان شاباً -٦١/١) ، وقد يكون المقدم جملة اسمية منسوخة مثل (كأنك تراها في دفتر من دفاتر الصور إن شئت ، وكأنك تراها لوحة من لوحات السينما إن أحببت -٢٣/١) .

وجاءت أنماط أخرى مع الأداة غير الجازمة (إذا) ، جاء فيها مابعدها فعلاً ماضياً ، وتقدم عليها الفعل المضارع من مثل (يتعهدها البستاني إذا أصبح ، ويتعهدها إذا أمسى ١٥/١) ، و(لايستطيعون أن يضمنوا الخلود إذا أعرض عن الحرب ٦٤/١) ، و(أن نفهمهم إذا تحدثوا - ١٩/١) ، و(لن أفهم عنه إذا استمعت له ١٨/١) و(ويلقوا عن أنفسهم أعباءها إذا أقبل الليل - ١٤٥/١) .

---

(٣١) شرح الكافية للرضي ٢٥٧/٢ ، وراجع ٢٥٦/٢ .

أما النمط الثانى فجاء ما بعدها فعلاً ماضياً أيضاً ، وتقدمت عليها جملة اسمية مثل (فهو يحييهم إذا دعوه بل هو يحييهم إذا دعوا -١/٦١) .

وجاء النمط الثالث وقد توسطت فيه (إذا) بين جملتين اسميتين من مثل (فالموت ساع إليه إذا هو لم يسع إلى الموت -١/٦٤) .

رابعاً : الاعتراض والفصل :

يعد الاعتراض والفصل من أشكال التقديم والتأخير ، لأن ما يعترض أو يفصل به قد تقدم أو تأخر عن موضعه ، والفرق بين الاعتراض والفصل أن الاعتراض يكون بالجملة ، أما الفصل فيكون بالكلمة ، كما أن الاعتراض يكون بين أجزاء الجملة أو بين الجمل ، أما الفصل فيكون بين متلازمين كالمضاف والمضاف إليه والتابع والمتبوع .

وقد تحدث ابن جنى عن الاعتراض ، فقال «وجاء فى القرآن ، وفصيح الشعر ومنثور الكلام ، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد ، فلذلك لايشنع عليهم ، ولا يستنكر عندهم ، أن يعترض به بين الفعل وفاعله ، والمبتدأ وخبره ، وغير ذلك » (٣٢)، وقال ابن هشام إن الجملة المعترضة تفيد تقوية الكلام وتحسينه (٣٣).

وقد جاء فى حديث الأربعاء الاعتراض كما حدده النحاة ، ولكن كثر عنده نوع من الفصل هو الفصل بين أجزاء الجملة لابين المتلازمين ، ولذا سنعرض للاعتراض والفصل فى موضع واحد كما سنرى .

١- الفصل بين الفعل والفاعل :

لقد عرض ابن جنى وابن هشام شواهد للاعتراض بالجملة بين الفعل والفاعل تكرر بعضها عندهما ، ولانعد ماجاء من أنماط فى «حديث الأربعاء» اعتراضاً بل هو فصل بالجار والمجرور ، أو لنقل هو تقديم للجار والمجرور عن موضعه الذى افترضه له النحاة وهو كثير جداً من مثل (التى تتابع فيها الصور ، وتختلف فيها المناظر ، وتكثر فيها الأحداث ، وتثار فيها عواصف الغيرة ... التى عدت عليها العوادى ، وشق عليها البرد - ١/٢٥) ، و(الذى تطمئن إليه نفسك ، ويرضى به ضميرك ١/٥٦) ، (أن يتغزل بها الشعراء ١/٢٣٨) ، و(ظهر إلى جانب هذا خلاف آخر فى المعنى ٢/١٧) ، و(لم يثق بصحتها الرواة ٢/١٧) ، و(فلما تم له الأمر ٢/١٤٢) ، و(انقسم لها المصريون -٣/٤٥) .

---

(٣٢) الخصائص ١/٣٣٥ .

(٣٣) مغني اللبيب ٢/٢١ .

وقد يكون الفاعل اسماً ظاهراً – كما سبق – وقد يكون مصدراً مؤولاً من مثل : (ونتج عن هذا التأثر المزدوج أن استبدل العرب بالخيام دوراً –١٥/٢) .

وقد يقع الفاعل فى أسلوب القصر ، فيفصل بينه وبين الفعل بالجار والمجرور و(إلا) من مثل (ولم يبق فيها إلا هذه الرسوم ٢٠/١)، و(لم يبق منها إلا الشىء القليل ١٤٣/٢) ، و(دون أن يشعر به إلا نفر قليل ٤١/٣) .

وقد يفصل بالظرف بين الفعل والفاعل فى مثل (ومضى بين هذين المذهبين الشعراء الآخرون –١٩/٢) ، و(ووقع بينى وبينه خلاف –٤٣/٣، ٤٤) . وقد يفصل بينهما بالجار والمجرور والظرف معاً فى مثل (ولم تنقطع عنها فى ذلك مادة الحياة – ٥/١)، و(منشأ عند العرب فى عصر بنى أمية نوعان من الشعر ١٥/٢) ، و(متوسط بينه وبين أبيه فى الخلاف عمه –١٤٠/٢) ، و(فقد انفتحت له الآن خزائن الدولة – ١٤٢/٢) .

وقد يبرر الفصل بين الفعل والفاعل بالجار والمجرور – فى بعض الأمثلة بالتعلق فى مثل (تطمئن إليه – يرضى به – يتغزل بها – يثق بصحتها) ، لكن ذلك لايبرر الأمثلة الأخرى ولا يبرر الفصل بالظرف.

٢- الاعتراض أو الفصل بين الفعل وما يتعلق به :

وقد جاء ذلك عند ابن جنى ، ومثاله قول امرئ القيس :

ألا هل أتاها – والحوادث جمة ... بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا (٣٤)

ومثاله عند هشام قول الشاعر :

ألم يأتيك – والأنباء تنمى ... بما لاقت لبون بنى زياد (٣٥)

لكن ابن هشام جعل الباء زائدة فى البيت ، وهو ما يحتمله بيت ابن جنى أيضاً، وقد جاء الشاهدان عندهما تحت الاعتراض بين الفعل والفاعل .

ولقد جاء الاعتراض بالجملة بين الفعل ومتعلقه فى «حديث الأربعاء» من مثل (ويتبرمون - كما تتبرم أنت – بالقديم – ٢٣/١) . كما فُصل بين الفعل ومتعلقه بالجار والمجرور كثيراً من مثل (وينسب فيها بصاحبته – ٥٥/١) ، و(أبن لى عن

---

(٣٤) الخصائص ٣٣٥/١ ، وتملك : هي أم امرئ القيس ، وبيقر : ترك البادية ونزل العراق .
(٣٥) مغني اللبيب ٢١/٢ .

رأيك -١/٥٧) ، و(أسرع بنا إلى القسم -١/٦٠) ، كما فصل بينهما بالظروف من مثل (انظر معى إلى ١ - ٢٣) ، و(يأخذ معنا فى الحديث -١/٦٠) ، و(لا أحدثك اليوم عن واحد من هؤلاء -١/٢٣٢) . كما فصل بينهما بالمفعول به (الضمير المتصل) والفاعل من مثل (أن يخرجه ذلك عن دينه -٢/١٤٠) ، أو بالمفعول به (الضمير المتصل) ، وتوكيده (الضمير المنفصل) من مثل (فيضطرك أنت إلى ١/٢٣)، أو بالضمير المؤكد للفاعل المستتر من مثل (تحدث أنت عن عنترة - ١/١٤٥) .

وقد جاء الاعتراض بجملة هى فعل الشرط بين اسم الفاعل ومتعلقه ، وهما جزء من جملة جواب الشرط المتقدم ، ومن أمثلة ذلك (ومعنى ذلك أن الأدب القديم صائر - إذا مضت الأمور على هذا النحو الذى تمضى عليه - إلى أن يصبح لوناً - ١/١٣) ، ويتضح ذلك إذا أعدنا الترتيب كالتالى (وإذا مضت الأمور على هذا النحو الذى تمضى عليه فمعنى ذلك أن الأدب القديم صائر إلى أن يصبح لوناً ...) .

٣- الفصل بين الفعل ونائب الفاعل :

وقد فصل بينهما بالجار والمجرور من مثل (فُتِن به بعض أساتذة الأدب - ١/٢٣٣) ، و(ذكر له عسر ذلك ١/٢٣٦) ، و(لم يتح للسلطان إهدار دمه ١/٢٣٧) ، (و(يقال لها روضة - ١/٢٣٧) .

٤- الاعتراض أو الفصل بين الفعل والمفعول به :

جاء الاعتراض بين الفعل والمفعول به بالجملة الاسمية فى مثل (ولست أشك - والرواة لاينكرون ذلك - أن كثيراً -٢/١٧) ، وبجملة النداء (الفعلية) فى مثل (تلاحظ ياسيدى أنى أجملت ١/٢٦) .

أما الفصل بينهما فهو كثير ، فإذا كان مكان الجار والمجرور والظرف عند النحاة التأخير [٣٦]، فقد جاء ذلك نادراً فى «حديث الأربعاء» من مثل :

جاءت أمثلة كثيرة على الفصل بين الفعل والمفعول به بالجار والمجرور من مثل (وحمل إلينا الحضارة -١/٩) ، و(نجد فيه لذة١/٩)، و(يبكى فيها الديار ١/٥٥) (كثيراً ماتحمل إليهم الحزن - ١/١٤٥) ، و(مدح بهما الوليد ١/٢٣٩) ، و(لاتذكر لى الخلافات الدينية -٢/٥) ، و(أن يقول فيهم شعراً - ٢/١٤٧) ، (وأجد لهم أثراً ، و(لينتزع من الرجل ثناء -٣/١٢٩) .

---

(٣٦) راجع إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٨٨، ٣٨٩ .

وكذلك فصل بالظرف بينهما من مثل (وإنما تناول مع العزل فنوناً –٢/١٧) و(هلا وضعت بين يدى شرحاً –١/٥٧) ، و(أعرف الآن هذا الشاعر –١/٦٢) .

و(قضيت معهما ساعات –٣/٩٥) .

وإذا كان المفعول به اسماً صريحاً – فيما سبق – فقد جاء أيضاً مصدراً مؤولاً من (أن) وما بعدها من مثل (لم أطلب إليك أن تفهم، وإنما طلبت إليك أن تقرأ ١/٥٧) ، و(سترى فى غير هذا الفصل أن هذا لم يتح للشعر العربى –٢/١٤) ، و(فقد رأينا فى فصل مضى أنها مسألة ٣/٣١) ، أومن (ما) والفعل من مثل (ولم ينقل الرواة إلينا ما قال فيها – ١/٢٣٨) ، و(يضيف إليها ما ابتكرت من عقول المحدثين – ٣/٢) ، و(أخذ من اللذة ماالستطاع –٢/١٤٢)، وإذا كانت هذه الأمثلة يحتمل فيها أن تكون (ما) مصدرية أو موصولة ، فإنها جاءت موصولة فى مثل (وينكر على نفسه ما هو فيه –١/٢٠) ، و(أن يضيفوا إلى الأدب العربى ما فيه وما ليس فيه –١/٢٣)، وقد يكون ذلك فى نمط القصر من مثل (ولم يقل فيها إلا البيتين –١/٥٩)، و(هل عرفت منى إلا المحاورة –١/٥٦) ، و(لم تقرأ من هذه القصيدة إلا الأبيات – ١/٥٦).

وقد فُصل بين المفعولين بالجار والمجرور من مثل (يتخذون الغزل لنفسه صناعة –٢/١٦) ، كما فُصل بينهما بالفعل من مثل (التى يراها العقل حقائق ١/١٤٥) ، كما اعترض بينهماَ بالجملة فى مثل (جعلت تطور الأدب عامة – والشعر خاصة – بطيئاً –٢/١٢) .

وكذلك تقدم الجار والمجرور على المفعول المطلق ففصل بينه وبين الفعل فى مثل (قد دست عليه دساً ، وزجت فى حظيرته زجاً ١/٥٨) ، و(قد أقحم فى قصيدة الشاعر إقحاماً –١/٥٨) ، و(يقنعك بها إقناعاً –١/٦٣) ، و(يختلفون فيه اختلافاً – ١/٢٣٣) ، و(أن أشك فى وجود هذا الشاعر شكاً قوياً –١/٢٣٣) ، وهو كثير ، وفى رأينا أن طه حسين كان يقدم الجار والمجرور تحسيناً للجملة جاعلاً لها جرساً موسيقياً تميزت به .

لقد كان طه حسين يحرص على إشراك القارئ أو السامع معه فى الحديث ، فحاول أن يجلب إليه مسرح الكلام كاملاً ؛ المتكلم والمخاطب ، وظروفهما وظرف الخطاب ، واستعمل لذلك الاعتراض أو الفصل ، فهو بعد أن افترض أنه يخاطب صاحبه الذى يخالفه الرأى يستحضر هذا الصاحب دائماً ، وقد يخاطبه بلفظة (يا سيدى) – كما مر بنا فى بعض الأمثلة – كما أنه يصف لنا حالته ، وظروف الحوار

وجاء ذلك فى فصله بين القول والمفعول به (مقول القول) من مثل قلت لصاحبى فيما قلت -١/١٥ ، ١٦) ، ومما يصف حاله هو (قلت ضاحكاً -١/٥٦) ، و(قلت فى شيء من الأسف ، بل من الحزن العميق -١/٥٨) ، ومما يصف حال صاحبه مع الفصل بالجار والمجرور (قال صاحبى - فى شيء من الشك -١/٢٧) ، و(قال فى شيء من الحياء والغيظ -١/٥٧) . أو بالحال المفردة (قال منصباً -١/٥٧) ، أو الحال الجملة مثل (قال صاحبى وهو باسم كالعابس -١/٢٣٢) ، و(قال وهو فى شيء يشبه الحيرة -١/٥٨) ، و(قال وهو يظهر الدهش - ١/٥٦) .

ومما جاء يصف حال الحوار قوله (قلت لصاحبى - وقد طال الحوار بينه وبينى -١/١٨) ، و(قال صاحبى - ولم أستطع أن أطيل حواره فيما قاله ومن يدرى ! لعله موفق فيه إلى الصواب - ١/٥٩) ، ونلحظ فى المثال الأخير أنه يحدثنا عما يدور فى خاطره من مونولوج داخلى ، وكل ذلك من عناصر السياق المقامى الذى حاول استحضاره ليشرك السامع أو القارئ فيما يقول أو يكتب.

٥- الاعتراض أو الفصل بين المبتدأ والخبر :

اعتُرض بين المبتدأ والخبر بالجملة ، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ سورة ص : الآية ٥٧، ومنه قول معن بن أوس .

وفيهن -والأيام يعثرن بالفتى - نـــوادب لايمللنـــه ونوائـــح

وكذلك اعترض بجملة الاختصاص من مثل قول النبى «نحن معاشر الأنبياء - لانورث» ، وقول الشاعر :

نـــحن - بنـــات طـــارق - نمشى علـى النمــــــارق (٣٧)

وقد جاء فى «حديث الأربعاء» بجملة النداء من مثل (فشاعرى ياسيدى صاحب حركة -١/٢٣) ، (وأنت ياسيدى مخطئ -١/٢٣) ، و(ناقة شاعرى ياسيدى قد تعودت الأسفار -١/٢٤) ، وبجملة فعل الشرط من مثل (الأيام كلما مضت واتصلت زادت البعد بيننا .. والحياة كلما تطورت وتحولت زادت فى تغيير -١/٩ ، ١٠) ،حيث فصل بين المبتدأ (الأيام) و(الحياة) ، والخبر (زادت) فى الجملتين بجملتى فعل الشرط

---

(٣٧) راجع : الخصائص ١/٣٣٩ ، ٣٤٠ ، مغني اللبيب ٢/٢٢ .

(٣٨) و(كلما) الشرطية غير جازمة يكثر مجيء الماضي بعدها ، راجع : مغني اللبيب ٢/٣٣٨ .

(كلما مضت واتصلت) ، و(كلما تطورت وتحولت)[٣٨]. كما اعترض بجملة المصدر النائب عن فعله من مثل (إنما العسر حقاً هو أن تقطع ٢٣٣/١) ، حيث اعترض بالمصدر النائب عن فعله (حقاً) ، وتقديره عند النحاة (أحق حقاً) بين المبتدأ (العسر) والخبر الجملة (هو أن تقطع)، أو (أن تقطع) على اعتبار ان (هو) ضمير فصل .

وقد فُصل بين المبتدأ والخبر فى «حديث الأربعاء» بالجار والمجرور كثيراً من مثل (وهو علىَ كل حال عاجز -٢١/١)، و(هو فى هذا كله قادر -٥٩/١) و(ثم هو على هذا كله لايخلو -٢٣٥/١)، و(نحن بحكم الاستحالة والتطور مكرهون على -٤/٢) و(فهم من هذه الناحية محافظون -١١/٢) ، و(وهو فى هذا قدوة - ١٤٥/٢) ، و(الإنسان بطبيعته عبد لمنفعته -٥/٢) . وفصل بينهما بالظرف من مثل (ثم هو بعد ذلك لايكتفى بالمخاطرة -٦١/١) ، و(هو معَ ذلك حريص -٦٣/١) ، و(إنما أمر الأدب القديم عندى أشبه بحديقة -١٥/١) ، و(إذن فنحن بين الشعور بالبقاء والحاجة إليه وبين الشعور بالتطور والحاجة إليه مترددون ٤/٢) .

كما جاء الفصل بينهما بـ- (إذن) من مثل (فأنت إذن تريد ... وأنت إذن تزعم -٥٦/١) ، و(فأول صفاته إذن هذا الشباب - ٦١/١) .

٦- الفصل بين اسم كان وخبرها :

جاء الاعتراض بين ما أصله المبتدأ والخبر فى الشعر ، وقد عرض ابن جنى وابن هشام شواهد للاعتراض بين اسم إن وخبرها[٣٩].

وقد جاء الفصل بين اسم (كان) وخبرها فى «حديث الأربعاء» بالجار والمجرور من مثل (بينما كان فى دمشق متصلاً بقصر الوليد بن عبد الملك -٢٣٤/١) ، و(كان الاختلاف فى تقسيم الثروة أو فى نظام الحكم - وسيظل دائما - مصدر هذه الثورات -٥/٢) ، و(وليس وضاح هذا - فيما أرجح - إلا تجربة - ٢٣٥/١) ، كما فصل بالظرف فى مثل ، (فليس شاعرى حين يصف ناقته مثقلاً -٢٣/١) ، و(كانت بينه وبين «أحوى» ملاحاة -٢٣٩/١) ، و(فقد كان) الخلاف قبل كل شىء فى اللفظ ٧/٢)، و(قد أصبح الآن صاحب السلطان - ١٤٢/٢) .

وقد فصل بينهما بكاف التشبيه وما بعدها من مثل (لم يكن كما يزعم خصومه مسرفاً -١٤٠/٢) ، و(لم يكن كما يريد أنصاره تقياً صالحاً -١٤٠/٢) ، فإذا اعتبرنا الكاف حرف تشبيه فهو من الجار والمجرور ، وإذا اعتبرناها نعتاً لمصدر محذوف كان

---

(٣٩) راجع : الخصائص ٣٤٠/١ ، ومغني اللبيب ٢٢/٢ وما بعدها .

(٤٠) راجع في هذه الكاف مغني اللبيب ٣٠٢/١ وما بعدها .

ذلك اعتراضاً بالجملة (٤٠).

٧- الاعتراض أو الفصل بين اسم (إن) وخبرها :

جاء فى «حديث الأربعاء» الاعتراض بالجملة الاسمية من مثل (لأن أنصار الجديد – وعلى رأسهم أبو نواس – أقدموا –٢/٨) ، كما جاء الاعتراض بجملة النداء فى مثل (فإنى ياسيدى لم أطلب –٥٧/١) ، أو بجملة من مثل (وسترى أن هذا الشعر إذا برئ من خشونة البادية قليلاً أو كثيراً فهو عربى «عربى برئ من الابتذال والسقوط –٢٣٥/١) ، وكذلك جاء الفصل بينهما بكاف التشبيه ومابعدها من مثل (لأنها ، كما قال صاحبى ، تباعد بينهم وبين حياة القدماء –١٢/١) ، و(لأن الحياة الإنسانية كما قلنا غير مرة تقوم على ٣/٢) .

وقد يفصل بينهما بالجار والمجرور من مثل (وإياك أن تظن أن صاحبنا على شبابه وفراغه يلهو عبثاً –٦٣/١) ، و (أن الكثرة المطلقة من هذا الشعر الذى يضاف إليه منحول –٢٣٥/١) ، و(لكنها فى نفسها جيدة –٢٣٩/١) ، و(ورأينا أن خط الآداب العربية من هذا الغلاف على عظمة وكثرة الكلام فيه ، لم ينتج ... – ٥/٢) ، و(لأنهم بحكم منزلتهم اللغوية مضطرون ، إلى –١١/٢) ، وقد يفصل بالظرف والجار والمجرور معاً من مثل (ولا أقرك على أن إعراض الشاعر هنا عن الحركة القوية والحياة المضطربة ، ووقوعه عند أجزاء الناقة يحققها ويصورها ويصفها دليل على – ٥٩/١) .

٨- الفصل بين المتبوع والتابع :

جاء فى «حديث الأربعاء» الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالجار والمجرور مثل (لا مشقة فيهاولاجهد ٩/١) .

كما جاء الفصل بين المنعوت والنعت من مثل (فى دقة لاتشبهها دقة ، ووضوح مع ذلك لايشبهه وضوح ١٨/١) حيث فصل بين المنعوت (وضوح) والنعت الجملة (لايشبهه وضوح) بالظرف (مع ذلك) .

خاتمة بأهم نتائج البحث

يمكننا أن نخرج من هذه الدراسة بنتائج محددة يمكن تلخيصها فى النقاط التالية :

١- رصد البحث أنماطاً لترتيب الجملة جاء بعضها على الترتيب الأصلى ؛ فعرضنا نماذج منه فى الترتيب الأصلى للجملة الفعلية ، وللجملة المنسوخة بـ (لا) النافية للجنس ، والجملة المنسوخة بأفعال المقاربة .

٢- جاءت أنماط خالفت الترتيب الأصلي للجملة ، التزم أغلبها بما جاء عند النحاة من وجوب مخالفة الترتيب الأصلى أو جواز المخالفة .

٣- جاءت أنماط حديثة الاستعمال ، منها ذلك النمط الذى تقدم فيه الخبر (سواء) على المبتدأ الاسم الصريح ، وكذلك استعمال (إن) أو إحدى أخواتها مع (كان) أو إحدى أخواتها مع تقديم اسم كان عليها ، وتقدم خبر كان عليها ، كما تقدم خبر (كان) ، و(ليس) الجملة الفعلية على اسمها الظاهر ، وقد خرجنا ذلك على تجريدهما من العمل .

٤- تأخر فعل الشرط عن الجواب ، وهو نمط جاء عند القدماء ؛ فقال البصريون إن المتقدم ليس الجواب ، وإنما يدل على الجواب ، محكمين العامل فى رأيهم هذا ، بينما يرى الكوفيون أن تقدم الجواب على الفعل هو الأصل ، محكمين المعنى فى ذلك.

٥- لاحظنا فى «حديث الأربعاء» الميل إلى استعمال الجملة الاسمية ، حتى إن بعض الجمل لتبدو وكأنها متحولة عن الجملة الفعلية ، ولانستطيع أن نتسرع بالقول إنه تأثر باللغات الأجنبية التى كان يتقنها ، فالجملة الاسمية هى جملة عربية منها أنماط جاءت عند القدماء والتزم بها الكاتب .

٦- قدم الجار والمجرور كثيراً وكذلك الظرف ، كما فصل بهما بين أجزاء الجملة ، وقد أفاد الكاتب من حركة شبه الجملة موسيقياً وذلك مما يتميز به أسلوبه.

٧- جاءت فى الكتاب الأشكال المختلفة للفاعل والمفعول به والمبتدأ والخبر ، كما جاء فيه أفعال تحويل حديثة الاستعمال مثل (صوّر) ، و(اصطنع) .

٨- يقل فى «حديث الأربعاء» الاعتراض ، لكن الكاتب استعمله استعمالاً سياقياً فريداً، حيث أفاد منه فى جلب مسرح الكلام إلى القارئ أو السامع ، فأصبح وكأنه يسمع ويرى كل شىء فى مسرح الكلام حتى أحاسيس المتكلم والمخاطب وما حولهما

من ظروف . كما جاءت عنده ألفاظ أخرى للاعتراض .

٩- كثر عنده الفصل بالجار والمجرور والظرف بين أجزاء الجملة بنوعيها ، وكذلك الفصل بالحال أو (إذن) ، كما فصل بين التابع والمتبوع .

١٠- وأخيراً فإننا سنجد فى هذا الكتاب وفى غيره كنزاً من الجمل الحية التى تفيد فى التمثيل للدراسات النحوية واللغوية أقرب للواقع وللفهم من أمثلة كثيرة مصطنعة .

المصادر والمراجع

١- إبراهيم أنيس دكتور :

- من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو ١٩٨٤ م ط٥ .

٢- ابن الأثير (ضياء الدين) :

- المثل السائر ، تحقيق د. أحمد الحوفى ، ود. بدوى طبانة نهضة مصر (د.ت) .

٣- الأشمونى (نور الدين على بن محمد بن عيسى ت ٩٢٩هـ) :

- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة (د.ت)

٤- ابن الأنبارى (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ت ٥٧٧هـ):

- الإنصاف فى مسائل الخلاف ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية (د. ت) .

٥- البدراوى زهران (الدكتور) :

- أسلوب طه حسين ، دار المعارف (د.ت) .

٦- تمام حسان (الدكتور) :

- اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ .

٧- الجرجانى (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ٤٧٤هـ) :

- دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود شاكر، الخانجى ١٩٨٤ م

- المقتصد فى شرح الإيضاح ، تحقيق كاظم بحرالمرجان وزارة الثقافة العراقية ، ١٩٨٢م .

٨- ابن جنى (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢هـ) :

- الخصائص تحقيق محمد على النجار ، دار الهدى ، بيروت (د.ت) .

٩- الرضى الاسترباذى (رضى الدين محمد بن الحسن ت ٦٨٦ هـ) :

- شرح كتاب الكافية فى النحو دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٥م .

١٠- الزجاجى (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ت٣٤٠هـ) :

- الجمل فى النحو ، تحقيق د. على توفيق الحمد ، دار الرسالة ، بيروت ، والأمل بالأردن، ١٩٨٤م ط١ .

١١- ابن السراج (أبو بكر محمد بن السرى ت ٣١٦هـ) :

- الأصول فى النحو تحقيق د. عبد الحسين الفتلى ، الرسالة ١٩٨٥ م ط١ .

١٢- السكاكى (أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر ت ٦٢٦ هـ)

- مفتاح العلوم ، مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٦ هـ ط ١ .

١٣- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠هـ) :

- الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٦ - ١٩٧٧م .

١٤- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ت٩١١ هـ) :

- همع الهوامع تحقيق د. عبد العال سالم مكرم ، وعبد السلام هارون ، دار البحوث العلمية الكويت ١٩٧٧ - ١٩٨٠م .

١٥- طه حسين (الدكتور) :

- حديث الأربعاء ، دار المعارف بمصر ، ط١٢ (د.ت) .

١٦- عبده الراجحى (الدكتور) :

- النحو العربى والدرس الحديث ، النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩م .

١٧- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله ٧٦٩هـ) :

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، دار التراث القاهرة ١٩٨٠ط ٢٠ .

١٨- على عبد العزيز سفر (الدكتور) :

- الترتيب فى الجملة الاسمية ، مجلة رسالة المشرق ، المجلد الرابع ١٩٩٥م .

١٩- الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمى ت ٢٠٧هـ) :

- معانى القرآن ، الجزء الأول تحقيق أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٨٠م

– الجزء الثانى تحقيق محمد على النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د.ت)

– الجزء الثالث، تحقيق عبد الفتاح شلبى ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٢م .

٢٠– فندريس (ج) :

– اللغه ، تعريب عبد الحميد الدواخلى ، ومحمد القصاص، الأنجلو ١٩٥٠م .

٢١– القزوينى (جلال الدين محمد عبد الرحمن) :

– الإيضاح ، مطبعة محمد على صبيح ١٩٨٢م .

٢٢– النحاس (أبو جعفر أحمد محمد بن إسماعيل النحاس ت ٣٣٨هـ) :

– إعراب القرآن ، تحقيق د. زهير غازى زاهد ، عالم الكتب والنهضة العربية ١٩٨٥م ط٢ .

٢٣– ابن هشام الأنصارى (جمال الدين بن يوسف ت ٧٦١هـ) :

– مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق ح. الفاخورى ، دار الجيل ، بيروت ١٩٩١م ط١ .

٢٤ – ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن على بن يعيش ٦٤٣هـ) :

– شرح ابن يعيش على المفصل للزمخشرى ، عالم الكتب بيروت والمتنبى بالقاهرة (د. ت) .